المستفاد من أحداث السيرة النبوية
(القسم الأول)

الدكتور
شاذل رشان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد

من أحداث السيرة النبوية

الدكتور

شاذل رشان

الموصل الحدباء – العراق

١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م

الإصدار الأول

١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [1]. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) [2].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) [3].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبعد:

اعلم – وفقني الله تعالى وإياك –

إن دراسة السيرة النبوية تعين المسلم على تجميع أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان متعلقاً منها بالعقيدة أو بالأحكام أو بالأخلاق، وهي تحقق عدة أهداف طيبة أهمها:

١– الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال معرفة شخصيته وأعماله وأقواله وتقريراته.

٢– تكسب السيرة النبوية المسلم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتنميها وتباركها.

٣– يتعرف المسلم من خلال السيرة النبوية على حياة الصحابة الكرام الذين جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتدعوه تلك الدراسة لمحبتهم والسير على نهجهم واتباع سبيلهم.

٤ـــ توضح السيرة النبوية للمسلم حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، بدقائقها وتفاصيلها، منذ ولادته وحتى موته، مرورًا بطفولته وشبابه ودعوته وجهاده وصبره، وانتصاره على عدوه، وتظهر بوضوح أنه كان زوجًا وأبًا وقائدًا ومحاربًا، وحاكمًا، وسياسيًا ومربيًا وداعية وزاهدًا وقاضيًا، وعلى هذا فكل مسلم يجد بغيته فيها:

---

[1] سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

[2] سورة النساء: الآية ١.

[3] سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ـــ٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أ ــ فالداعية إلى الله يجد له في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أساليب الدعوة، ومراحلها المتسلسلة، ويتعرف على الوسائل المناسبة لكل مرحلة من مراحلها، فيستفيد منها في تعامله مع الناس، ويستشعر الجهد العظيم الذي بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل إعلاء كلمة الله، وكيفية التصرف أمام العوائق والعقبات، والصعوبات وكيفية اتخاذ الموقف السليم أمام الشدائد والفتن والنوازل.

ب ــ ويجد المربي في سيرته صلى الله عليه وسلم دروسًا نبوية في التربية والتأثير على الناس وعلى أصحابه الذين رباهم على يده وكلأهم بعنايته، فأخرج منهم جيلاً قرآنيًا فريدًا، وكوَّن منهم أمة هي خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وأقام بهم دولة نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها.

ت ــ ويجد القائد المحارب في سيرته صلى الله عليه وسلم نظامًا محكمًا، ومنهجًا دقيقًا في فنون قيادة الجيوش، فيجد نماذج في التخطيط واضحة، ودقة في التنفيذ بينة، وحرصًا على تجسيد مبادئ العدل وإقامة قواعد الشورى بين الجند والأمراء.

ث ــ ويتعلم منها السياسي كيف كان صلى الله عليه وسلم يتعامل مع أشد خصومه، كرئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر والبغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف كان يحوك المؤامرات، وينشر الإشاعات التي تسيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لإضعافه وتنفير الناس منه، وكيف عامله صلى الله عليه وسلم، وصبر عليه وعلى حقده، حتى ظهرت حقيقته للناس فنبذوه جميعًا حتى أقرب الناس له وكرهوه والتفوا حول قيادة النبي صلى الله عليه وسلم .

ج- ويجد علماء التفسير والفقهاء فيها ما يعينهم على فهم كتاب الله تعالى؛ لأنها هي المفسرة للقرآن الكريم في الجانب العملي، ففيها أسباب النزول، وتفسير لكثير من الآيات فتعينهم على فهمها، والاستنباط منها، ومعايشة أحداثها، فيستخرجون أحكامها الشرعية، وأصول السياسة الشرعية، ويحصلون منها على المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة، وبها يدركون الناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم، وبذلك يتذوقون روح الإسلام ومقاصده السامية.

ح- وتتعلم منها الأمة الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، وسمو الأخلاق، وطهارة القلب، وحب الجهاد في سبيل الله، وطلب الشهادة في سبيله.

جاء في الأثر: «في علم المغازي علم الآخرة والدنيا»، وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدها علينا ويقول هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦- إن دراسة الهدي النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، يساعد العلماء والقادة والفقهاء والحكام على معرفة الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين، من خلال معرفة عوامل النهوض، وأسباب السقوط، ويتعرفون على فقه النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأفراد وبناء المجتمع المسلم، وإحياء المجتمع، وإقامة الدولة.

والواقع أن الإنسان مهما بحث عن قدوة وأسوة حسنة في أي ناحية من نواحي حياته لا يجده إلا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، على أعظم ما يكون من الوضوح والكمال، ولذا جعله الله تعالى قدوة للإنسانية كافة، فقال سبحانه وتعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا }[1].

وفي هذا الكتاب تقصي لأحداث السيرة، تحدثت فيه عن احوال العرب الاجتماعية والدينية في شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته حتى بعثته، ومراحل الدعوة، وأساليب المشركين في محاربة الدعوة، وعن الهجرة إلى الحبشة، ومحنة الطائف، ومنحة الإسراء والمعراج، والهجرة النبوية، مستخرجا منها الدروس والعبر والفوائد لكي يستفيد منها المسلمون في عالمنا المعاصر.

وتحدثت عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ دخوله المدينة إلى وفاته، وقمت بشرح الحدث بما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فيه، بحيث إنني أبحث في كتب السنة؛ فإن وقفت على حديث يشرح الحدث ويفصله اكتفيت به، وذكرته، فإن لم يكن هذا، نظرت فيما ورد في كتب السيرة المشهورة، واتفق عليه أهل السير أو على الأقل أخذ به جمهورهم. ثم إن كان الحديث الذي أذكره في "الصحيحين" أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، وأما إن لم يكن فيهما أو في أحدهما، اجتهدت في عزوه إلى أغلب المصادر التي خرجته مع الاعتماد على تصحيح أو تحسين علماء الحديث له؛ كالشيخ الألباني، أو الشيخ شعيب الأرناؤوط - رحمهما الله تعالى.

وبيَّنت الدروس والعبر والفوائد المستفادة من الآيات القرآنية التي له علاقة بالسيرة النبوية، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وبني النضير، وصلح الحديبية، وغزوة تبوك والتي نزلت بشأن ذلك.

وأخيرا

أسأل الله تعالى أن يجزي خيرا كل من أعان على إكمال هذا العمل بقلم، أو رأي، أو نصح، أو جمع، أو مراجعة وتدقيق.

وأسأله تَعَالَى أَن يتَقَبَّل صَوَابه ويتجاوز عَن خطئه إِنَّه سميع مُجيب.

---

[1] سورة الأحزاب: الآية ٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأسأله سبحانه أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم ويبارك في جهود العاملين للإسلام ويرزق الجميع حسن القصد وإتباع الحق.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين.

الدكتور

شاذل عبد احمد رشان

الموصل في ٢٤ رجب ١٤٣٧ه

الموافق ١ أيار ٢٠١٦م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل التمهيدي

احوال العرب الاجتماعية والدينية في شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة

إن موطن العرب الاصلي في الاقليم الواقع في الجنوب الغربي من آسيا، ويحده من الشمال بادية الشام ومن الشرق الخليج العربي وبحر عمان ومن الجنوب المحيط الهندي ومن الغرب البحر الاحمر. وقد سمي هذا الاقليم بجزيرة العرب او شبه جزيرة العرب نسبة إليهم لإنه موطنهم الأصلي كما قلنا، وقد استوطن بعضهم خارج الجزيرة العربية لا سيما في بادية الشام [1].

ويرجع المعنيون بالأنساب العرب إلى شعبين كبيرين، وهم: القحطانيون والعدنانيون. والقحطانيون من نسل قحطان وهم عرب الجنوب ومنهم اليمانيون.

أما العدنانيون فهم من نسل إسماعيل بن ابراهيم وهم عرب الشمال ومنهم اهل الحجاز. ومن هذين الشعبين الكبيرين تفرعت سائر القبائل العربية[2].

واطلق على العرب في تلك الفترة بعرب الجاهلية [3].ويورد الاستاذ يوسف بن محمد السعيد تعريفا للجاهلية بانها: هي الحالة التي تكون عليها أمة قبل مجيئها هدى الله، والحالة التي تمتنع فيها أمة ما أو بعض أمة من الاستجابة لهدى الله.

حالة العرب الاجتماعية:

كان العرب قبل الاسلام، إلا القليل منهم، يعيشون عيشة البداوة وهؤلاء هم البدو، والقليل منهم سكنوا الأصقاع والقرى والمدن المتحضرة كاليمن ويثرب (المدينة) ومكة وعاشوا عيشة استقرار، وهؤلاء هم الحضر. والبدو من العرب سكنوا البادية وألفوا حياة التنقل والرحيل طلباً للكلأ والماء، وسكنوا بيوت الشعر والخيام واعتمدوا في معيشتهم على ما تنتجه ماشيتهم، كما اعتمدوا على الغزو كوسيلة من وسائل العيش، فكانت

---

[1] أمين، أحمد: فجر الاسلام، ص١

[2] فمن قحطان تفرع شعب كهلان وشعب حمير، ومن كهلان تفرعت قبائل طي وجذام والأزد، ومن حمير تفرعت قبائل قضاعة وتنوخ وكلب وجهينة. وتفرع من عدنان ربيعة ومضر، ومن ربيعة تفرعت قبائل أشهرها وائل واسد، ومن مضر تفرعت قبائل أشهرها قيس عيلان وتميم وهذيل وكنانة. المصدر السابق، ص٦ــ١٠.

[3] يصح إطلاق لفظ الجاهلية على العصر السابق لعصر النبي صلى الله عليه وسلم، فالجهل الذي هو ضد العلم إذا ما قيس عصر الجاهلية بعصر الاسلام، إذ مما لا ريب فيه أن عرب الجاهلية كانوا على جهل بالشرائع الحقة والأحكام العادلة والمثل العليا التي جاء بها الاسلام. زيدان، عبد الكريم: المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، ص١٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القبيلة تغير على الأخرى فتغنم الغالبة ما تجد عند المغلوبة من متاع وحيوان وتسبي نساءهم، وهذه الحياة وعادة الغزو والغارات جعلت البدو اقدر على القتال من الحضر وأكثر شجاعة منهم [١].

ومن عادات البدو عزوفهم عن التجارة والزراعة والصناعة واحتقارهم لها واعتبارها من المهن الخسيسة التي لا تليق بهم ولهذا لم يزاولوها، إلا أنهم اشتهروا، كما اشتهر الحضر أيضاً، بالشعر والخطابة والأمثال وسائر فنون اللغة العربية، وبرواية التاريخ وبرزوا في هذا كله واشتهروا به. وكان عندهم شيء من علم النجوم ومعرفة أوقات نزول المطر وهبوب الرياح، وتعلموا ذلك عن طريق التجربة بسبب اسفارهم وتنقلهم.

وبخلاف البدو، فقد سكن الحضر المدن كما قلنا، واستقروا فيها وزاولوا التجارة والزراعة وكانوا أرقى من البدو وأكثر منهم حضارة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما اعتادته قريش من الرحلة إلى الشام واليمن لغرض التجارة، قال تعالى: لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [٢].

أساس نظامهم الاجتماعي وبعض اوصافه:

كان العرب قبائل متفرقة، وكان نظامهم الاجتماعي يقوم على أساس القبيلة وما يترتب عليها من شيوع العصبية القبلية بين افرادها. والقبيلة ليست دولة ولا كياناً سياسياً وإنما هي وحدة اجتماعية تقوم على صلة القربى ورابطة الدم، ويخضع افرادها خضوعاً اختيارياً إلى رئيسهم بناء على ما تربطه بهم من رابطة النسب ولما كان يشتهر به عادة من الشجاعة والكرم ولولادته في بيت الرياسة.

وقد كان من نتائج العصبية القبلية تفاخرهم بالأنساب وتناصرهم على أشد ما يكون التناصر في الحق والباطل [٣]، فإذا ما ارتكب أحد افراد القبيلة جناية على آخر من قبيلة أخرى هبت قبيلة المجني عليه لنصرته والثأر له من الجاني وقبيلته، وكذلك تفعل قبيلة الجاني، تدافع عنه وتخاصم من أجله وإن كان هو الظالم الباغي. والتناصر القبلي ما كان يقف عند حد أفراد القبيلة المشتركين في النسب ورابطة الدم، بل كان يشمل ايضاً المحسوبين على القبيلة بسبب التبني او الحلف والموالاة أو بسبب الجوار. أما التبني فقد كان عادة مألوفة عند العرب وكان يتم بعقد من المتبني والمتبنى أو من ينوب عنه ولم تكن له شروط معينة من جهة العمر أو غيرها [٤]. أما الحلف والموالاة فكان يتم بعقد الموالاة أو الحلف بأن يقول أحدهما لصاحبه إذا حالفه: دمي دمك

---

[١] المصدر السابق.

[٢] سورة قريش، الآية ١ــ ٤.

[٣] رضا، محمد رشيد: تفسير المنار٥/٤٥٥.

[٤] الجصاص: أحكام القرآن ٢/٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وترثني وأرثك، فيتعاقدان الحلف على أن ينصر كل واحد منهما صاحبه فيدفع عنه ويحميه بحق كان ذلك او بباطل[1]. اما الجوار فكان يتم بأن يجير رئيس القبيلة أو أحد وجوهها من يأتي إليهم مستجيراً بهم.

وكان القتال كثيراً بين القبائل وينشب لأتفه الأسباب كجناية فرد من قبيلة على آخر من قبيلة أخرى فتثور الحرب بين القبيلتين استجابة لداعي العصبية. وساعد على كثرة القتال بين القبائل أن العرف القائم آنذاك أقر الغزو والنهب والسلب واعتبرها أموراً طبيعية وضرباً من ضروب الشجاعة، كما أقر قيام القبيلة بطلب الثأر لأحد افرادها من القبيلة الأخرى. كما أن حياة البداوة وشظف العيش وعدم وجود سلطة يخضع لها الجميع، واتخاذ الغزو وسيلة للعيش، كل ذلك سهل نشوب القتال بين القبائل وجرأ القوي على أكل الضعيف، ولهذا لجأت بعض القبائل إلى التحالف على السلم والتناصر فيما بينها إذا وقع اعتداء على إحداها. ومع ولعهم بالقتال فقد كان من تقاليدهم إيقاف حالة الحرب وتحريمها في الأشهر الحرم وهي ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب [2].

وكثرة الحروب بين القبائل جعل العرب يكبرون شأن الرجل ويستصغرون شأن المرأة، لأن الرجل أقدر على القتال منها، فهو الذي يباشر الحرب، ويركب الخيل ويحمل السيف ويرد على العدو ويحوز الغنيمة ويدافع عن شرف القبيلة. وقد ترتب على هذه النظرة للمرأة أن انحطت منزلتها وهضمت حقوقها وحرمت من الميراث، وحتى شاع بين بعض القبائل وأد البنات وهن في قيد الحياة خوفاً من وقوعهن بأيدي العدو سبايا حرب وفي هذا العار الذي لا يحتمل والفضيحة التي تنكس الرأس، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العادة القبيحة فقال تعالى: [وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ] [3]كما سجل القرآن إلى ما كان ينتاب أحدهم من الحزن العميق والحيرة والتردد بين الوأد وبين إبقاء الأنثى إذا ولدت امرأته انثى و لم تلد ذكراً، قال تعالى: [وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ][4]. وكما كان الوأد خوفاً من العار فقد كان أيضاً للفقر والعوز ويشمل الصغار إناثاً كانوا أو ذكوراً، قال تعالى: [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا][5].

وبالرغم مما كان عند العرب من الصفات الذميمة كالغزو ووأد البنات والعصبية القبلية، فقد كانت عندهم صفات حميدة وخلال جميلة، مثل الكرم والشجاعة والوفاء وإباء الضيم والأنفة والصدق وحماية الجار والعفو

---

[1] المصدر السابق ٢/٢٩٣.

[2] علي، جواد: تاريخ العرب قبل الاسلام ٥/٢٤٢.

[3] سورة التكوير: الآيتان ٨ــ ٩.

[4] سورة النحل: الآيتان ٥٨ــ ٥٩.

[5] سورة الاسراء: الآية ٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عند المقدرة وغير ذلك. كما كان عندهم إكرام الضيف وقد اعتبروه حقاً للضيف يجب أن يعطاه وأن إهمال هذا الحق أو التقصير فيه أو التغاضي عنه يعد مخالفة قبيحة للعادات والتقاليد القبلية الموروثة [1].

حالة العرب الدينية:

كان الشرك هو دين العرب العام والعقيدة السائدة، كانوا يعتقدون في الله أنه الاله الاعظم او الرب، لأنهم كانوا يقرون بالربوبية ويجحدون في الألوهية، فلئن سئلوا: من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم، قال تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ[2] ولكنهم بحثوا لهم عن وسطاء توسلوا بهم إلى الله وشركوهم في الدعاء، وقاموا نحوهم ببعض العبادات ورسخت في أذهانهم فكرة الشفاعة حتى تحولت إلى عقيدة قدرة الشفعاء على النفع والضرر. ثم ترقوا في الشرك فاتخذوا من دون الله آلهة، واعتقدوا أن لهم مماثلة ومشاركة في تدبير الكون، وقدرة ذاتية على النفع والضرر والخير والشر والإعطاء والمنع[3]، وانغمست الأمة في الوثنية وعبادة الأصنام بأبشع أشكالها، فكان لكلّ قبيلة[4] أو ناحية أو مدينة صنم خاص، بل لكلّ بيت صنم خصوصيّ [5].

وكان في جوف الكعبة- البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام لعبادة الله وحده- وفي فنائها، ثلاثمئة وستّون صنما، وتدرّجوا من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الحجر، من أيّ جنس كان، وكانت لهم آلهة من الملائكة والجنّ والكواكب، وكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، وأنّ الجنّ شركاء الله، فامنوا بقدرتهم وتأثيرهم وعبدوهم[6].

---

[1] زيدان، عبد الكريم: المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، ص١٩.

[2] سورة الزمر: الآية ٣٨.

[3] الندوي، أبو الحسن: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٤.

[4] فكان لهذيل بن مدركة: سواع، ولكلب: ود، ولمذحج: يغوث، ولخيوان: يعوق، ولحمير: نسر، وكانت خزاعة وقريش تعبد إسافاً ونائلة، وكانت مناة على ساحل البحر، تعظمها العرب كافة والأوس والخزرج خاصة، وكانت اللات في ثقيف، وكانت العزى فوق ذات عرق، وكانت أعظم الأصنام عند قريش. العودة، سلمان: الغرباء الأولون، ص٦٠.

[5] الكلبي: الأصنام، ص ٣٣.

[6] المصدر نفسه ص ٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحضارات السائدة قبل البعثة:

١-الإمبراطورية الرومانية: كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية تعرف بالإمبراطورية البيزنطية، فكانت تحكم دول اليونان والبلقان وآسيا وسوريا وفلسطين وحوض البحر المتوسط بأسره، ومصر وكل إفريقيا الشمالية، وكانت عاصمتها القسطنطينية، وكانت دولة ظالمة مارست الظلم والجور والتعسف على الشعوب التي حكمتها، وضاعفت عليها الضرائب، وكثرت الاضطرابات والثورات، وكانت حياتهم العامة قائمة على كل أنواع اللهو واللعب والطرب والترف. أما مصر فكانت عرضة للاضطهاد الديني والاستبداد السياسي، واتخذها البيزنطيون شاة حلوبا يحسنون حلبها، ويسيئون علفها.

وأما سوريا فقد كثرت فيهم المظالم والرقيق، ولا يعتمدون في قيادة الشعب إلا على القوة والقهر الشديد، وكان الحكم حكم الغرباء، الذي لا يشعر بأي عطف على الشعب المحكوم، وكثيرا ما كان السوريون يبيعون أبناءهم ليوفوا ما كان عليهم من ديون [١].

٢-الإمبراطورية الفارسية: كانت الإمبراطورية الفارسية تعرف بالدولة الفارسية أو الكسروية، وهي أكبر وأعظم من الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وقد كثرت فيها الديانات المنحرفة كالزرادشتية والمانية التي أسسها ماني في أوائل القرن الثالث الميلادي، ثم ظهرت المزْدكية في أوائل القرن الخامس الميلادي التي دعت إلى الإباحية في كل شيء؛ مما أدى إلى انتشار ثورات الفلاحين وتزايد النهابين للقصور فكانوا يقبضون أو يأسرون النساء ويستولون على الأملاك والعقارات فأصبحت الأرض والمزارع والدور كأن لم تسكن من قبل.

وكان ملوكهم يحكمون بالوراثة، ويضعون أنفسهم فوق بني آدم، لأنهم يعتبرون أنفسهم من نسل الآلهة، وأصبحت موارد البلاد ملكًا لهؤلاء الملوك يتصرفون فيها ببذخ لا يتصور، ويعيشون عيش البهائم، حتى ترك كثير من المزارعين أعمالهم أو دخلوا الأديرة والمعابد فرارًا من الضرائب والخدمة العسكرية، وكانوا وقودًا حقيرًا في حروب طاحنة مدمرة قامت في فترات من التاريخ دامت سنين طوال بين الفرس والروم لا مصلحة للشعوب فيها إلا تنفيذ نزوات ورغبات الملوك [٢].

٣-الهند: اتفقت كلمة المؤرخين على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا وسياسة - ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادي، فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد؛ لأن الدين أعطاها لونًا من القدس والتعبد، وكانت المرأة لا قيمة لها ولا عصمة، وانتشرت عادة إحراق المرأة المتوفى زوجها، وامتازت الهند عن أقطار العالم بالتفاوت الفاحش بين طبقات الشعب، وكان ذلك تابعا لقانون مدني سياسي ديني وضعه

---

[١] الندوي: السيرة النبوية، ص٣١.

[٢] الصلابي: السيرة النبوية١/١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشرعون الهنود الذين كانت لهم صفة دينية، وأصبح هو القانون العام في المجتمع ودستور حياتهم، وكانت الهند في حالة فوضى وتمزق، انتشرت فيها الإمارات التي اندلعت بينها الحروب الطاحنة، وكانت بعيدة عن أحداث عالمها في عزلة واضحة يسيطر عليها التزمت والتطرف في العادات والتقاليد، والتفاوت الطبقي والتعصب الدموي والسلالي[1]. وكان المجتمع الهندي راكدًا جامدًا، كان هناك تفاوت عظيم بين الطبقات وتمييز معيب بين أسرة وأسرة، وكانوا لا يسمحون بزواج الأيامى، ويشددون على أنفسهم في أمور الطعام والشراب، أما المنبوذون فكانوا يعيشون مضطرين خارج بلدهم ومدينتهم [2].

الحكمة الإلهية في اختيار الجزيرة العربية مهبطاً لآخر الرسالات:

لا بد قبل أن ندخل في الحديث عن سيرته صلى الله عليه وسلم، وعن الجزيرة العربية التي نشأ فيها وأختاره الله منها ـــ من أن نستجلي بعضاً من العوامل التي اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون بعثته صلى الله عليه وسلم في هذه البقعة من العالم دون غيرها، وان تكون نشأة الدعوة الإسلامية على يد العرب قبل غيرهم وهي كما يأتي: ـــ

١- تقع شبه الجزيرة العربية في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، ولذلك أصبح من المحتم أن تمر طرق المواصلات التي تربط بين آسيا وأفريقيا وأوربا عبر أراضيها. وقد كان لذلك تأثيره الكبير على الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية في شبه الجزيرة العربية في مختلف العصور[3]، وقد سهل لها هذا الموقع أن تنتشر الدّعوة إلى كامل بقاع العالم، ولو كانت في أقصى الشّرق أو الغرب لتعذّر وصولها.

٢- إحاطة المياه بها من جهات ثلاث، حيث يحيط بها من الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب بحر العرب، ومن الغرب البحر الأحمر، في حين كانت الجهة الرابعة صحراء قاحلة مجدبة تمتد لمسافات شاسعة، تهدد كل من يحاول اختراقها بالويل والثبور، وعلى الجملة لم تشهد الجزيرة العربية على مختلف العصور حملات استعمارية حاولت السيطرة عليها[4].

---

[1] الندوي: السيرة النبوية، ص٣٨.

[2] الصلابي: السيرة النبوية١/١٣.

[3] الدوري، عبد العزيز: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص ٢٩.

[4] نوري، موفق سالم: فقه السيرة النبوية، ص ١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن هذه العزلة التي حالت دون دخول الغرباء إلى الجزيرة، لم تمنع العرب أنفسهم من الخروج منها، بحكم أن هؤلاء امتلكوا مهارات ووسائل اقتحام الصحراء؛ فهم اهتدوا بالنجوم في رحلاتهم، وملكوا الجِمَال التي حملتهم إلى العراق والشام واليمن، ومثل هذه المهارات والوسائل وما قادت إليه، كان لها شأن مهم في علاقة المسلمين بهذه المناطق الشمالية فيما بعد [1].

٣- اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي لغة الدعوة الإسلامية، وقد أطلق على شبه الجزيرة هذه صفة " العربية " استناداً إلى اسم اللغة التي يتكلمها سكانها. فقد ذكر الهمذاني أن جزيرة العرب استمدت صفتها العربية من لسان أهلها، حيث أن " اللسان العربي في كلها شائع " [2].

٤- لم تتأثر طبائع العرب التي سكنت شبه الجزيرة العربية بأي مظهر من مظاهر الانحلال والاضطراب والشقاء والفلسفات والأفكار التي عاشتها الدولتان العظيمتان: فارس والرّوم، ومن ورائهما اليونان والهند.

---

[1] المصدر نفسه، ص ١٤.

[2] الهمذاني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الأول

النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة

الفصل الاول

استعراض حياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ الولادة حتى البعثة

النسب الشريف:

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ[1]. وأمه آمنة بنت وهب من بني زهرة ويلتقي نسب أمه بنسب أبيه في كلاب بن مرّة [2].قال تعالى: [اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ] [3].

وأورد مسلم الحديث الصحيح، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» [4]. وقال صلى الله عليه وسلم أيضا في حديث آخر: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ[5] بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا[6]، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» [7].

الولادة الميمونة:

تُفيدُ أوثقَ الرواياتِ التي ذَكرتْ مَولدهُ صلى الله عليه وسلم أنه ولد يَوْم الِاثْنَيْنِ [8] في الثَّاني عشر مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ [1] مِنْ عَامَ الْفِيلِ [2].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مبعث النبي ٥/ ٤٤.

[2] الدبيسي: السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١٤٧/١.

[3] القرآن الكريم- سورة الأنعام، الآية/ ١٢٤.

[4] صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَابُ فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،١٧٨٢/٤، حديث ٢٢٧٦.

[5] قرون: جمع قرن وهو الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد. وقيل هو مائة سنة وقيل غير ذلك.

[6] قرنا فقرنا: أي نقيت من القرون وأفضلها حال كونها قرنا بعد قرن.

[7] صحيح البخاري:كتاب المناقب، باب صفة النبي،١٨٩/٤، حديث ٣٥٥٧.

[8] قال صلى الله عليه وسلم: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ -» صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن القرائن التاريخية التي تتصل بالروايات التي تفيد أن مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل قوية، وقد ذهب ابن القيم إلى القول بأنه: « لَا خِلَافَ أَنَّهُ وُلِدَ صلى الله عليه وسلم بِجَوْفِ مَكَّةَ، وَأَنَّ مَوْلِدَهُ كَانَ عَامَ الْفِيلِ، وَكَانَ أَمْرُ الْفِيلِ تَقْدِمَةً قَدَّمَهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ وَبَيْتِهِ، وَإِلَّا فَأَصْحَابُ الْفِيلِ كَانُوا نَصَارَى أَهْلَ كِتَابٍ، وَكَانَ دِينُهُمْ خَيْرًا مِنْ دِينِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عُبَّادَ أَوْثَانٍ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ نَصْرًا لَا صُنْعَ لِلْبَشَرِ فِيهِ، إِرْهَاصًا وَتَقْدِمَةً لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذِي خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَتَعْظِيمًا لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ » [٣].

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع مرضعته:

اعْتادَ الحَضَرْ مِنْ العَرَبْ أَنْ يَلتَمِسُوا المَراضِع لأطفالهمْ في البادِيةِ للابْتِعادِ بِهِمْ عَنْ أمراضِ الحواضِرِ، فَتَقوى أَجْسامَهمْ، وَتَشتَدَّ أَعصابهم بِفعلِ صفاءِ الهواءِ ونَقائِه، كما يَنْشأ الطِّفْل أفْصحُ لِساناً وأسلسُ عبارةً.

وقَدْ صَحَّ أَنَ ثَويبةَ مَولاةَ أَبِي لَهَبٍ أَرْضَعَتهُ، كما ثَبتَ أَنَّ عَمَّه حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كان أَخَاهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ [٤]، كما صَحَّ أَنَّ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ أَرْضَعَتهُ، وعاشَ مَعَها في الْبَادِيَةِ [٥].

وعندما بَلَغَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم سِنِّ الفطام؛ أَي: سَنَتَيْنِ، أعادَتْهُ حَلِيمَةُ إلى أُمِّهِ في مَكَّةَ وهي تتمنى أَنْ تُقنعها كَيْ تَتْركه في حَضانَتِها مُدَّةً أَطْوَلَ، ونَجَحتْ في ذَلِكَ، فَعادَتْ مَعَ الطِّفْل إلى مَضارِبِها والْفَرَح بادٍ على وَجهِهَا [٦].

---

[١] الماوردي: اعلام النبوة ٢٠٧/١. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ٨٣/١.ابن كثير: السيرة النبوية ١٩٩/١. الندوي: السيرة النبوية ١٥٧/١. مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار ٧٠/١.

[٢] الحاكم- المستدرك ٢/ ٦٥٨،حديث ٤١٨٠. الطبراني: المعجم الكبير ٤٧/١٢، حديث ١٢٤٣٢، جامع الاصول ٢١٦/١١، حديث ٨٧٧٢، البيهقي: دلائل النبوة ٧٤/١. واورد الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة، الحديث٣١٥٢- (وُلِدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عام الفيل).

قال ابن كثير: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ فَقِيلَ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ، وَقِيلَ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ بِخَمْسِينَ يَوْمًا- وَهُوَ أَشْهَرُ-.أنظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٦٢) طبعة دار الفكر – ١٩٨٦م.فلم يذكر ابن كثير أحداً قال: بأنه ولد يوم الفيل والله أعلم.

[٣] ابن القيم- زاد المعاد ١/ ٧٦.

[٤] الطبراني: المعجم الكبير١٣٧/٣، حديث ٢٩١٧. الرحيق المختوم ٤٥/١. السهيلي: الروض الانف ١٥٠/٢. العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١٠٢/١. ابو شهبة: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢٤٥/٢.

[٥] الاغصان الندية ٢٧/١. الإملاء المختصر في شرح غريب السير ٣٥٢/١. الجامع الصحيح للسيرة النبوية ٤٥٧/٢.الندوي: الرسالة المحمدية ١١٨/١.

[٦] ابن هشام: السيرة ١٦٤/١. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١١١/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتعلم رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في بادية بَنِي سَعْدٍ اللِّسَان العربي الفَصيح، وأصْبَحَ فيما بَعْد مِنْ أفصح الخلق، فعندما قال له أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَا رَسُول الله ما رَأَيْتُ أفْصَحَ منك. فقال صلى الله عليه وسلم: « وَمَا يَمْنَعُنِي، وَأَنَا مِنْ قُرَيْشٍ، وَأُرْضِعْت فِي بَنِي سَعْدٍ » [1].

معجزة شق الصدر:

وقَدْ حَدثَتْ مُعْجِزَةُ شق صدره صلى الله عليه وسلم وغَسَلَ قَلْبَهُ ولَأَمَهُ مَرَّتَيْنِ، الْأُولَى عِنْدَما كَانَ طِفْلاً في الرَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ [2]. وقد روى أبن حبان في صحيحه خبر معجزة الشق الأول هذا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ قَلْبَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: «هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ مُنْتَقِعَ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ صلى الله عليه وسلم »[3].

ولا شكَّ في أَنَّ التطهير من حَظّ الشَّيْطَانِ هو إرهاص مُبَكِرْ للنبوّة، وإعداد للعِصْمَةِ مِنْ الشَّرِّ وعِبادةِ غَيْرِ الله. فَلَا يَحِلُّ فِي قَلْبِهِ شيء إلّا التَّوْحِيد، وقَدْ دلّتْ أَحْدَاث صِباهُ على تَحققْ ذَلِكَ، فلمْ يَرتكِبْ إثماً، و لَمْ يَسجدْ لِصنمْ. أمّا مُعْجِزَةُ شقّ الصدر الثَّانِيَة فكانت لَيْلَة الْإِسْرَاء [4].

استكمال يتمه:

تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ بِالْأَبْوَاءِ بين مَكَّة وَالْمَدِينَة وهو في السَّادِسَة مِنْ عُمْرِهِ [5]. وقَدْ تَرَكَ يُتْم النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي نَفسه أعْمَق الْأَثر فكانَ قَدْ وُلِدَ يَتِيمٌ الْأَب، ثُمَّ فَقدَ أُمُّهُ في طُفولَتِهِ، فَكَفلهُ جَدَّهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ

---

[1] السهيلي: الروض الانف ١٦٧/٢. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ١٩٢/١.ابن هشام: السيرة ١٦٣/١.

[2] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١٠٤/١. السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة ١٩٤/١.ابن كثير: السيرة النبوية ٢٣١/١. المختصر الكبير في سيرة الرسول ٢٥/١. عماد الدين خليل:دراسة في السيرة، ص٣٢.

[3] صحيح ابن حبان: باب ذكر شق جبريل عليه السلام صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم في صباه ٢٤٣/١٤، حديث ٦٣٣٤.

[4] البيهقي: دلائل النبوة ١٣٦/١. مسند الامام احمد ٢٥٢/١٩. الحجة في بيان المحجة ٥٤١/١. الجامع الصحيح للسيرة النبوية ١٩٠/١. السيوطي: الخصائص الكبرى ١١٢/١.

[5] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١٠٥/١. الدبيسي: السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١٩٦/١. السيرة الحلبية ١٥١/١. الندوي: السيرة النبوية ١٦٣/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورَعاهُ [١]، غَيْرَ أنَّ جَدِّهِ مَا لَبِثَ أن تُوفِيَّ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى وَلَده أَبَا طَالِبٍ برعايَتِهِ [٢]. وكَانَ صلى الله عليه وسلم قَدْ بَلَغَ الثَّامِنَة، ولَا شَكَّ فِي أَنَّ أَثَرَ ذلك كَانَ كَبِيرًا على أحاسيسه، لِما كَانَ يحبوه به جَدِّهِ مِنْ العَطفِ والرِعايةِ [٣].

عمله صلى الله عليه وسلم في الرعي:

عمد مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ أن أَضْحَى يعيش في كَنَفِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إلى مُساعَدتهِ، ولا سِيّما أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كانَ في أَشدِّ الْحَاجَةِ للمُساعَدة لفقرهِ وكَثْرَةِ عياله، فاشْتَغلَ برَعي الأغنام في شِعَابِ مَكَّةَ وفِجاجها. وقَدْ ثَبتَ في الحَدِيث الصَّحِيح قيامه بهذا الْعَمَلِ، حيث روى البخاري في صَحيحهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ [٤]لِأَهْلِ مَكَّةَ»[٥].

وفي رَعيّ الغَنَم ما فِيهِ مِنْ تَهيئةِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعالى لِنبيهِ لِتلقي الرسالةِ والقيامِ بأمرِ الدعوةِ. ويورد الحافظ ابن حجر فِي شَرْحِهِ للحديث خلاصة أَقْوَال الْعلمَاء في ذَلكَ فيقول: « الْحِكْمَةُ فِي إِلْهَامِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَعْيِ الْغَنَمِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ أَنْ يَحْصُلَ لَهُمُ التَّمَرُّنُ برَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتِهَا مَا يُحَصِّلُ لَهُمُ الْحِلْمَ وَالشَّفَقَةَ لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيِهَا وَجَمْعِهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقْلِهَا مِنْ مَسْرَحٍ إِلَى مَسْرَحٍ وَدَفْعِ عَدُوِّهَا مِنْ سَبُعٍ وَغَيْرِهِ كَالسَّارِقِ وَعَلِمُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَشِدَّةَ تَفَرُّقِهَا مَعَ ضَعْفِهَا وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى الْمُعَاهَدَةِ أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَى الْأُمَّةِ وَعَرَفُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَتَفَاوُتَ عُقُولِهَا فَجَبَرُوا كَسْرَهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُدَ لَهَا فَيَكُونُ تَحَمُّلُهُمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَلَ مِمَّا لَوْ كُلِّفُوا الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ لِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّدْرِيجِ عَلَى ذَلِكَ بِرَعْيِ الْغَنَمِ وَخُصَّتِ الْغَنَمُ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أَضْعَفَ مِنْ غَيْرِهَا وَلِأَنَّ تَفَرُّقَهَا أَكْثَرُ مِنْ تَفَرُّقِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ لِإِمْكَانِ ضَبْطِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ بِالرَّبْطِ دُونَهَا فِي الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ وَمَعَ أَكْثَرِيَّةِ تَفَرُّقِهَا فَهِيَ أَسْرَعُ انْقِيَادًا مِنْ غَيْرِهَا » [٦].

---

[١] المقريزي: امتاع الاسماع ١٣/١. السهيلي: الروض الانف ١٨١/٢. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢٠٧/١.

[٢] ابن سعد: الطبقات ١/ ١١٧- ١١٩.الندوي: السيرة النبوية ١٦٣/١. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ١٧٣/١. عماد الدين خليل:دراسة في السيرة، ص٣٣.

[٣] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١٠٦/١. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢٠٧/١. الصحيح من احاديث السيرة النبوية ١٥/١.

[٤] قراريط: جمع قيراط وهو جزء من النقد وقيل قراريط اسم موضع قرب جياد بمكة.

[٥] صحيح:صحيح البخاري:كتاب الاجارة، باب رعي الغنم على قراريط ٨٨/٣، حديث رقم ٢٢٦٢.

[٦] ابن حجر: فتح الباري ٤٤١/٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقاء الرَّاهِبِ بحِيرَا بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو غلام:

خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ - يَعْنِي بَحِيرَى - هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخرج إِلَيْهِم الراهب وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ وَلَا يَلْتَفِتُ الَيْهِمْ.

قَالَ: فَنَزَلَ وَهُمْ يُحِلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ.

وَفِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ زِيَادَةٌ: هَذَا رَسُولُ رب الْعَالمين، بَعثه اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالِمِينَ.

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَقَالَ إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ من الْعقبَة لم يبْق شجر وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدُونَ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ. ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ - وَكَانَ هُوَ فِي رَعْيَةِ الْإِبِلِ - فَقَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ. فَأَقْبَلَ وَغَمَامَةٌ تُظِلُّهُ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ قَالَ: انْظُرُوا إِلَيْهِ عَلَيْهِ غَمَامَةٌ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وجدهم قد سَبَقُوهُ إِلَى فئ الشَّجَرَة فَلَمَّا جلس مَال فئ الشَّجَرَة عَلَيْهِ. قَالَ: انْظُرُوا إِلَى فئ الشَّجَرَة مَال عَلَيْهِ.

قَالَ فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِم عَلَيْهِم وَهُوَ ينشدهم أَلَّا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَقَتَلُوهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِسَبْعَةِ نَفَرٍ مِنَ الرُّومِ قَدْ أَقْبَلُوا.

قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَقَالَ مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ نَاسٌ، وَإِنَّا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ إِلَى طَرِيقِكَ هَذِهِ.

قَالَ: فَهَل خلفكم أحد هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: لَا إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ إِلَى طَرِيقِكَ هَذِهِ.

قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ فَقَالُوا: لَا.

قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ عِنْدَهُ.

قَالَ: فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ. فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ[1].

---

[1] الالباني: صحيح السيرة النبوية ص٢٩-٣٠، ودفاع عن الحديث النبوى ص ٦٢ - ٧٢، والمشكاة/٥٩١٨، وتخريج الالباني لفقه السيرة للغزالي ص٦٩-٧٠ حيث قال: بل هي صحيحة، فقد أخرجها الترمذي: ٤/ ٢٩٦، من حديث أبي موسى الأشعري، وقال: «هذا حديث حسن». قلت (اي الالباني): وإسناده صحيح.وللمزيد انظر: - (حادثة الراهب المسمّى "بحيرا" حقيقة لا خرافة) للالباني المنشور في "مجلة التمدن الإسلامي" (٢٥/ ١٦٧/- ١٧٥). - (حديث تظليل الغمام له أصل أصيل) له المنشور في "مجلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة:

ولّما سَرتْ أَخْلاقُ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم في أَرْجاءِ مَكَّةَ، وَعرفَ القاصِيْ والدانِيْ أَمَانَتِهِ وصِدْقِهِ وَحُسْنِ خُلُقِه رَغِبَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ في أَنْ يُديرْ لَها تِجارَتِهَا. وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ من خيرة نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا، فَاخْتَارَتِ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم لِيُتاجرَ لَهْا في أموالِهْا. وقَدْ سافَرَ بِتِجارَتِهَا مَرَّتَيْنِ إلى بِلَادِ الشَّامَ وإلى سوقِ حُبَاشَةَ بتِهَامَةَ جنُوب مَكَّةَ، فَرَبِحَتْ تِجارَتِهَا رِبْحًا كَثِيرًا بِفَضْلِ إدارَتِه صلى الله عليه وسلم وكانَ غُلَامِهَا مَيْسَرَةَ قد صَحِبَهُ في تِلْكَ الرِحلاتْ فَلَمَّا عَادَ حَدَّثَهَا بما شاهَدَهُ مِنْ أَخْلَاقِهِ وصِدقِهِ وأَمَانَتِهِ، الْأَمْر الَّذِي رَغَّبَها في الزَّوَاجِ مِنْهُ، فأرسَلتْ إليهِ من أفصحَ لَهُ عن رَغْبَتِها، فأبْدى رَغْبَتَهُ في الزَّوَاجِ منها وعَرضَ الأمْرَ على أَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ، فَتَزَوَّجَهَا [1].

نزول الوحي والبعثة النبوية:

بَدْء نزُول الْوَحْي عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وعُمْرَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً [2]. وقِصَّة بَدْء نزُول الْوَحْي على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثابتة بنص في الصحيحين مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ [3]فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[4]، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ[5]، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ[6] فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ [7]إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ

المسلمون"(٦/٧٩٣-٧٩٧). مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية١/١١٩- ١٢٢. ابراهيم العلي: صحيح السيرة النبوية١/٤٤.

[1] ابن هشام: السيرة ١/ ١٨٩. الحاكم: المستدرك ٣/ ١٨٢، ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ١٥٥- ١٥٧.سبل الهدى والرشاد ١/٩. عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص٣٧.

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة٤/٨٣٣.الخضري:نور اليقين١/٢٥. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ١/٩٩. ألعمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/١٢٤. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١/٢٦٥. سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَامِ ١/٧٠.

[3] الصالحة: الصادقة وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها.

[4] فلق الصبح: ضياؤه ونوره ويقال هذا في الشيء الواضح البين.

[5] الخلاء: الانفراد.

[6] بغار حراء: الغار هو النقب في الجبل وحراء اسم لجبل معروف في مكة.

[7] ينزع: يرجع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ[1]»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[2] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ[3] ثُمَّ أَرْسَلَنِي[4]، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ] [5].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ[6]، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي[7]» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[8]، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ [9] اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ[10]، وَتَحْمِلُ الكَلَّ[11]، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ[12]، وَتَقْرِي الضَّيْفَ[13]، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ[14]، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ[15] فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[16] الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا[17] جَذَعًا[18]، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا

---

[1] ما أنا بقارىء: لا أعرف القراءة ولا أحسنها.

[2] فغطني: ضمني وعصرني حتى حبس نفسي.

[3] الجهد: غاية وسعي.

[4] أرسلني: أطلقني.

[5] سورة العلق: الآيات ١ – ٥.

[6] يرجف فؤاده: يخفق قلبه ويتحرك بشدة.

[7] زملوني: لفوني وغطوني.

[8] الروع: الفزع.

[9] ما يخزيك: لا يذلك ولا يضيعك.

[10] لتصل الرحم: تكرم القرابة وتواسيهم.

[11] تحمل الكل: تقو بشأن من لا يستقل بأمره ليتم وغيره وتتوسع بمن فيه ثقل وغلاظة.

[12] تكسب المعدوم: تتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.

[13] تقري الضيف: تهيء له القرى وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب.

[14] نوائب الحق: النوائب جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات وأضيفت إلى الحق لأنها تكون في الحق والباطل.

[15] تنصر: ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية.

[16] الناموس: هو صاحب السر والمراد جبريل عليه السلام سمي بذلك لاختصاصه بالوحي.

[17] فيها: في حين ظهور نبوتك.

[18] جذع: شاب والجذع في الأصل الصغير من البهائم ثم استعير للشاب من الإنسان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ[1] أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[2]. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[3] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ[4].[5]

وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا [6] كَيْ يَتَرَدَّى [7] مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ [8]، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى [9] لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ [10]، وَتَقِرُّ [11] نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ [12].

لقد كانَ بدءُ نزولِ الوَحْيِ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ونزول صدر سورة «اقرأ» نقطةَ تحولٍ في تاريخِ الْبَشَرِيَّةِ، نَقلتْها من طَرِيقِ الاعوجاجِ و الظَّلَامِ إلى طَرِيقِ الْهُدَى والنُّورِ، طَرِيقِ الله الْمُسْتَقِيمِ المؤدي إلى النَّجَاةِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ويعلقُ أحدُ الباحثينَ على ذَلكَ بقولهِ: «لَقدْ تَحولَ خَطُ التاريخِ كما لَمْ يتحولْ مِنْ قَبلُ قط، وكما لَمْ يتحولْ مِنْ بَعدُ أيضاً، وكان هذا الحدث هو مفرقُ الطريقِ. وقامتْ المعالمُ في الْأَرْضِ واضحةً عَالِيَةً لا يَطمسها الزمانُ، ولا تَطمِسها الأحداثُ. وقامَ في الضَّمِيرِ الإنساني تَصورٌ للْوُجُودِ وللحياةِ وللقيم لَمْ يَسبقْ أنْ اتضحَ بمثلِ هذه الصورة، و لم يجئ بَعدهُ تَصورٌ في مثلِ شمولِهِ ونصاعَتِهِ وطلاقتهِ مِنْ اعتباراتِ الْأَرْضِ جميعاً، مَعَ واقعيتهُ وملاءمتهُ للحياةِ الإنسانيةِ.

---

[1] يومك: يوم إخراجك أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك.

[2] مؤزرا: قويا من الأزر وهو القوة.

[3] ينشب: يلبث.

[4] فتر الوحي: تأخر عن النزول مدة من الزمن.

[5] صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ١/٧، حديث ٣.

[6] غدا منه مرارا: ذهب بسبب ذلك الحزن عدة مرات.

[7] يتردى: يسقط نفسه.

[8] شواهق الجبال: مرتفعاتها العالية.

[9] تبدى: ظهر.

[10] جأشه: اضطرابه.

[11] تقر: تطمئن وتهدأ.

[12] صحيح:صحيح البخاري:كتاب التعبير، بَابُ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ٩/٢٩، حديث (٦٩٨٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقَدْ إسْتقرَتْ قَواعِد هَذا أَلمَنهَجْ الإلهي فِي الْأَرْضِ وتَبيَنتْ خُطوطهُ ومَعالِمَهُ [لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ][1]. لا غُموضَ ولا إبْهامْ. إنّما هُوَ الضَلالُ عَنْ عِلمٍ، والانْحرافُ عَنْ عَمدٍ، والالتواءُ عَنْ قَصْدٍ. إنَهُ الحادِثُ الفَذُّ في تِلكَ اللحْظَةِ الفَريدةِ. الحادثُ الكونيُّ الذي إبتدأ به عَهدٌ في هَذهِ الْأَرْضِ وانتَهى عَهدٌ. والذي كانَ فُرقاناً في تاريخِ الْبَشَرِ لا في تاريخِ أُمَّة ولا جيلٍ. والذي سَجلتهُ جَنباتُ الْوُجُودِ كُلَّهُ وهي تتجاوب به، وسَجلَهُ الضَّمِيرَ الإنساني. وبَقِيَّ أنْ يَتلفتَ هذا الضَّمِيرَ اليوم على تلك الذِّكْرَى الْعَظِيمَةِ ولا ينساها وأن يَذْكُرَ دائِماً أنهُ مِيلَادٌ جديدٌ للإنسانيةِ لَمْ يَشهدَهُ إلاّ مَرَّةً وَاحِدَةً في الزَمانِ»[2].

أيقنَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ بَعدَ أَنْ نَقشَتْ تَلكَ الآياتِ مِنْ سُورةِ «اقرأ» في صَدرهِ، وبَعدَ حَديثِ ورقةَ بنْ نَوفلْ لَهُ، وازدادَ يقينهُ بَعدَ نُزولِ الآياتِ الأولى مِنْ سورةِ الْمُدثرْ، فقد روى جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ، وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[3] (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ [4]فَاهْجُرْ) [5] فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ [6][7].

وهذه الآيات الأولى مِنْ سورةِ المدثرِ فيها الأمر من اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بإنذارِ البَشرِ ودَعْوَتُهُمُ إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فهي تُمثلُ في حياةِ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم حدّاً فاصلاً بينَ عهدين، عهدٌ ما قبلَ الْبَعْثَةِ الذي يمثلُ أكثرَ عمرهِ صلى الله عليه وسلم والذيْ لَمْ يكنْ فيهِ مكلفاً من اللَّهِ تَعَالَى بشيء. وعهدٌ ما بَعدَ الْبَعْثَةِ الذي يُمثلُ أخطرَ وأصعبَ مَرْحَلَةً في حياتهِ صلى الله عليه وسلم لأنها مرحلةِ تغيير طَرِيقِ الْبَشَرِيَّةِ وهي مَرْحَلَة خطيرة عندما نتصورها بِكُلِ أبعادِها فَها هيَ الْأَوَامِرِ الربانية تأمره صلى الله عليه وسلم أنْ يَتركَ عَهْدَ النومِ وأنْ يَشمرَّ عَنْ ساعدِ الجدِّ، ليسَ لتغيير عقيدةَ قَوْمِهِ فَحَسبْ، بلْ لتغيير مسارِ الْبَشَرِيَّةِ بأكملهِ، ونقلِ تلكَ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ طريقِ الْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ الذي كانت تتردى فيه، إلى طَرِيقِ النَّجَاةِ الذي

---

[1] سورة الانفال: الآية٤٢.

[2] في ظلال القرآن: تفسير سورة العلق ٦/٣٩٣٦.

[3] المدثر: المتلفف بثيابه.

[4] والرجز فاهجر: الرجز في اللغة ألذنب والإثن والعذاب والمراد به هنا الأوثان وسميت رجزا لأنها سببه والهجر الترك والمعنى بالغ واستمر في تركك للأوثان. والآيات أوائل سورة المدثر.

[5] سورة المدثر: الآيات ١- ٥.

[6] فحمي الوحي وتتابع: كثر نزوله ومجيئه.

[7] صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ١/٧، حديث ٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يؤدي إلى سعادة الدُّنْيَا والنَّجَاةِ العظمى في الأخرى. وهذه الْمُهِمَّةِ، وهذا التَّكْلِيفُ الإلهي لَمْ يكنْ يسيراً بلْ كانتْ دونهُ مِنْ الصعوباتِ والأخطارِ ما لا يستطيعهُ أحدٌ سوى مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم الذي اخْتَارَهُ الله تعالى لهذه الْمُهِمَّةِ الشاقة ونجحَ فيها- كما يشهد التاريخُ- أيّمّا نجاحٍ، ووضعِ الْبَشَرِيَّةِ على الطريقِ الصحيحِ وأوضح لها السَّبِيلَ الْحَقَّ، وأنارَ لها الطريقَ و لَمْ يَعدْ لفردٍ أو جماعةٍ أو فئةٍ عُذرٌ في تنكبِ طَرِيقِ الْحَقِّ والزَّيْغِ عن الْهُدَى والنُّورِ.

وقد ثبتَ أَنَّ الوَحْيِ قد نَزَلَ عَلَيْهِ أول ما نزل يَوْمَ الِاثْنَيْنِ [1]. كما أن الْمَشْهُور أن ذلك قد حصل في شَهْرِ رَمَضَانَ. قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ} [2]. والوَحْيِ إلى مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم نظير الوَحْيِ الإلهي إلى الْأَنْبِيَاء السَّابقين، قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً} [3].

وكان الرَسولُ صلى الله عليه وسلم يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً [4]، وكان جَبِينَهُ يتفصَّدُ عَرَقاً فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، وكان وَجهه يتَغَيَّر ويكرب [5]، وجسْمه يَثْقَل يَقُول زَيْدِ بْنِ ثَابت: « فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي » [6]. وكانَ يُرَكِزْ ذِهْنهُ بشدّةَ لِحفْظِ الْقُرْآنِ، فيُحَرِّكُ به لِسانَهُ وشَفَتَيْهِ، فنزلتِ الآية: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ}[7].

كان حَرْص النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم على تَبْلِيغِ الْقُرْآن الْكَرِيم يَدْفَعُهُ إلى التَعجلِ في تَلقيّهِ والشوق إليهِ، وقد بَيّنتْ ذَلكَ الآية {وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} [8].

---

[1] الاغصان الندية ١/٥٧.ألعمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/١٢٤. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١/٢٦٥. سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأَنام ١/٧٠. الصحيح من احاديث السيرة النبوية ١/٣٣.

[2] سور البقرة: الآية ١٨٥.

[3] سورة النساء: الآية ١٦٣.

[4] البيهقي: الاسماء والصفات ١/٥٠١، حديث ٤٢٨.النسائي: السنن الكبرى ١/٤٨١، حديث ١٠٠٩.جامع الاصول ٢/٤٢٠،حديث ٨٦٧. صحيح ابن حبان ١/٢٢٦، حديث ٣٩.

[5] جمع الفوائد من جامع الأصول٢/٥٣٠، حديث ٦٣٧٩. عمدة القاري ١/٤٣. ذخائر العقبى في شرح المجتبى ١٢/١١٦. التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢/٢٣٠. المختصر الكبير في سيرة الرسول ١/٣٥.

[6] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ٤/٢٥، حديث ٢٨٣٢.

[7] سورة القيامة: الآيات ١٦- ١٩.

[8] سورة طه: الآية ١١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان الْوَحْيُ يَأْتِيهِ فِي الْيَقَظَةِ، وَلَقَدْ أوضحَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ يَأْتِيهُ الْوَحْيُ حِينَ قَالَ: « أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ – وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ – فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ » [1]. وَلَقَدْ إِسْتَغْرَقَ نُزُولِ الْوَحْيِ ثَلاَثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، منها ثَلاَثَةَ عَشَرَ عَامًّا بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَة وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ [2]وعَشْرِ سِنِينَ فِى الْمَدِينَةِ وَهُوَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ [3].

[1] صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي ٦/١، حديث ٢.البيهقي: السنن الكبرى ٨٤/٧، حديث ١٣٣٤٢.سنن الترمذي ٣٢/٦، حديث ٣٦٣٤. الجامع الصحيح للسيرة النبوية ٥٨١/٣.

[2] الصحيح من احاديث السيرة النبوية ٣٣/١. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١١٨/١. جامع الأصول ٥١٥/٢. العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١٢٩/١. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ١١/١.

[3] ابن كثير: السيرة النبوية ٣٣٨/١. المنهاج شرح صحيح مسلم ٢١/١٥.شرح بلوغ المرام ٢/١٥٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

المستفاد من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من الميلاد إلى البعثة

المستفاد من نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

١- يتضح لنا من نسبه الشريف، دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى ميز العرب على سائر الناس، وفضل قريشًا على سائر القبائل الأخرى، ومقتضى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها، لا من حيث الأفراد والجنس بل من حيث الحقيقة المجردة؛ ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية، قد شرف كل منها – ولا ريب– بانتساب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، ولا ينافي ذلك ما يلحق من سوء بكل من قد انحرف من العرب أو القرشيين، عن صراط الله عز وجل، وانحط عن مستوى الكرامة الإسلامية التي اختارها الله لعباده، لأن هذا الانحراف أو الانحطاط من شأنه أن يودي بما كان من نسبة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ويلغيها من الاعتبار[١].

٢- طيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويجعله يهتم بمعاليها وفضائلها، والرسل والدعاة يحرصون على تزكية أنسابهم وطهر أصلابهم، ويُعرفون عند الناس بذلك فيحمدونهم ويثقون بهم[٢].

٣- أنه كلما كان الداعية إلى الله، أو المصلح الاجتماعي في شرف من قومه، كان ذلك أدعى إلى استماع الناس له، فإن من عادتهم أن يزدروا بالمصلحين والدعاة إذا كانوا من بيئة مغمورة، أو نسب وضيع، فإذا جاءهم من لا ينكرون شرف نسبه، ولا مكانة أسرته الاجتماعية بينهم، لم يجدوا ما يقولونه عنه إلا افتراءات يتحللون بها من الاستماع إلى دعوته، والإصغاء إلى كلامه، ولذلك كان أول ما سأل عنه هرقل أبا سفيان بعد أن أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام هو وقومه: كيف نسبه فيكم؟ فأجاب أبو سفيان وهو يومئذ على شركه: هو من أشرفنا نسبا، ولما انتهى هرقل من أسئلته لأبي سفيان، وسمع جوابه عنها، أخذ يشرح له سر الأسئلة التي توجه بها إليه حول محمد « رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال له هرقل: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.[٣]صحيح

---

[١] البوطي: فقه السيرة النبوية، ص٥٠.

[٢] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص١٠٢.

[٣] رواه البخاري واللفظ له – كتاب بدء الوحي – باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟/الحديث/٧. وأخرجه الامام احمد في المسند، والترمذي (٢٧١٧)، وابن منده في "الإيمان" (١٤٣)، والبيهقي في "الدلائل" ٤/٣٨١-٣٨٣ من طرق عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن أبي سفيان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن الإسلام لا يقيم وزنا لشرف الأنساب تجاه الأعمال، ولكن هذا لا يمنع أن يكون الذي يجمع بين شرف النسب وشرف الفعل، أكرم وأعلى مكانا وأقرب نجاحا، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » .

المستفاد من استكمال يُتمْ النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

أن في تحمل الداعية آلام اليتم أو العيش، وهو في صغره ما يجعله أكثر إحساسا بالمعاني الإنسانية النبيلة، وامتلاءً بالعواطف الرحيمة نحو اليتامى أو الفقراء أو المعذبين، وأكثر عملا لإنصاف هذه الفئات والبر بها والرحمة لها، وكل داعية يحتاج لأن يكون لديه رصيد كبير من العواطف الإنسانية النبيلة التي تجعله يشعر بآلام الضعفاء والبائسين، ولا يوفر له هذا الرصيدَ شيءٌ مثلُ أن يعاني في حياته بعض ما يعانيه أولئك المستضعفون كاليتامى والفقراء والمساكين، لذلك اقتضت حكمة الله ان ينشأ رسوله يتيماً، تتولاه عناية الله وحدها، بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله، والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فيلتبس عن الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني [1] وكانت المصائب التي أصابت النبي صلى الله عليه وسلم منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة، كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور، وتجعلها أكثر رقة وتواضعاً[2].

الحكمة الإلهية من حادثة شق الصدر:

لاشك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً، و لم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش [3].

ويبدو أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيؤه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته، إنها إذن عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت

---

[1] البوطي: فقه السيرة، ص٥١.

[2] الصلابي: السيرة النبوية ١/٥٤.

[3] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/١٠٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم[1]، إن إخراج العلقة منه تطهير للرسول صلى الله عليه وسلم من حالات الصبا اللاهية العابثة المستهترة، واتصافه بصفات الجد والحزم والاتزان وغيرها من صفات الرجولة الصادقة، كما تدلنا على عناية الله به وحفظه له، وأنه ليس للشيطان عليه سبيل[2].

ما يستفاد من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم مع مرضعته حليمة إلى بادية بني سعد:

١- إن إرسال الأطفال مع المرضعات إلى البادية كان عادة قرشية تمارسها الأسر الموسرة في مكة، وقد ذُكر أن من أسباب هذه العادة حرص أهل مكة على ان ينشأ أطفالهم في جو صحي بعيد عن الوباء، ومن أجل أن يتعلموا فصاحة اللسان وخشونة العيش، لقد كان أهل مكة بحكم مركزها الديني والتجاري مدينة يلتقي فيها أناس من قبائل وأجناس مختلفة مما يؤثر على لهجات وعادات أهلها [3]، فضلاً عن احتمال نقل عدوى الأوبئة إلى أبنائها، فلا غرابة أن تحرص بعض العوائل الموسرة على إرسال أطفالها إلى البادية، وربما كان لأصول قبيلة قريش البدوية علاقة بهذه الممارسة حيث بقيت مرتبطة بأجواء البادية على الرغم من إقامتهم الطويلة نسبياً في مكة [4].

١- كلما عاش الداعية في جو أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن الحياة المعقدة، كان ذلك أدعى إلى صفاء ذهنه، وقوة عقله وجسمه ونفسه، وسلامة منطقه وتفكيره، ولذلك أختار الله العرب لأداء رسالتهم كونهم أصفى نفوسا، وأسلم تفكيرا، وأقوم أخلاقا، وأكثر احتمالا لمكاره الحروب في سبيل دعوة الله ونشر رسالته في أنحاء العالم .

٢- اختار الله لحليمة هذا الطفل اليتيم وأخذته على مضض؛ لأنها لم تجد غيره، فكان الخير كل الخير فيما اختاره الله، وبانت نتائج هذا الاختيار مع بداية أخذه وهذا درس لكل مسلم بأن يطمئن قلبه إلى قدر الله واختياره والرضا به، ولا يندم على ما مضى، وعلى ما لم يقدره الله تعالى له.

---

[1] البوطي: فقه السيرة، ص٥٢

[2] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص١٠٧.

[3] العلي: محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٣٣.

[4] الملاح: الوسيط في السيرة والخلافة الراشدة، ص٦٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من سفر النبي صلى الله عليه وسلم للتجارة:

١- إن الأمانة والصدق أهم مواصفات التاجر الناجح، وصفة الأمانة والصدق في التجارة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، هي التي رغبت السيدة خديجة في أن تعطيه مالها ليتاجر به ويسافر به إلى الشام، فبارك الله لها في تجارتها[١]، وفتح الله لها من أبواب الخير ما يليق بكرم الكريم.

٢- إن التجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وقد تدرب النبي صلى الله عليه وسلم على فنونها، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التاجر الصدوق الأمين في هذا الدين يُحشر مع الصديقين والشهداء والنبيين، وهذه المهنة مهمة للمسلمين ولا يقع صاحبها تحت إرادة الآخرين واستعبادهم وقهرهم وإذلالهم، فهو ليس في حاجة إليهم، بل هم في حاجة إليه وبحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته[٢].

٣ــ ينبغي للمسلم أن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي، أو مورد شريف لا استجداء فيه، ولا ذلة ولا مهانة، على أن لا يُفهم من هذا الكلام ان يبتعد المسلم عن العمل كموظف في الدوائر الحكومية.

إن المسلمين العاملين في نشر الإسلام يربؤون بأنفسهم أن يعيشوا من صدقات الناس وعطاياهم، وأية كرامة تكون لهم في نفوس قومهم بعد أن يهينوا أنفسهم بذل السؤال والاستجداء ولو لم يكن صريحا مكشوفًا. فإذا وجدنا من يدعي الدعوة والإرشاد، وهو يستكثر من أموال الناس بشتى أنواع الحيل، فإننا نجزم بمهانة نفسه في نفسه، فكيف في نفوس قومه وجيرانه؟ ومن ارتضى لنفسه المهانة، فكيف يستطيع أن يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويقف في وجه المفسدين، ويحارب الشر والفساد، ويبعث في الأمة روح الكرامة والشرف والاستقامة؟

٤ــ إن تجارب العاملين في نشر الإسلام ومعاشرة الجماهير، والتعرف على عوائد الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم، لها أثر كبير في نجاح دعوتهم، فالذين يخالطون الناس في الكتب والمقالات دون أن يختلطوا بهم على مختلف اتجاهاتهم، قوم مخفقون في دعوة الإصلاح، لا يستمع الناس إليهم، ولا تستجيب العقول لدعوتهم، لما يرى فيهم الناس من جهل بأوضاعهم ومشكلاتهم، فمن أراد أن يصلح المتدينين عليه أن يعيش معهم في مساجدهم، ومجالسهم، ومجتمعاتهم، ومن أراد أن يصلح حال العمال والفلاحين، عليه أن يعيش معهم في مصانعهم وقراهم، بساتينهم، أراضيهم ومجالسهم، ومن أراد أن يصلح الأوضاع السياسية، عليه أن يختلط بالسياسيين، ويتعرف إلى تنظيماتهم، ويستمع لخطبهم، ويقرأ لهم برامجهم وأحزابهم، ثم يتعرف إلى البيئة التي

---

[١] طقوش: السيرة النبوية الشريفة، ص ٤٩.

[٢] الصلابي: السيرة النبوية ١/٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعيشون فيها، والثقافة التي نهلوا من معينها، والاتجاه الذي يندفعون نحوه، ليعرف كيف يخاطبهم بما لا تنفر منه نفوسهم، وكيف يسلك في إصلاحه معهم بما لا يدعوهم إلى محاربته عن كره نفسي، واندفاع عاطفي .

المستفاد من زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة:

١- قَدَّرَ الله سبحانه وتعالى لنبيه زوجة تناسبه وتؤازره، وتخفف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش همومه[١].وخديجة مثلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبًا شديدة الحساسية، ويلقون غَبنا بالغًا من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادًا كبيرًا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، وكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد صلى الله عليه وسلم أثر كريم[٢].

٢- يتضح للمسلم من خلال قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة، عدم اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتما بذلك كبقية الشباب لطمع بمن هي أقل منه سنًا، أو بمن لا تفوقه في العمر، وإنما رغب فيها النبي صلى الله عليه وسلم لشرفها ومكانتها في قومها، فقد كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

٣- وفي زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة ما يلجم ألسنة وأقلام الحاقدين على الإسلام وقوة سلطانه، من المستشرقين وعبيدهم العلمانيين، الذين ظنوا أنهم وجدوا في موضوع زواج النبي صلى الله عليه وسلم مقتلا يصاب منه الإسلام، وصوروا النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذاته وشهواته، فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة جاهلية، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج حوله، كما أنه تزوج من امرأة لها ما يقارب ضعف عمره، وعاش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله، وإن من حوله الكثير وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ويدخل في سن الشيوخ، وقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاما، وقد ناهز النبي عليه الصلاة والسلام الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفكر في هذه الفترة بأن يضم إلى خديجة مثلها من النساء: زوجة أو أمة، ولو

---

[١] أبو شهبة، محمد: السيرة النبوية ١/١٢٣.

[٢] الغزالي، محمد: فقه السيرة، ص٨٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أراد لكان الكثير من النساء والإماء طوع بنانه.

أما زواجه بعد ذلك من السيدة عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة وسبب، يزيدان في إيمان المسلم بعظمة محمد صلى الله عليه وسلم ورفعة شأنه وكمال أخلاقه[1].

٣- اقتضت الحكمة الإلهية، ألا يعيش له صلى الله عليه وسلم أحد من الذكور حتى لا يكون مدعاة لافتتان بعض الناس بهم، وادعائهم لهم النبوة، فأعطاه الذكور تكميلا لفطرته البشرية، وقضاء لحاجات النفس الإنسانية، ولئلا ينتقص النبي في كمال رجولته شانئ، أو يتقول عليه متقول، ثم أخذهم في الصغر، وأيضا ليكون ذلك عزاء وسلوى للذين لا يرزقون البنين، أو يرزقون ثم يموتون، كما أنه لون من ألوان الابتلاء، وأشد الناس بلاء الأنبياء، وكأن الله أراد للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل الرقة الحزينة جزءاً، من كيانه؛ فإن الرجال الذين يسوسون الشعوب لا يجنحون إلى الجبروت، إلا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة والأثرة، وعاشت في أفراح لا يخامرها كدر، أما الرجل الذي خبر الآلام فهو أسرع الناس إلى مواساة المحزونين ومداواة المجروحين[2].

المستفاد من التحنث في غار حراء:

١- يجب على الداعية إلى الله أن تكون له بين الفينة والفينة أوقات يخلو فيها بنفسه، تتصل فيها روحه بالله جل شأنه، وتصفو فيها نفسه من كدورات الأخلاق الذميمة، والحياة المضطربة من حوله، ومثل هذه الخلوات تدعوه إلى محاسبة نفسه إن قصرت في خير، أو زلت في اتجاه، أو جانبت سبيل الحكمة، أو أخطأت في سبيل أو منهج أو طريق، أو انغمست مع الناس في الجدال والنقاش حتى أنسته ذكر الله والأنس به وتذكر الآخرة، وجنتها ونارها، والموت وغصصه وآلامه، ولذلك كان التهجد وقيام الليل فرضا في حق النبي صلى الله عليه وسلم، مستحبا في حق غيره، وأحق الناس بالحرص على هذه النافلة هم الدعاة إلى الله وشريعته وجنته، وللخلوة والتهجد والقيام لله بالعبودية في أعقاب الليل لذة لا يدركها إلا من أكرمه الله بها، وقد كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول في أعقاب تهجده وعبادته: نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها.

٢ـــ من سنن النبي صلى الله عليه وسلم سنة الاعتكاف في رمضان وهي مهمة لكل مسلم سواء كان حاكمًا أو عالمًا، أو قائدًا، أو تاجرًا.. لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب، ونصحح واقعنا على ضوء الكتاب والسنة، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب[3]. وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله فكرة الخلوة مع الذكر

---

[1] البوطي: فقه السيرة النبوية، ص٥٤.

[2] الغزالي: فقه السيرة، ص٨٢.

[3] الغضبان، منير محمد: فقه السيرة، معهد البحوث واحياء التراث مكة المكرمة، ص٤٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك، لتنوير قلبه وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته وشهوته وهفوته.

٣ــ يمكن لأهل فقه الدعوة أن يعطوا لأنفسهم فترة من الوقت للمراجعة الشاملة والتوبة، والتأمل في واقع الدعوة وما هي عليه من قوة أو ضعف واكتشاف عوامل الخلل، ومعرفة الواقع بتفاصيله، خيره وشره.

ما يستفاد من عمل النبي في رعي الغنم:

١- إن إقبال النبي صلى الله عليه وسلم على رعي الأغنام لقصد كسب القوت والرزق يدل على شهامة في الطبع وبر في المعاملة، وبذل للوسع[١].

٢- لقد كان سهلاً على الله أن يهيئ للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو في صدر حياته من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعيًا وراء الرزق، ولكن الحكمة الربانية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكد يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه[٢].

٣- مهنة الرعي تحتاج إلى الصبر والتحمل، فالراعي يعيش في جو حار شديد الحرارة، وبخاصة في الجزيرة العربية، ويحتاج إلى الماء الغزير ليذهب ظمأه، وهو لا يجد إلا الخشونة في الطعام وشظف العيش، فينبغي أن يحمل نفسه على تحمل هذه الظروف القاسية، ويألفها ويصبر عليها[٣].

٤- طبيعة عمل الراعي يركز في نفسه خلق التواضع، فخدمة الغنم، والإشراف على ولادها، والقيام بحراستها والنوم بالقرب منها، وربما أصابه ما أصابه من رذاذ بولها أو شيء من روثها فلم يتضجر من هذا ويبعد عن نفسه الكبر والكبرياء.

٥- طبيعة عمل الراعي الاصطدام بالوحوش المفترسة، فلا بد أن يكون على جانب كبير من الشجاعة تؤهله للقضاء على الوحوش ومنعها من افتراس أغنامه[٤].

٦- إن الراعي يقوم بمقتضى عمله في مساعدة الغنم إن هي مرضت أو كُسرت أو أصيبت، وتدعو حالة

قلت: جاء في كتاب الزهد لأحمد بن حنبل رحمه الله، بتحقيق: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م، ص٢٣٠.

٦٣٣- عَنْ ثَابِتِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّ أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وتَزِنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ: (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)(الحاقة/١٨).

[١] البوطي: فقه السيرة النبوية، ص٤٩.

[٢] الصلابي: السيرة النبوية ١/٧٤.

[٣] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص١١٥.

[٤] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص١١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرضها وألمها إلى العطف عليها وعلاجها والتخفيف من آلامها، فمن يرحم الحيوان يكون أشد رحمة بالإنسان، وبخاصة إذا كان رسولاً أرسله الله تبارك وتعالى لتعليم الإنسان، وإرشاده وإنقاذه من النار وإسعاده في الدارين[1].

المستفاد من قصة الراهب بحيرا:

١- أن الصادقين من رهبان أهل الكتاب يعلمون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو الرسول للبشرية، وعرفوا ذلك لما وجدوه من أمارات وأوصاف عنه في كتبهم.

٢- إثبات تظليل الغمام وميل فيء الشجرة للنبي صلى الله عليه وسلم.

٣- اطلع النبي صلى الله عليه وسلم خلال اسفاره وتجواله مع عمه على تجارب الآخرين وخبراتهم واستفاد من آرائهم وخاصة من شيوخ وسادة قريش.

٤- حذر بحيرا من النصارى، وناشد عمه ألا يذهب به إلى الروم، فإن الروم إذا عرفوه بالصفة يقتلونه لقد كان الرومان على علم بأن مجيء هذا الرسول سيقضي على نفوذهم الاستعماري في المنطقة [2].

---

[1] الصلابي: السيرة النبوية ١/٧٣.

[2] المصدر نفسه ١/٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني
الدعــوة الاسلامية في مكــة

تمهيد:

دَرَجَ البَاحِثُون فِي تَارِيخِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي عَصْرِ الرِّسَالَةِ عَلَى دِرَاسَتِهَا فِي إِطَار عَهْدَين مُتَكَامِلَين وَمُتَمَايزَين، العَهْد المكِّي وَالعَهْد الْمَدَنِيّ، وَيُقْسَم العَهْد المَكِّي إِلى مَرْحَلَتين رَئيسيتَين هُمَا:

مَرْحَلة سِرِّيَّةِ الدَّعْوَة الَّتِي بَدَأتْ بنزول الْوَحْي عَلَى الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فِي سَنَةِ ٦٠٩م وانْتَهَتْ فِي سَنَةِ ٦١٢م.

أَمَّا المَرْحَلَة الثَّانيَة، وَهِيَ مَرْحَلَة عَلَنِيَّةِ الدَّعْوَة، فَتَبْدَأ مِنْ سَنَةِ ٦١٢م وَتَستَمِر حَتَّى هِجْرَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم إِلَى المَدينَةِ فِي سَنَةِ ٦٢٢م. وَقَدْ وَاجَه رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المُشْرِكينَ وَأَسْمَعَهُمْ صَوت الدَّعْوَة، وَكَانَ لِلمُشْرِكِينَ مَوَاقِف مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمِنْ دَعْوَتِه، وَلِغَرَضْ التَّعَرف عَلَى أَهَم احْدَاثِ العَهْدِ المَكِّي وَمَا يُسْتَفَاد مِنْهَا، فَقَد ارْتَأيتُ تَقْسيم هَذَا الفَصْلِ إِلَى مَبْحَثين وَعَلَى النَّحْوِ التَّالِي:ــ

المبحث الأول: أحداث العهد المكي.

المبحث الثاني: المستفاد من أحداث العهد المكي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول
أحداث العهد المكي

الدعوة السرية:

بَدأ صلى الله عليه وسلم دَعوتَهُ المُباركةِ بصورةٍ سريةٍ وفرديةٍ واسْتَمرت الدَّعْوة بِهَذِه الصِيغَةِ الفَرْدِيَّةِ السِّرِيَّة فِي مَكَّة لِبِضْعِ سِنين[1].

وَتُسَمى هَذهِ المَرْحَلَة مِنَّ الدَّعْوةِ بِالعَهْدِ المَّكِي كَمَا تُسمى بالمَرْحَلَةِ السِّرِّيَة. والحقيقة إنَّ إطلاق أسْم العهد المَكْي يَشْمل الدعوة مُدَةَ بَقائِهِ صلى الله عليه وسلم في مَكة، ودعوتِهِ في مَكَّة كَانَ مِنْهَا دَعْوَة سِرِيَّة.

وَكَانَتْ مَكَّةَ تَخْضَعُ لقُرَيْشٍ بِعَشَائِرِهَا الأربَعَ عَشْرَة الَّتِي كَانَ لِكُلٍّ مِنْهَا كِيَانَها الخَاص مَع تَحَالُفِها ضِمنَ الإطارِ العام لقبيلةِ قُرَيْشٍ.

كَانَ مِنَ المُتَوَقَع أَنْ يَنْتَشِر الْإِسْلَام فِي عَشِيرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ فِي قُرَيْشٍ الَّتِي يَنْتَمي إِلَيْهَا أَخْيرًا، غَيْرَ أَنَّ انْتِشَارِ الْإِسْلَام لَمْ يَرْتَبِطْ بالعَشَائِرِيَّةِ وَلا بالْعَصَبِيَّةِ الْقَبْلِيّة. وَرُغْمَ أن بَنْي هاشِمْ قَدْ تَعَاطَفُوا مَع الرَّسُول صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدْفَعَهُم إلى الدخول في الْإِسْلَام أكثرَ مِنْ غَيْرِهم. وانْتَشَر الْإِسْلَام في هذهِ المَرحلَةِ في سائرِ عَشائِر قُرَيْش بِشَكْلٍ مُتَوازِنْ وَهوَ أمرٌ يُخَالِف طَبْيعَة الْحَيَاة البَدَوِيَّةِ وَالنَّظْرَةِ الْقَبْلِيّة. ولعلَّ ذلكَ قَدْ أعانَ على انتشارِ الْإِسْلَام بين مُخْتلف العَشائر دونَ تَحفظاتٍ عَصَبية، ولو دَقَقنا في انتماءاتِ كلٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق التَيْمِي، وعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الأُمَوي، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّام الأسَدِي، وعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب الهَاشِمِيِّ، ومُصعَب بْنُ عُمَيْر الداريِّ، وعُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب العدويِّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الزُهْري، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونِ الجُمَحي[2]، لتبين لنا ذلك. وإضافة إلى هؤلاء فقد خرج اعتناق الإسلام عن إطار رجالات قُرَيْش، فَعَبْدُ اللَّهِ

---

[1] المرويات التي أوردها ابن إسحاق والواقدي حددت الفترة بثلاث سنين: ابن سعد- الطبقات ١/ ١٩٩، ابن هشام- السيرة النبوية ١/ ٢٦٢، وحددها البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ١١٦) بأربع سنين. ولا ريب أن الدعوة كانت سرية في بداية الأمر، لكن تحديدها بثلاث سنوات أو أربع، لم يثبت، وبالتالي فإن بناء أحكام شرعية عليها بهذا التحديد، لا دليل عليه والله أعلم.

[2] ويكنى أَبَا السَّائِب. وَأمه سخيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن حجح. وَهِي أم السَّائِب وَعبد الله. وَأسلم عُثْمَان بن مَظْعُون بعد ثَلَاثَة عشر رجلا، وَهَاجَر الهجرتين وَشهد بَدْرًا. وَكَانَ أول رجل مَاتَ بِالْمَدِينَةِ من الْمُهَاجِرين بعد مَا رَجَعَ من بدر، وَكَانَ أول من دفن ببقيع الْغَرْقَد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بْنُ مَسْعُودِ مِنْ هُذَيْلٍ[1]، وعُتْبَة بْنُ غَزْوان[2] مِنْ مازِنْ، وعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِنْ مَذْحِجَ [3]، وزيد بْنُ حَارِثَة مِنْ كلب[4]، والطُفَيْل بْنُ عَمْرو[1] مِنْ دوس، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قيس مِنْ الأشْعَرِيين[2]، وَهَكَذا فَلَمْ يَقْتَصِرْ اعْتِنَاق الْإِسْلَامِ على أفْرَاد يَنْتَمونَ إِلَى قُرَيْش أَو يُقِيمونَ فِي مَكَّةَ[3].

وَكَانَ عُثْمَان بن مَظْعُون أحد من حرم الْخمر فِي الْجَاهِلِيَّة، وَقَالَ: لَا أشْرب شرابًا يذهب عَقْلِي، ويضحك بِي من هُوَ أدنى منى، ويحملني على أَن أنكح كَرِيمَتِي. فَلَمَّا حرمت الْخمر أَتَى وَهُوَ بالعوالي، فَقيل لَهُ: يَا عُثْمَان، قد حرمت: فَقَالَ: تَبًّا لَهَا، قد كَانَ بصرى فِيهَا ثاقبا (وَفِي هَذَا نظر لِأَن تَحْرِيم الْخمر عِنْد أَكْثَرهم بعد أحد). انظر:الاستيعاب في معرفة الاصحاب ١٠٥٤/٣.

[1] أبو عبد الرحمن بن الهذلي، حليف بني زهرة، وَكَانَ أبوه مَسْعُود بْن غافل قد حالف فِي الجاهلية عَبْد الله بن الحارث ابن زهرة، وأم عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُود أم عبد بِنْت عبد ود بْن سواء بْن قريم ابن صاهلة من بني هذيل أيضا، وأمها زهرية قيلة بِنْت الْحَارِث بْن زهرة.

كان إسلامه قديما فِي أول الإسلام فِي حين أسلم سَعِيد بْن زَيْد وزوجته فاطمة بِنْت الخطاب قبل إسلام عُمَر بزمان، وَكَانَ سبب إسلامه أَنَّهُ كَانَ يرعى غنما لعقبة بْن أَبِي معيط، فمر بِهِ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وأخذ شاة حائلا من تلك الغنم، فدرت عَلَيْهِ لبنا غزيرا. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٩٨٧/٣.

[2] كان إسلامه بعد ستة رجال، فهو سابع سبعة فِي إسلامه. وقد قَالَ ذَلِكَ فِي خطبته بالبصرة: ولقد رأيتني مع رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سابع سبعة، مَا لنا طعام إلا ورق الشجر، حَتَّى قرحت أشداقنا. هاجر فِي أرض الحبشة وَهُوَ ابْن أربعين سنة، ثُمَّ قدم على النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ بمكة، وأقام معه حَتَّى هاجر إِلَى المدينة مع المقداد بْن عَمْرو، ثُمَّ شهد بدرا والمشاهد كلها، مات بالربذة سنة خمس عشرة وَهُوَ ابْن سبع وخمسين سنة بالمدينة. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ١٠٢٦/٣.

[3] وَكَانَ عمار وَأمه سميَّة مِمَّن عذب فِي الله، ثمَّ أَعْطَاهُم عمار مَا أَرَادوا بِلِسَانِهِ، وَاطْمَأَنَّ بِالْإِيمَان قلبه، فَنزلت فِيهِ: إِلَّا من أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ١٦: ١٠٦. وَهَاجَر عمار إِلَى أَرض الْحَبَشَة، وَلَقَد شهد بَدْرًا والمشاهد كلهَا، وأبلى ببدر بلَاء حسنا، ثمَّ شهد الْيَمَامَة فأبلى فِيهَا أَيْضا، ويومئذ قطعت أُذُنه، وَقيل فِي صفّين، وَكَانَت سنه إِذْ ذَاك تزيد على التسعين.

وَقَالَ الْوَاقِدِيّ، وَطَائِفَة من أهل الْعلم بِالنّسَبِ وَالْخَبَر: «إن ياسرا وَالِد عمار عربى قحطانى مذحجى من عنس فِي مذْحج، إِلَّا أَن ابْنه عمارا مولى لبني مَخْزُوم، لِأَن أَبَاهُ ياسرا تزوج أمة لبَعض بنى مَخْزُوم، فَولدت لَهُ عمارا، وَذَلِكَ أَن ياسرا وَالِد عمار قدم مَكَّة مَعَ أَخَوَيْنِ لَهُ، أَحدهمَا يُقَال لَهُ الْحَارِث وَالثَّانِي مَالك، فِي طلب أَخ لَهُم رَابِع، فَرجع الْحَارِث وَمَالك إِلَى الْيمن، وَأَقَام يَاسر بِمَكَّة، فحالف أَبَا حُذَيْفَة بن الْمُغيرَة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، فَزَوجهُ أَبُو حُذَيْفَة أمة لَهُ يُقَال لَهَا سميَّة بنت خياط فَولدت لَهُ عمارا، فَأعْتقهُ أَبُو حُذَيْفَة، فَمن هَذَا هُوَ عمار مولى لبني مَخْزُوم... وللحلف وَالْوَلَاء الَّذِي بَين بنى مَخْزُوم وَابْن عمار وَأَبِيهِ يَاسر كَانَ اجْتِمَاع بنى مَخْزُوم إِلَى عُثْمَان حِين نَالَ من عمار غلْمَان عُثْمَان، مَا نالوا من الضَّرْب حَتَّى انفتق لَهُ فتق فِي بَطْنه. فاجتمعت بَنو مَخْزُوم وَقَالُوا: وَالله لَئِن مَاتَ مَا قتلنَا بِهِ أحدا غير عُثْمَان». انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ١١٣٥/٣.

(وقال عن نفسه رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ ، وَامْرَأَتَانِ ، وَأَبُو بَكْرٍ). صحيح البخاري:كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا ٥/٥، حديث ٣٦٦٠.

[4] أبو أسامة مولى رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزي بن امرئ القيس. خَرَجَتْ سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ أُمُّ زَيْدِ بن حارثة، وهي امرأة من بنى طى تَزُورُ قَوْمَهَا، وَزَيْدٌ مَعَهَا، فَأَغَارَتْ خَيْلٌ لِبَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَى أَبْيَاتِ مَعْنٍ- رَهْطِ أُمِّ زَيْدٍ، فَاحْتَمَلُوا زَيْدًا وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلامٌ يَفَعَةٌ، فَوَافَوْا بِهِ سُوقَ عُكَاظٍ، فَعَرَضُوهُ لِلْبَيْعِ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ بأربعمائة درهم. وشهد زيد بن حارثة بدرا، وزوجه رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد، وبه كان يكنى، وكان يقَالُ لزيد بن حارثة حب رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمون الأولون في المرحلة السرية:

لَقَدْ كانتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلَ مَنْ آمن بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم مِنَ البَشَرِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ حَدِيثِ بَدْءِ الوَحْيِ عِنْدَمَا بَشَّرَته وَصَدَّقَتهُ فِيمَا أَخْبَرَهَا به، وخَدِيجَةُ « مَثَلٌ طَيِّبٌ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي تُكَمِّل حَيَاة الرَجُل الْعَظِيمِ. إنَّ أَصْحَاب الرِّسَالَاتِ يَحْمِلونَ قُلوبًا شَدِيدَةَ الحَسَّاسِيَّةِ، ويَلْقَّونَ غُبْنًا بَالِغًا مِنَ الوَاقِعْ الَّذِي يُريدونَ تَغْيِيرَهُ، ويُقاسونَ جِهَادًا كَبْيرًا فِي سَبْيلِ الخَيرِ الَّذِي يُريدونَ فَرْضَهُ. وَهُمْ أَحْوَج مَا يَكونونَ إلى مَنْ يَتَعهدْ حَيَاتِهمْ الخَاصَّةِ بالإيْنَاسِ وَالتَرفيهِ، بُلْهُ الإدْرَاك وَالمَعونَة! وَكَانَتْ خَدِيجَةُ سبّاقةً إلى هَذِه الخِصَالِ، وَكَانَ لَهَا فِي حَيَاةِ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم أَثَرٌ كَرِيم» [٤]، وَلِذَلِكَ نَالَتْ خَدِيجَةُ مَكَانَة عَلِيّة عِندَ رَبِّهَا عز وجل فقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[٥] لاَ صَخَبَ[٦] فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ[٧] "[٨].

روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ: أحب الناس إلي من أنعم الله عليه وأنعمت عليه- يعني زيد بن حارثة- أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بالعتق.وقتل زيد بن حارثة بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٥٤٦/٢.

[١] أسلم وصدق النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، ثم رجع إلى بلاد قومه من أرض دوس، فلم يزل مقيما بها حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بمن تبعه من قومه، فلم يزل مقيما مع رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حتى قبض صلى الله عليه وسلم، ثم كان مع المسلمين حتى قتل باليمامة شهيدا. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٧٥٨/٢.

[٢] هو من ولد الأشعر بن أدد بن زيد بن كهلان، وقيل: هُوَ من ولد الأشعر بْن سبأ أخي حمير بْن سبأ، وأمه ظبية بِنْت وَهْب بْن عك. ذكر الْوَاقِدِيّ أن أبا موسى قدم مكة، فحالف سعيد بن الْعَاص بْن أُمَيَّة أَبَا أحيحة، وَكَانَ قدومه مع إخوته فِي جماعة من الأشعريين، ثُمَّ أسلم وهاجر إِلَى أرض الحبشة. وقال ابْن إِسْحَاق: هُوَ حليف آل عُتْبَة بْن رَبِيعَة، وذكره فيمن هاجر من حلفاء بني عبد شمس إِلَى أرض الحبشة. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٩٧٩/٣.

[٣] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ٢١٣/١.

[٤] محمد الغزالي: فقه السيرة، ص٨٠.

[٥] الْقصب: اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ.

[٦] صخب: هو الصوت المختلط المرتفع.

[٧] نصب: هو المشقة والتعب.

[٨] متفق عليه: صحيح البخاري: باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة ٣٩/٥، حديث ٣٨٢٠. صحيح مسلم: باب فضائل خديجة ام المؤمنين ١٨٨٧/٤ حديث ٢٤٣٢. النسائي: السنن الكبرى ٣٨٩/٧، حديث ٨٣٠٠. الحاكم: المستدرك ٢٠٣/٣، حديث ٤٨٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ مِنَ النَّاسِ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَصَلَّى مَعَهُ وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ هَاشِمٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ[1]. كما كان مِنْ أوائل من أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم [2]. أما أَوَّلَ من أَسْلَمَ مِنَ الرجال مِنْ خارج بيت النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق الجمهور فهو أَبُو بَكْرٍ الصَدِّيقَ [3]، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ [4] رَجُلًا مَأْلَفًا [5] لِقَوْمِهِ، مُحَبَّبًا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا، وَبِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا، ذَا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ، وَكَانَ رِجَالُ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ وَيَأْلَفُونَهُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ الْأَمْرِ، لِعِلْمِهِ وَتِجَارَتِهِ وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِمَّنْ يَغْشَاهُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ. فَأَسْلَمَ على يَدَيْهِ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ[6]وَالزُّبَيْرُ[7] بْنُ الْعَوَّامِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ [1] بْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ [2] بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ

---

[1] الترمذي: الجامع ٥/ ٦٤٢، ابن هشام: السيرة ١/ ٢٤٥.الماوردي: اعلام النبوة ٢٤٠/١. إنارة الدجى في مغازي خير الورى٥٧٢/١. ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني ١٤٨/١. المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى ٥٢٠/٥.

[2] ابن هشام: السيرة ١/ ٢٤٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي:٣٣٨/١.الطبراني: المعجم الكبير ٨٤/٥،حديث ٤٦٥٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول ١١٨/١٢.

[3] أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَاسْمُهُ عَتِيقٌ، وَاسْمُ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُ أَبِي بَكْرٍ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَتِيقٌ: لَقَبٌ لِحَسَنِ وَجْهُهُ وَعِتْقُهُ، وَقيل سمى عتيقا، لِأَن أمه كَانَت لَا يعِيش لَهَا ولد، فنذرت إِن ولد لَهَا ولد أَن تسميه عبد الْكَعْبَة وَتَتَصَدَّق بِهِ عَلَيْهَا فَلَمَّا عَاشَ وشب سمى عتيقا كَأَنَّهُ أعتق من الْمَوْت، وَكَانَ يُسمى أَيْضا عبد الْكَعْبَة إِلَى أَن أسلم، فَسَمَاهُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله. وَقيل سمى عتيقا، لِأَن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ حِين أسلم: أَنْت عَتِيق من النَّار، وَقيل بل كَانَ لِأَبِيهِ ثَلَاثَة من الْوَلَد: مُعتق ومعيتق وعتيق، وَهُوَ أَبُو بكر.

الفاكهي: اخبار مكة ١٩١/٣. ابن بطة:الإبانة الكبرى ٤٣٧/٩. الآجُرِّيُّ البغدادي: الشريعة ١٧١٠/٤. الحاكم: المستدرك ١٤٧/٣، حديث ٤٦٦٣.ابن أبي شيبة: المصنف ١٦٣/١٠. البيهقي: دلائل النبوة ١٦٣/٢.سنن الترمذي ٩١/٦.

[4] وَأم أَبِي بكر: أم الْخَيْر بنت صَخْر بن عَمْرو، بنت عَم أَبِي قُحَافَة، وَاسْمهَا سلمى، وَهِي من المبايعات، وَأم أَبِيه عُثْمَان أَبِي قُحَافَة: قيلة بنت أذاة بن رِيَاح بن عبد الله بن قرط، وَامْرَأَة أَبِي بكر، أم ابْنه عبد الله، قيلة بنت عبد الْعُزَّى.

[5] المألف: الّذي يألفه الْإِنْسَان.

[6] ويكنى عُثْمَان أَبَا عبد الله وَأَبا عَمْرو، كنيتان مشهورتان لَهُ، وَأَبُو عَمْرو أشهرهما، قيل إِنَّه ولدت لَهُ رقية بنت رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ابْنا فَسَماهُ عبد الله، واكتنى بِهِ وَمَات، ثمَّ ولد لَهُ عَمْرو، فاكتنى بِهِ إِلَى أَن مَاتَ رَحمَه الله. وَقيل إِنَّه كَانَ يكنى أَبَا ليلى. وَولد عُثْمَان فِي السّنة السَّادِسَة بعد الْفِيل، وَأمه أروى بنت كرز بن ربيعَة، وَأمّهَا الْبَيْضَاء أم حَكِيم بنت عبد الْمطلب عمَّة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم.

هَاجر إِلَى الْحَبَشَة فَارًّا بِدِينِهِ مَعَ زَوجته رقية، وَكَانَ أول خَارج إِلَيْهَا ثمَّ تَابعه سَائِر الْمُهَاجِرين. وَلم يشْهد بَدْرًا لتخلفه على تمريض زَوجته رقية، وَكَانَت عليلة، فَأمره رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف عَلَيْهَا.

وَقيل: بل تخلف لِأَنَّهُ كَانَ مَرِيضا بالجدري. وَهُوَ أحد الْعشْرَة الْمَشْهُود لَهُم بِالْجنَّةِ.انظر: سيرة ابن هشام ٢٥٠/١.

[7] ويكنى أَبَا عبد الله، وَأمه صَفِيَّة بنت عبد الْمطلب بن هَاشم، عمَّة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم.

وَأسلم الزبير وَهُوَ ابْن خمس عشرَة سنة، وَقيل وَهُوَ ابْن اثْنَتَيْ عشرَة سنة، كَمَا قيل إِنَّه أسلم هُوَ وعَلى وهما ابْنا ثَمَاني سِنِين، وَولد الزبير هُوَ وعَلى وَطَلْحَة وَسعد بن أَبِي وَقاص فِي عَام وَاحِد. وَلم يتَخَلَّف الزبير عَن غَزْوَة غَزَاهَا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَسَعْدُ [٣] بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا» [٤]. وتوالى إسلام الأفاضل من قريش، فأسلم جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ [٥]،وَامْرَأَتُهُ أَسَمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ [٦]،وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي

رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَينه وَبَين عبد الله بن مَسْعُود حِين آخى بَين الْمُهَاجِرين بِمَكَّة، فَلَمَّا قدم الْمَدِينَة وآخى بَين الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار آخى بَين الزبير وَبَين سَلمَة بن سَلامَة بن وقش، وَيُقَال إِن الزبير أول رجل سل سَيْفه فِي الْإِسْلَام، كَمَا يُقَال: إِنَّه كَانَ لَهُ ألف مَمْلُوك يؤدون إِلَيْهِ الْخراج، فَمَا يدْخل بَيته مِنْهَا دِرْهَم وَاحِد. يعْنى أَنه كَانَ يتَصَدَّق بذلك كُله. وَقتل رَحمَه الله فِي مُنْصَرفه من وقْعَة الْجمل، قَتله عميرَة بن جرموز وفضالة بن حَابِس ونقيع، وَكَانَت سنه إِذْ ذَاك سبعا وَسِتِّينَ، وَقيل سِتا وَسِتِّينَ.

وَكَانَ للزبير من الْوَلَد عشرَة: عبد الله وَعُرْوَة وَمصْعَب وَالْمُنْذر وَعَمْرو وَعبيدَة وجعفر وعامر وَعُمَيْر وَحَمْزَة.

[١] ويكنى أَبَا مُحَمَّد، وَكَانَ اسْمه فِي الْجَاهِلِيَّة عبد عَمْرو، وَقيل عبد الْكَعْبَة، فَسَماهُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الرَّحْمَن. وَأمه الشِّفَاء بنت عَوْف بن عبد بن الْحَارِث بن زهرَة. ولد بعد الْفِيل بِعشر سِنِين وَأسلم قبل أَن يدْخل رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَار الأرقم. وَكَانَ من الْمُهَاجِرين الْأَوَّلين، جمع الهجرتين جَمِيعًا، هَاجر إِلَى أَرض الْحَبَشَة، ثمَّ قدم قبل الْهِجْرَة وَهَاجَر إِلَى الْمَدِينَة. وآخى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَينه وَبَين سعد بن الرّبيع. شهد بَدْرًا والمشاهد كلهَا مَعَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم. وَبَعثه رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى دومة الجندل إِلَى بنى كلب، وَقَالَ لَهُ: إِن فتح الله عَلَيْك فَتزَوج بنت شريفهم، وَكَانَ الْأَصْبَغ بن ثَعْلَبَة الْكَلْبِيّ شريفهم، فَتزَوج بنته تماضر بنت الْأَصْبَغ، وَهِي أم ابْنه أَبِي سَلمَة الْفَقِيه. وَتوفى عبد الرَّحْمَن بن عَوْف بِالْمَدِينَةِ سنة إِحْدَى وَثَلَاثِينَ، وَقيل سنة اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَهُوَ ابْن خمس وَسبعين سنة، وَدفن بِالبَقِيعِ. انظر: سير اعلام النبلاء ٦٩/١.

[٢] وَأمه الحضرمية، اسْمهَا الصعبة بنت عبد الله بن عماد بن مَالك بن ربيعَة بن أكبر بن مَالك بن عويف بن مَالك بن الْخَزْرَج، وَيعرف أَبوهَا عبد الله بالحضرمي. ويكنى طَلْحَة أَبَا مُحَمَّد الْفَيَّاض. وَلما قدم طَلْحَة الْمَدِينَة آخى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَينه وَبَين كَعْب بن مَالك، حِين آخى بَين الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار. وَقتل طَلْحَة رَحمَه الله وَهُوَ ابْن سِتِّينَ سنة يَوْم الْجمل. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٧٦٤/٢.

[٣] وَأم سعد: حمدونة بنت سُفْيَان بن أُميَّة بن عبد شمس، ويكنى أَبَا إِسْحَاق، وَهُوَ أحد الْعشْرَة، دَعَا لَهُ النَّبِي صلى الله عليه وسلم أَن يسدد الله سَهْمه، وَأَن يُجيب دَعوته، فَكَانَ دعاؤه أسْرع الدُّعَاء إِجَابَة.وَفِي الحَدِيث أَن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: احْذَرُوا دَعْوَة سعد، وَلَقَد مَاتَ سعد فِي خلَافَة مُعَاوِيَة. انظر: سيرة ابن هشام ٢٥١/١.

[٤] ابن هشام- السيرة ١/ ٢٥٠. الإشارة إلى سيرة المصطفى١٠٨/١، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ٣٠٦/١.الندوي: السيرة النبوية ١٨٤/١.ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ٦٨/١. المقتفى من سيرة المصطفى ٥٤/١. الغضبان: المنهج الحركى للسيرة النبوية ٢٢/١.

[٥] كان جعفر أشبه الناس خلقًا وخلقًا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان جعفر أكبر من علي رضي الله عنهما بعشر سنين. وكان جعفر من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة، ثم غزا غزوة مؤتة، وذلك سنة ثمان من الهجرة، وقاتل فيها جعفر حتى قطعت يداه جميعًا ثم قتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، فمن هنا قيل له جعفر ذو الجناحين.انظر:الاستعاب في معرفة الاصحاب ٢٤٢/١.

[٦] أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس.كانت أسماء بنت عميس من المهاجرات إِلَى أرض الحبشة مَعَ زوجها جعفر بْن أبي طالب، فولدت له هناك محمدًا أَوْ عَبْد اللَّهِ وعونًا، ثم هاجرت إِلَى المدينة، فلما قتل جعفر بْن أبي طالب تزوجها أَبُو بَكْر الصديق، فولدت له مُحَمَّد بْن أبي بكر، ثم مات عنها فتزوجها عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ، فولدت له يَحْيَى بْن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ، لا خلاف فِي ذلك. انظر:الاستعاب في معرفة الاصحاب ١٧٨٤/٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْأَرْقَمِ،وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَصُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ الرومي[1].وبِلال بن رَباحْ[2]، وعُمَرَ بْنِ عَبْسَه السلمي[3]، والمِقدادْ بْنِ الأسْوَد[4]،وخَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ [1] [2]، ويذكر أن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وأنه أسْلَمَ وهوَ غُلام [3].

---

[1] وَذَلِكَ أَن أَبَاهُ سِنَان بن مَالك، أَو عَمه، كَانَ عَاملا لكسرى على الأبلة، وَكَانَت مَنَازِلهمْ بِأَرْض الْموصل فِي قَرْيَة من شط الْفُرَات مِمَّا يَلِي الجزيرة والموصل، فأغارت الرّوم على تِلْكَ النَّاحِيَة فسبت صهيبا وَهُوَ غُلَام صَغِير، فَنَشَأَ صُهَيْب بالروم، فَصَارَ ألكن، فابتاعته مِنْهُم كلب، ثمَّ قدمت بِهِ مَكَّة، فَاشْتَرَاهُ عبد الله بن جدعَان التَّيْمِيّ مِنْهُم، فَأعْتقهُ، فَأَقَامَ مَعَه بِمَكَّة حَتَّى هلك عبد الله بن جدعَان، وَبعث النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأما صُهَيْب وَولده، فيزعمون أَنه إِنَّمَا هرب من الرّوم حِين عقل وَبلغ، فَقدم مَكَّة فحالف عبد الله بن جدعَان، وَأَقَام مَعَه إِلَى أَن هلك.

[2] يكنى أبا عَبْد الله، وقيل أبا عَبْد الكريم وقيل أبا عَبْد الرحمن وقال بعضهم: يكنى أبا عمرو، وهو مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، اشتراه بخمس أواق، وقيل بسبع أواق، وقيل بتسع أواق ثم أعتقه، وكان له خازنا، ولرسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ مؤذنًا، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب.كَانَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلامَ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلا وَقَدْ أَتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلا بِلالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يقول: أحد أحد.

مات بدمشق، ودفن عند الباب الصغير بمقبرتها سنة عشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقيل: توفي سنة إحدى وعشرين وقيل: توفي وهو ابن سبعين سنة. انظر: الاستعاب في معرفة الاصحاب ١/١٧٨.

[3] رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم: ٨٣٢ مطولا، وهذا نصه:

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى.

[4] نسب إِلَى الأسود بْن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بْن زهرة الزهري، لأنه كَانَ تبناه وحالفه في الجاهلية، كَانَ قديم الإسلام، ولم يقدر عَلَى الهجرة ظاهرا، فأتى مع المشركين من قريش هُوَ وعتبة بْن غزوان ليتوصلا بالمسلمين، فانحازا إليهم، وذلك فِي السرية التي بعث فِيهَا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبيدة بْن الحارث إِلَى ثنية المرة، فلقوا جمعًا من قريش عليهم عكرمة بْن أبي جهل، فلم يكن بينهم قتال، غير أن سعد بْن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به فِي سبيل اللَّه، وهرب عتبة بْن غزوان، والمقداد بْن الأسود يومئذ إِلَى المسلمين، وشهد المقداد فِي ذلك العام بدرًا، ثم شهد المشاهد كلها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دار الأرقم بن أبي الأرقم:

تَذْكُرْ كُتبْ السِّيرَة أَنَّ إِتخاذ دَارِ الْأَرْقَمِ مَقرًا لِقيادَةِ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم كَانَ بَعْدَ الْمُواجَهةِ الأولَى، التِي بَرزَ فِيهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّوْا، ذَهَبُوا فِي الشِّعَابِ، فَاسْتَخْفَوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، فَبَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ، إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَنَاكَرُوهُمْ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتَّى قَاتَلُوهُمْ، فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْيِ[٤] بَعِيرٍ، فَشَجَّهُ، فَكَانَ أَوّل دم هريق فِي الْإِسْلَامِ»[٥].

أُصبَحتْ دَارِ الْأَرْقَمِ السَّرِيَّةِ مَرْكَزًا جَدْيدًا للدَعْوَةِ يَتَجمَعْ فِيْهِ الْمُسْلِمونَ، وَيتَلقونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كُلَّ جَديدٍ مِنَ الوَحْيِ، ويَسْتَمعونَ لَهُ صلى الله عليه وسلم وَهوَ يُذَكِّرُهمُ بِاللهِ، وَيتْلو عَلَيهِمْ القُرآن،

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ مَشْهَدًا لأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشمس، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا وَاللَّهِ لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قال أصحاب موسى لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ. وَلَكِنَّنَا نُقَاتِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ. قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشْرِقُ وَجْهُهُ لِذَلِكَ، وَسَرَّهُ وَأَعْجَبَهُ وتوفي المقداد وَهُوَ ابْن سبعين سنة. انظر: الاستعاب في معرفة الاصحاب ١٤٨١/٤.

[١] اخْتلف فِي نسب خباب كَمَا ترى، فَقيل: إِنَّه خزاعيّ، وَقيل تميمى، وَالصَّحِيح أَنه تميمى النّسَب، لحقه سباء فِي الْجَاهِلِيَّة فاشترته امْرَأَة: (هِيَ أم أَنْمَار بنت سِبَاع الْخُزَاعِيَّة) من خُزَاعَة وأعتقته.

وَكَانَت من حلفاء بنى عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد الْحَارِث بن زهرَة، فَهُوَ تميمى بِالنّسَبِ، خزاعيّ بِالْوَلَاءِ زهري بِالْحلف. وَهُوَ خباب بن الْأَرَت بن جندلة بن سعد بن خُزَيْمَة بن كَعْب بن سعد بن زيد مَنَاة بن تَمِيم وَكَانَ قينا يعْمل السيوف فِي الْجَاهِلِيَّة، وَقد شهد بَدْرًا، وَمَا بعْدهَا من الْمشَاهد. ويكنى أَبَا عبد الله، وَقيل:

أَبُو يحيى، وَقيل: أَبُو مُحَمَّد، وَكَانَ قديم الْإِسْلَام مِمَّن عذب فِي الله وصبر على دينه. نزل الْكُوفَة وَمَات بهَا سنة سبع وَثَلَاثِينَ. وَكَانَت سنه ثَلَاثًا وَسِتِّينَ. وَقيل: بل مَاتَ سنة تسع عشرَة بِالْمَدِينَةِ.

[٢] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١٣٨/١. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ٣٢٧/١.

[٣] ابن سعد:الطبقات ٣/ ١٥٠- ١٥١.ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق:٦٩/٣٣.

[٤]اللحى: العظم الذى على الخد، وهو من الإنسان العظم الذى تنبت عليه اللحية.

[٥]ابن هشام: السيرة ٢٦٣/١. الجامع الصحيح للسيرة النبوية:١٢٦٣/٤. الرحيق المختوم ٨٠/١. بهجة المحافل وبغية الأماثل ٧٦/١. سبل الهدى والرشاد ٣٢٠/٢. سيرة ابن إسحاق: ١٤٧. محمد بن عبد الوهاب:مختصر سيرة الرسول ٨٥/١.

روى الامام الترمذي في السنن عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول إني لأول رجل أهراق دما في سبيل الله وإني لأول رجل رمى بسهل في سبيل الله ولقد رأيتني أغزو في العصابة من أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم ما نأكل إلا ورق الشجر والحبلة حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة أو البعير وأصبحت بنو أسد يعزروني في الدين لقد خبت إذا وضل عملي.قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بيان. وقال الشيخ الألباني: صحيح. أنظر:كتاب الزهد - باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حديث٢٣٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَيضَعونَ بَينَ يَديهِ كُلُّ مَا فِي نُفوسِهِمْ وَواقِعِهِمْ فَيُرَبيهِمْ، عَلَيْهِ الصَلاةُ والسَلامُ عَلَى عَيْنِهِ. كَمَا تَرَبَى هَو عَلَى عَينِ اللهِ عز وجل، وأَصْبَحَ هَذا الجَمْع هَو قُرةَ عَينِ النَبيِّ صلى الله عليه وسلم [1].

اسباب اختيار دار الأرقم:

كَانَ إخْتِيار دَارِ الْأَرْقَمِ لِعدةِ أَسْبابْ مِنْهَا:

١- إنَّ الْأَرْقَمَ لَمْ يَكُنْ مَعْروفًا بِإسْلامِه، فَما كَانَ يَخْطُر بِبالِ أَحدْ أَنْ يَتُمَّ لِقاءَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وأَصْحابِه بِدارِه.

٢- إنَّ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ رضي الله عنه مِنْ بَنْي مَخْزوم، وَقبيلةِ بَنْي مَخْزوم هِيَ الَّتِي تَحْمِلُ لِواءَ التَنافُسِ والحَربُ ضِدَّ بَنْي هَاشِمْ. فَلوْ كَانَ الْأَرْقَم مَعْروفًا بِإسْلامِه فَلا يَخْطُرْ فِي البَالْ أَنْ يَكونَ اللِقاءَ فِي دارِه؛ لأَنَّ هَذا يَعْني أَنَّهُ يَتُمَّ فِي قَلْبِ صُفوفِ العَدو.

٣- إنَّ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ كَانَ فَتىً عِنْدَ إسْلامِه، فَلقَدْ كَانَ فِي حُدودِ السَّادِسَةَ عَشَرَ مِنْ عُمرِه، وَيومَ تُفكِرُ قُرَيْش فِي البَحْث عَنْ مَركَزِ التَجمُعْ الإسْلامِي، فَلنْ يَخْطِرَ فِي بَالِهَا أَنْ تَبْحثَ فِي بُيوتِ الفِتْيانِ الصِغارِ مِنْ أَصْحابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بَلْ يَتجه نَظرَهَا وَبَحْثَها إلى بُيوتِ كِبارِ أَصْحابِه، أَو بَيْتِه هَو نَفْسهُ عَلَيه الصُلاةُ والسلامُ[2].

الجهر بالدعـــوة:

لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ[3] الْأَقْرَبِينَ[4]﴾[5] صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا[6] لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ[7] لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا[8] بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ

---

[1] الغضبان: التربية القيادية ١ /١٩٨. الصلابي: السِّيرةُ النّبوية ١/٩٥. عماد الدين خليل:دراسة في السيرة، ص٥٣.

[2] الغضبان: التربية القيادية ١ /٤٩. الصلابي: السِّيرةُ النّبوية ١/٩٩.

[3] عشيرتك: قومك وقبيلتك.

[4] الأقربين: وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

[5] سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

[6] رسولا: من يستطلع له الخبر.

[7] أرأيتكم: أخبروني.

[8] خيلا: عليها فرسان يركبونها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تُغِيرَ[1] عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا[2]، قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ [3]عَذَابٍ شَدِيدٍ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ[4] أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ[5]، يَا صَبَاحَاهُ[6]».

ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَنْذَرَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَخَصَّ، وَعَمَّ، فَقَالَ:

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ[7]مِنَ اللهِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ[8] مِنَ اللَّهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ولَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا مَعْشَرَ بَنِي قُصَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ولَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ولَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.

يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا.

يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.

---

[1] تغير: تهجم وتوقع بكم.

[2] صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابٌ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ٦/١١١،حديث(٤٧٧٠).

[3] بين يدي: قدام.

[4] يربأ:على وزن يقرأ معناه يحفظهم ويتطلع لهم ويقال لفاعل ذلك ربيئة وهو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو ولا يكون في الغالب إلا على جبل أو شرف أو شيء مرتفع لينظر إلى بعد.

[5] يهتف: معناه يصيح ويصرخ.

[6] يا صباحاه: كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له.

[7] اشتروا أنفسكم: أنقذوها من النار بالإيمان والعمل الصالح.

[8] لا أملك لكم: معناه لا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، إِنَّ لَكِ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»[1].

ولَمَّا تَمَّ هَذَا الْإِنْذَار انْفَضَّ النَّاسُ وتَفَرَّقُوا،« فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) [2] »[3].

لجوء قريش إلى ترويج الاتهامات الباطلة:

حاولت قريش ترويج الاتهامات الباطلة للقضاء على الدعوة الاسلامية في مهدها،منها أنهم رُمُوا النَّبيَّ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة، فَكَانُوا ينادوه بالْمجْنُونِ (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)[4]، ويصمونه بالسِّحْرِ والْكَذِبِ (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)[5]، وكانوا يُشيِّعونه ويستقبلونَهُ بنظراتٍ مُلتهمةٍ ناقمةٍ، وعواطف مُنْفَعِلَةٍ هَائِجَةٍ(وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)[6]، وكان إذا جلس وحوله الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ استهزأوا بهم وقالوا: هؤلاء جُلَسَاؤُهُ (مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا)[7]، قال تعالى(أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)[8]، وكانوا كما قَصَّ اللَّهُ علينا(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) [9]. وقد أَكْثَرُوا من السُّخْرِيَةِ و الِاسْتِهْزَاءَ وزادوا مِنَ الطَّعْنِ والتضحيك شَيْئا فشيئاً حَتَّى أثر فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كما قال اللَّهُ تَعَالَى(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ)[10]، ثم ثَبَّتَهُ

---

[1] سنن الترمذي٥/٣٣٨، حديث ٣١٨٥. صحيح مسلم:كتاب الايمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ١٩٢/١،حديث ٢٠٤. صحيح مسلم:كتاب الايمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ١٩٣/١،حديث٢٠٧. صحيح مسلم:كتاب الايمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ١٩٢/١،حديث ٢٠٦. صحيح البخاري:كتاب الوصايا، بَابٌ: هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالوَلَدُ فِي الأَقَارِبِ٤/٦،حديث(٢٧٥٣).

[2] سورة المسد: الآية ٢.

[3] صحيح البخاري:كتاب تفسير القرآن، بَابٌ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ١١١/٦،حديث(٤٧٧٠).

[4] سورة الحجر: الآية ٦.

[5] سورة ص:الآية ٤.

[6] سورة القلم: الآية ٥١.

[7] سورة الانعام: الآية ٥٣.

[8] سورة الانعام: الآية ٥٣.

[9] سورة المطففين: الآيات ٢٩ــ ٣٣.

[10] سورة الحجر: الآية ٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله وأمره بما يَذْهَبُ بهذا الضّيق فقال: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [١]، وقد أخبره من قبل أنه يَكْفِيهِ هؤلاء الْمُسْتَهْزِئِينَ حيث قال: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)[٢]، وأخبره أن فعلهم هذا سوف يَنْقَلِبُ وَبَالًا عَلَيْهِمْ فقال: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)[٣].

وكانت قُرَيْش تقول عن الْقُرْآن: (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ)[٤] يَرَاهَا مُحَمَّد بِاللَّيْلِ ويَتْلُوهَا بِالنَّهَارِ، ويَقُولُونَ: (بَلِ افْتَرَاهُ)[٥] مِنْ عِنْد نَفْسِهِ ويَقُولُونَ: (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)[٦] وقَالُوا: (إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) [٧] أي اشْتَرَكَ هُوَ وزُملاؤهُ في اخْتِلاقِه (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [٨]، وأَحْيَانًا قَالُوا: إنَّ له جنّاً أو شَيْطَانَاً عليه كما يَنْزِلُ الْجِنّ و الشَّيَاطِين على الْكُهَّانِ. قَالَ تَعَالَى رداً عليهم: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) [٩]، أي إنها تَنْزِلُ على الْكذَّاب الْفَاجِر الْمُتلطِخ بالذُنوب، وما جَربتُمْ عليَّ كَذِباً، وما وَجَدْتُمْ فِيَّ فِسْقَاً، فَكيفَ تَجْعلونَ الْقُرْآن مِنْ تَنْزِيلِ الشَّيْطَان؟ وأَحْيَانًا قَالُوا عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إنه مُصَابٌ بنوعٍ مِنَ الْجُنُونِ، فَهُوَ يَتَخيلُ الْمعَانِي، ثُمَّ يَصوغَها في كَلِماتٍ بديعةٍ رائعةٍ كما يَصُوغُ الشُّعَرَاء، فهو شَاعِر وكَلَامَهُ شِعْر. قَالَ تَعَالَى رداً عليهم: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) [١٠].

هكذا كانَ يَرُدُّ عَليهِمْ بِجوابٍ مُقنعٍ حَولَ كُلِ شُبهةٍ كانوا يُثيرونَها ضِدَّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم والْقُرْآنِ والإسْلامِ.

أما شُبهاتِهم في رِسَالَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فإنهم مع اعْترافِهِمْ بِصدقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وأمانته وغايةِ صلاحِهِ وتَقواه، كانوا يَعْتقدونَ أنَّ مَنْصِبَ النُّبُوَّة والرِّسَالَةِ أجَلُّ وأعظمُ مِنْ أنْ يُعْطى لِبشرْ، فالْبَشَر لا يكون رسولاً، وَالرَّسُول لا يكون بشراً حَسبَ عَقيدتِهِمْ، فلمّا أعْلنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ نُبوتِهِ،

---

[١] سورة الحجر: الآيتان ٩٨ــ٩٩.

[٢] سورة الحجر: الآيتان ٩٥ــ٩٦.

[٣] سورة الانعام: الآية ١٠.

[٤] سورة الانبياء: الآية ٥.

[٥] سورة الانبياء: الآية ٥.

[٦] سورة النحل: الآية ١٠٣.

[٧] سورة الفرقان: الآية ٤.

[٨] سورة الفرقان: الآية ٥.

[٩] سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١ــ ٢٢٢.

[١٠] سورة الشعراء: الآيات ٢٢٤ ـــ ٢٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ودعا إلى الْإِيمَانِ بِهِ تَحَيروا وقَالُوا: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) [1]، وقالوا: إنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم بَشَرٌ، و(مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) [2]،فقَالَ تَعَالَى رداً عليهم:) قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ)، وكانوا يَعْرِفونَ ويَعْتَرفونَ بأنَّ موسى بَشَرٌ. وردَّ عليهمْ أيضاً بأنَّ كلُ قومٍ قَالُوا لُرسلهمْ إنْكاراً على رسالتهم: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) [3]،فـ (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) [4] . فالْأَنْبِيَاء والرُّسُل لا يَكونونَ إلاّ بَشراً، ولا منافاة بين الْبَشَرِيَّةِ والرِّسَالَةِ.

وانْتَقلوا بَعْدَ ذَلِكَ إلى شُبهَةٍ أُخرى، قَالُوا: إنَّ رُسلِ مُلُوكِ الدُّنْيَا يَمشونَ في مَوكبٍ مِنْ الخَدمِ والحَشمِ، ويَتمتعونَ بالأُبهةِ و الْجَلَالِ، ويُوَفِرُ لَهمْ كُلَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ، فما بالُ مُحَمَّدٍ يَدْفعُ فِي الْأَسْوَاقِ للقْمَةِ عَيشٍ وَهوَ يَدْعِيْ أَنهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) [5]، وردَّ على شُبهَتِهم هذِه بأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولٌ، يَعْنِي أَنَّ مُهِمتَهُ هيَ اِبلاغُ رِّسَالَةَ الله إلى كُلِّ صَغيرٍ وكبيرٍ، وضَعيفٍ وَقوي، وشَريفٍ ووَضيعٍ، وحُرٍّ وَعَبْدٍ، فلو لَبِثَ في الأُبهةِ والجَلَالِ والخَدمِ والحَشمِ والحَرسِ والمُواكبين مِثلَ رُسلِ الْمُلُوكِ، لَمْ يَكنْ يَصِلِ إليهِ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وصِغارِهِمْ حتى يَسْتَفِيدُوا به، وهُمْ جُمهورِ الْبَشَرِ، وإِذَنْ فَاتَت مَصْلَحَةُ الرِّسَالَةِ، ولَمْ تَعُدْ لَها فَائِدَةً تُذْكَر.

وكانوا يَطردونَ النَّاس ويُثيرونَ الشَغبْ والضَوضاءْ ويَتَغَنَّوْنَ ويَلْعَبُونَ، وإِذَا رَأَوْا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَتَهَيَّأ للدَعْوَةِ، أو إِذَا رَأَوْهُ يُصَلِّي ويَتْلوا الْقُرْآن. قَالَ تَعَالَى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)[6] حتى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَتَمَكَّنْ من تلاوة القرآن عَلَيهِمْ في مَجامِعهمْ ونَواديهمْ إلاّ في أَوَاخِرِ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وذَلِكَ أيضاً عَنْ طَرِيقِ الْمُفاجأةِ، دونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِقَصْدِه قَبلَ بِدايةِ التِلاوَةِ.

وَكَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، أحد شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ قَدْ قَدِمَ الْحِيرَةَ، وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ الْفُرْسِ، وَأَحَادِيثَ رُسْتُمَ وَاسْبِنْدِيَارَ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَجْلِسًا لِلتَذَكِّيرِ باللَّه، وَالتحَذِّير مِنْ نِقْمَتِهِ

---

[1] سورة الفرقان: الآية ٧.

[2] سورة الانعام: الآية ٩١.

[3] سورة ابراهيم: الآية ١٠.

[4] سورة ابراهيم: الآية ١١.

[5] سورة الفرقان: الآية٨.

[6] سورة فصلت: الآية٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خَلَفَهُ النَّضْرُ ويقول: أَنَا وَاَللَّهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتُمَ وَاسْبَنْدِيَارَ، ثمَّ يَقُول: بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي[1].

وفي رواية عن ابْن عَبَّاس رضي الله عنه أن النَّضر كان قد اشْترى قَيْنَةً،فَكَانَ لَا يسمع بِأحد يُرِيد الإِسلام إِلَّا انْطلق بِهِ إِلَى قَيْنَته فَيَقُول: أطْعِميهِ واسْقِيهِ وغَنِّيهِ هَذَا خير مِمَّا يَدْعُوك إِلَيْهِ مُحَمَّد [2]، وفيه نزل قَوْله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) [3] .

اضطهاد قريش للمستضعفين:

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ هَذِهِ الأساليب لَمْ تَجدْ نَفْعًا فِي إِحْبَاطِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ اسْتَشارُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَرَروا القِيامْ بِتَعذيب الْمُسلِمينَ وفِتْنَتَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَأَخَذَ كُلُّ رَئِيس يُعَذِّبُ مَنْ دانَ مِنْ قَبِيلَتِهِ بِالْإِسْلَامِ، وأَنْقَضَ كُلُّ سَيِّد عَلَى مَنْ إِخْتَار مِنْ عَبِيدِهِ طَرِيقَ الْأَيْمَانِ.

وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ، إِذَا سَمِعَ بِالرَّجُلِ قَدْ أَسْلَمَ، وكَانَ تَاجِرًا قَالَ: وَاَللَّهِ لَنُكَسِّدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ[4].

وَكَانَ بَلَالُ بْنُ رَبَاحٍ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ الْقَلْبِ، وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَتْ الظَّهِيرَةُ، فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخرة الْعَظِيمَة فتتوضع عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: (لَا وَاَللَّهِ) لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ، أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ. وكَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِهِ وَهُوَ يُعَذَّبُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ لسيده أَحْلِفُ باللَّه لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا [5]، حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا، وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ، وَكَانَتْ دَارُ أَبِي بَكْرٍ فِي بَنِي جُمَحٍ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ؟حَتَّى مَتَى؟ قَالَ: أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَفْعَلُ، عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْهُ وَأَقْوَى، عَلَى دِينِكَ، أُعْطِيكَهُ بِهِ، قَالَ: قَدْ قَبِلْتُ فَقَالَ: هُوَ لَكَ. فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ، وَأَخَذَهُ فَأَعْتَقَهُ[6].

---

[1] سيرة ابن هشام: ١/٣٠٠.

[2] السيوطي: الدر المنثور٦/٥٠٤.

[3] سورة لقمان: الآية ٦.

[4] سيرة ابن هشام ١/٣٢٠.

[5] أي لأجعلن قبره مَوضِع حنان: أَي عطف وَرَحْمَة، فأتمسح بِهِ متبركا، كَمَا يتمسح بقبور الصَّالِحين وَالشُّهَدَاء.

[6] سيرة ابن هشام ١/٣١٧ــ٣١٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ يَخْرُجُونَ بِعَمَّارِ [1] بْنِ يَاسِرٍ، وَبِأَبِيهِ وَأُمِّهِ [2]، وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ، إِذَا حَمِيَتْ الظَّهِيرَةُ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمْضَاءِ [3] مَكَّةَ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَقُولُ، فِيمَا بَلَغَنِي: صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ. فَأَمَّا أُمُّهُ فَقَتَلُوهَا، وَهِيَ تَأْبَى إِلَّا الْإِسْلَامَ[4].

وكانَ أبو فُكَيْهَةَ واسمه أَفْلَحْ مَوْلَى لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ. وكانَ من الأزد، وكانَ عبداً لصَفْوان بنْ أُمَيةَ فأَسْلَمَ حِينَ أَسْلَمَ بلالْ، فَمرَّ به أَبُو بَكرْ رضي الله عنه وقَدْ أَخَذهُ أُمَيةَ بنْ خَلفْ فَربطَ في رِجْلِهِ حَبْلاً وأَمرَ به فَجُرَّ ثَمَّ أَلقاهُ في الرَمْضاءِ فَمرَّ به جَعل فَقالَ: أليسَّ هذا رَبُّكَ، فقال: اللَّه ربي خَلَقَني وخَلَقَكَ وخلق هذا الجَعْل فَغَلط عَلَيْهِ وَجَعلَ يَخْنُقُه وَمَعهُ أَخوهُ أُبَيْ بنْ خَلفْ يَقْول: زِدْهُ عَذاباً حَتَى يَأْتي مُحَمَّدْ فَيُخَلِصهُ بسحْرِه. فَأخْرَجهُ نصفَ النَهارِ في شِدَّةِ الحَرِّ مُقَيداً إلى الرَمْضاءِ ووَضعَ على بَطْنِه صَخْرَةً فَدَلِعَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَزَلَ على تِلْكَ الحالْ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، ثُمَّ أَفاقَ فَمرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ وَأَعْتقهُ[5].

وكانَتْ زِنِّيرَةُ أَمَةٌ رُومِيَّةُ، قد أَسْلَمَتْ فَعُذِبَتْ فِي اللَّهِ، وَأُصِيبَتْ فِي بَصَرِهَا حَتَّى عَمِيَتْ، فَقِيلَ لَهَا: أَصَابَتْكِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا أَصَابَتْنِي، وَهَذَا مِنَ اللَّهِ ، وإِنْ شَاءَ كَشَفهُ، فَأَصْبَحَتْ مِنَ الْغَدِ وَقَد رَدَّ اللَّهُ بَصَرِهَا، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا بَعْضُ سِحْرِ مُحَمَّدٍ[6].

ومِمَّنْ أَسْلَمْنَ وعُذِبْنَّ مِنْ الْجَوَارِي: النَّهْدِيَّةَ وَبِنْتَهَا، وَكَانَتَا لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ[7].

ومِمَّنْ عُذِّبَ مِنَ الْعَبِيدِ: عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، كانَ يُعَذَّبُ حَتَّى يَفْقِدَ وَعْيَهُ ولَا يَدْرِي مَا يَقُولُ[8].

وكان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَحُثُّ أَصْحَابَهُ دَائِماً على الصَّبْرِ على الْأَذَى و يُخْبِرُهُمْ بأنَّ اللَّهُ تَعَالَى سَوفَ يَنْصُرُ دِينُهُ. فَقدْ جَاءَ إِلَيْهِ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ يَشْكُو إِلَيْهِ ما يُصِيبَهُمْ مِنْ شدَّة مِنْ الْمُشْرِكِينَ وقال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ

---

[1] روى أَن عمارا قَالَ لرَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد بلغ منا الْعَذَاب كل مبلغ، فَقَالَ لَهُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صبرا أَبَا الْيَقظَان، ثمَّ قَالَ: اللَّهمّ لَا تعذب أحدا من آل عمار بالنَّار. وعمار وَالْحُوَيْرِث وعبود بَنو يَاسر. وَمن ولد عمار عبد الله بن سعد، وَهُوَ الْمَقْتُول بالأندلس، قَتله عبد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة.

[2] وَاسْمهَا سميَّة: وَهِي بنت خياط، كَانَت مولاة لأبي حُذَيْفَة بن الْمُغيرَة، واسْمه مهشم، وَهُوَ عَم أَبِي جهل، وَقد غلط ابْن قُتَيْبَة فِيهَا، فَزعم أَن الْأَزْرَق مولى الْحَارِث بن كلدة خلف عَلَيْهَا بعد يَاسر، فَولدت لَهُ سَلمَة بن الْأَزْرَق، وَالصَّحِيح أَن أم سَلمَة بن الْأَزْرَق سميَّة أُخْرَى، وَهِي أم زِيَاد بن أَبِي سُفْيَان لَا أم عمار.

[3] الرمضاء: الرمل الحارة من شدَّة حرارة الشَّمْس.

[4] سيرة ابن هشام ٣٢٠/١.

[5] أسد الغابة ١٢٧/١، الاصابة في تمييز الصحابة ٥٣٦/٦، سبل الهدى والرشاد ٣٦٠/٢.

[6] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٥٦/٨، سيرة ابن هشام ٣١٨/١. عماد الدين خليل:دراسة في السيرة، ص٦١.

[7] سيرة ابن هشام ٣١٨/١.

[8] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٤٨/٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»، زَادَ بَيَانٌ: «وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ»[1].

اعتداءات على رسول الله

مَدَّتْ قُرَيْشٌ يَدَ الاعْتِداءِ إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، مَع ما كَانتْ تَأتيهِ مِنْ السُخْرِيَة والاسْتِهزاءِ والتَشْويهِ والتَلْبيسِ والتَشْويهِ وغَيرَ ذَلِكَ. وكَانَ عَمُّهُ أَبو لَهَبٍ في مُقَدِمَتِهِمْ وعلى رأسِهِمْ، فقد كَانَ أَبو لَهَبٍ قَدْ زَوَّجَ ولديه عُتْبَةَ و عُتَيبَةَ بِبنتي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رُقَيَّةَ، وَ أُمَّ كُلْثُومٍ قبل الْبَعْثَةِ . فَلَمَّا كانَتْ الْبَعْثَة أَمْرَهُمَا بتَطَلِّيقِهما بعُنفٍ و شِدَّةٍ حتى طَلَّقَهُما [2].

ولَّما مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ الإبن الثَّاني لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَبْشَرَ أَبُو لَهَبٍ وذَهَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يُبَشِرُهُمْ بأنَّ مُحَمَّدًا صارَ أَبْتَرَ[3].

وقَدْ رَوى طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُحَارِبِيِّ بأَنَّهُ رَأى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بسُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا وأَبُو لَهَبٍ يَتْبَعُهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَقَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ [4]وَكَعْبَيْهِ[5].

وكانت امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ ــ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَى بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ ــ لا تَقَلْ عَنْ زَوْجِهَا فِي عَدَاوَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَدْ كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ فَتَطْرَحُهُ عَلَى طَرِيقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِيَعْقُرَهُ وَأَصْحَابَهُ، وكانت امْرَأَةٌ سَلِيطَةً تَبْسَط فِيهِ لِسَانَهَا، وتُطِيل عَلَيْهِ الِافْتِرَاء و الدَّسِّ وتؤجِّجْ نَارِ الْفِتْنَةَ وتُثِيرُ حَرْبًا شَعْوَاء على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ ولذلك وصَفها القرآن بحَمَّالَةِ الحَطَبِ، وحِينَ سَمِعَتْ مَا نَزَلَ فِيهَا، وَفِي زَوْجِهَا مِنْ الْقُرْآنِ، أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ [6] مِنْ حِجَارَةٍ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

---

[1] صحيح البخاري، كتاب مناقب الانصار، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه، حديث رقم ٣٨٥٢.

[2] سيرة ابن هشام ٦٥٢/١.

[3] تفسير ابن كثير٥٠٤/٨.

[4] عرقوبيه: العرقوب: عصب موثق خلف الكعبين والجمع عراقيب مثل عصفور وعصافير.

[5] صحيح ابن حبان ٥١٨/١٤،حديث ٦٥٦٢.

[6] الفهر: حجر على مِقْدَار ملْء الْكَفّ. وَالْمَعْرُوف فِي الفهر التَّأْنِيث، إِلَّا أَنه وَقع هُنَا مذكرا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلى الله عليه وسلم، فَلَا تَرَى إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ: أَيْنَ صَاحِبُكَ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي، وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهَذَا الْفِهْرِ فَاهُ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَشَاعِرَةٌ، ثُمَّ قَالَتْ:

مُذَمَّمًا عَصَيْنَا... وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا وَدِينَهُ قَلَيْنَا [1]

ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَرَاهَا رَأَتْكَ؟ فَقَالَ: مَا رَأَتْنِي، لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنِّي[2]..

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى[3] جَزُورِ[4] بَنِي فُلاَنٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ[5] أَشْقَى القَوْمِ[6] فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لاَ أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ[7]، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ [8] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَاجِدٌ لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ[9]». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ [10]-، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَرْعَى[11]، فِي القَلِيبِ[12] قَلِيبِ بَدْرٍ[13].

---

[1] قلينا: أبغضنا.

[2] سيرة ابن هشام ٣٥٦/١.

[3] بسلى: الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم وهي كالمشيمة بالنسبة للآدمي.

[4] جزور: كل مذبوح من الإبل ذكرا أم أنثى.

[5] فانبعث: أسرع.

[6] أشقى القوم: أكثرهم خبثا وهو عقبة بن أبي معيط.

[7] منعة: عز وقوم يمنعوني من الأعداء لطرحته عنه.

[8] يحيل: ينسب كل منهم الفعل للآخر تهكما.

[9] عليك بقريش: أهلك كفارهم ومن فعل ذلك منهم.

[10] السابع هو: عمارة بن الوليد.

[11] صرعى: قتلى جمع صريع.

[12] القليب: البئر القديمة.

[13] صحيح: صحيح البخاري: كتاب الوضوء، بَابُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى ظَهْرِ المُصَلِّي قَذَرٌ أَوْ جِيفَةٌ، لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلاَتُهُ ٥٧/١،حديث (٢٤٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ إِذَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ. وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ، نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ [1].قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْهُمَزَةُ: الَّذِي يَشْتُمُ الرَّجُلَ عَلَانِيَةً، وَيَكْسِرُ عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ، وَيَغْمِزُ بِهِ. وَاللُّمَزَةُ: الَّذِي يَعِيبُ النَّاسَ سِرًّا وَيُؤْذِيهِمْ[2].

أما أخوهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ فكَانَ هو وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، مُتَصَافِيَيْنِ. وجَلَسَ عُقْبَةُ مرة إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَسَمِعَ مِنْهُ، فَلما بَلَغَ ذَلِكَ أُبَيًّا، أَتَبَهُ وعاتَبَهُ وطلب منه أنْ يَتْفُلَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَفَعَلَ، وأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ نَفْسَهُ فَتَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَظْماً بَالِياً ثُمَّ نَفَخَهُ فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم [3].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ "فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَزَبَرَهُ"، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) [4] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ"[5]. وفي رواية أنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذَ بِخناقِهِ وَهَزَّهُ، وهو يَقولُ لَهُ: "أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى"[6]. فَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ: أَتُوعِدُنِي يَا مُحَمَّدُ؟ وَاللَّهِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ شَيْئًا، وَإِنِّي لَأَعَزُّ مَنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْهَا[7].

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو جَهْلٍ لِيَفِيقَ بَعْدَ هذا الانْتِهار، بَلْ ازْدادَ شقاوةً فيما بَعْدُ. أخْرجَ مُسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ[8] بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ [9]مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ [10]وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟

---

[1] سورة الهمزة:الآيات ١ــ٩.

[2] سيرة ابن هشام ١/٣٥٦.

[3] سيرة ابن هشام ١/٣٦١.

[4] سورة العلق: الآيتان ١٧ــ١٨.

[5] حسن صحيح: رواه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن، باب ٨٤ ومن سورة اقرأ باسم ربك.٥/٤٤٤،حديث (٣٣٤٩) وقال الالباني:صحيح الاسناد.

[6] سورة القيامة: الآيتان ٣٤ــ٣٥.

[7] تفسير ابن كثير٨/٢٨٣.

[8] هل يعفر محمد وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

[9] فجئهم: بكسر الجيم ويقال أيضا فجأهم بفتحها لغتان أي بغتهم.

[10] ينكص على عقبيه: أي رجع يمشي ورائه قال ابن فارس النكوص الإحجام عن الشيء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»[1].

وفد قريش يهدد أبا طالب:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: مَشَى رجال من أشراف قُرَيْشٍ إلى أَبِي طَالِبٍ. فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا، فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا، وَإِمَّا أَنَّ تُخَلِّي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ، فَنَكْفِيكَهُ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ. وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ [2].

ثُمَّ جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ مرة أخرى، «فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا فَانْهَهُ عَنَّا. فَقَالَ: يَا عَقِيلُ انْطَلِقْ فَأْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ [3] أَوْ قَالَ: مِنْ حِفْشٍ- يَقُولُ بَيْتٌ صَغِيرٌ- فَجَاءَ به في الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ، قَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ قَدْ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ فَانْتَهِ عَنْ أَذَاهُمْ فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تَسْتَشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللهِ مَا كَذَّبْتَ ابْنَ أَخِي قَطُّ فَارْجِعُوا»[4].

---

[1] صحيح: صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين واحكامهم، بَابُ قَوْلِهِ: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} ٤/٢١٥٤،حديث (٢٧٩٧).

[2] سيرة ابن هشام ١/٢٦٥.

[3] الكبس: الكن يأوي إليه الإنسان.

[4] البيهقي: دلائل النبوة ٢/١٨٦.

وقد أورد ابن هشام في سيرته ١/ ٢٦٦ رواية نصها: عَظُمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ، فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنْ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ، قَالَ: فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ عَمَّهِ خَاذِلُهُ وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا عَمُّ، وَاَللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ. قَالَ: ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَبَكَى ثُمَّ قَامَ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا بن أَخِي، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: اذْهَبْ يَا بن أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْت، فو اللهِ لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا.قال الألباني – رحمه الله – في كتابه السلسلة الضعيفة (٢/ ٣١١) ح رقم (٩٠٩):(وهذا إسناد ضعيف معضل، يعقوب بن عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين، مات سنة ثمان وعشرين ومائة. التعليق: إسناده ضعيف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سياسة المفاوضات:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكُفُّ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمْهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا بن أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ[1] فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ، قَالَ: يَا بن أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا [2] تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. (حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [3]. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ.

---

[1] السِّطَةِ: المنزلة الرفيعة المهيبة.

[2] الرئى (بِفَتْح الرَّاء وَكسرهَا): مَا يتَرَاءَى للْإِنْسَان من الْجنّ.

[3] سورة فصلت: الآيات ١ – ١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، وَلَا بِالسِّحْرِ، وَلَا بِالْكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فاعتزلوه، فو اللهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ[1].

وَفِي رواياتٍ أُخرى: أنَّ عُتْبَةُ استمع حَتَّى إذا بَلَغَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم قَوْلُهُ تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ! حَسْبُكَ! ووضعَ يَدَهُ عَلَى فَمِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَنَاشَدَهُ بِالرَّحِمِ، وَذَلِكَ مخافة أَنْ يَقَعَ النَذْير، ثمَّ قام إلى القومِ فَقال ما قال[2].

وكأن رَجَاءَ قُرَيْشٌ لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَا أَجابَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عُتْبَةُ على اقْتِراحاتِه؛ لأنه لَمْ يَكُنْ صَرِيحًا فِي الرَّفْضِ أو الْقَبُولِ، بَلْ تَلَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم آيَاتٌ لَمْ يَفْهَمْهَا عُتْبَةُ، وَرَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَتَشَاوَرَ رُؤَسَاءَ قُرَيْش فِيمَا بَيْنَهُمْ وفَكَّرُوا فِي كُلِّ جَوَانِب الْقَضِيَّةِ، ودَرَسُوا كُلْ الْمَوَاقِف برَوِيَّةٍ وتَرَيّث، ثُمَّ اجْتَمَعُوا يَومًا، عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُونَهُ، فَجَاءَ مُسْرِعًا يَرْجُوا خَيْرًا، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ عُتْبَةُ، وعَرَضُوا عَلَيْهِ نَفْس الْمَطَالِبَ الَّتِي عَرَضَهَا عُتْبَة. وَكَأَنَّهُم ظَنُّوا أَنَّهُ لَمْ يَثِقْ بِجدّيَة هَذَا الْعَرَضِ حِينَ عَرَضَ عُتْبَة وَحْدَهُ، فَإِذَا هُمْ أَجْمَعُونَ يَثِق و يُقْبَل، وَلَكِنْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"، أَوْ كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم [3].

فانْتَقَلُوا إِلَى نُقْطَةٍ أُخْرَى، وطلبوا منه أن يسأل رَبّهُ أن يُسَيِّرْ عَنَّهم الْجِبَالَ، وَيَبْسُطْ لَهم البِلَادَ، وَيُفَجِّرْ فِيهَا الانَهَار، ويُحيي لَهُمْ المَوتى ــ لاسيما قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَإِنْ صَدَّقُوهُ يؤمنون به. فَأجابَ بِنَفْسِ ما سَبقَ مِنْ الجَواب.

فانْتَقَلُوا إِلَى نُقْطَةٍ ثَالِثَةٍ، وطلبوا منه أن يسأل رَبّهُ أَنْ يَبْعَثَ له مَلَكًا يُصَدِّقُهُ، وَيُرَاجِعُونه فيه، وأن يَجْعَلْ لَه جَنَاتٍ وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، فأجابَهُمْ بِنَفْسِ الجَواب.

---

[1] قال الألباني عنه: إنه حسن مرسل.انظر: المطالب العالية ١٧/٢٧٣.سيرة ابن هشام ١/٢٩٣ــ ٢٩٤.

[2] تفسير ابن كثير٧/١٦٢.

[3] المباركفوري: الرحيق المختوم ص١٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فانْتَقَلُوا إِلَى نُقْطَةٍ رَابِعَةٍ، وطلبوا منه الْعَذَاب: أَنْ يُسْقِطْ عَلَيْهِم السَّمَاءَ كِسَفًا كَمَا يقول ويتوعد، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ، فقَالُوا: أَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ وَنَسْأَلُكَ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ، حتى يُعَلِّمَكَ مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ، وَمَا هُوَ صَانِعٌ بِنَا، إِذْا لَمْ نَقْبَلْ.

وأخيراً هددوه أشد التهديد، وقالوا: أما وَاَللَّهِ لَا نَتْرُكُكَ وَمَا فَعَلَتَ بِنّا حَتَّى نهلكك، أَوْ تُهْلِكَنَا، وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى أَهْلِهِ حَزِينًا آسِفًا لِمَا فَاتَهُ ما طَمِعَ مِنْ قَوْمِهِ[1].

مساومات وتنازلات:

ولّما فَشَلَتْ قُرَيْشٌ في مفاوضتِهِمْ المَبْنِيَة على الاغراءِ والترغيب، والتهديدِ والترهيب، وخابَ أَبُو جَهْلٍ فيما أَبْداهُ مِنَ الرعونةِ وقَصدِ الفتكِ، تَيَقظتْ فيهِمْ رغبة الوصولِ إلى حلٍ حصيفٍ يُنقذهُمْ عَمّا هُمْ فيهِ، و لَمْ يَكونوا يَجْزمونَ أنَّ النبيَّ على باطلٍ، بَلْ كانوا كما قالَ اللَّهُ تَعَالَى {لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}[2]. فرأوا أَنْ يُساوِموهُ صلى الله عليه وسلم في امورِ الدِّينِ، وَيَلتقوا بِهِ في منتصفِ الطريقِ، فَيَتْركوا بَعض ما هُمْ عَليهِ، وَيُطالبوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم بِتركِ بعضِ ما هُوَ عَليهِ، وَظنّوا أَنَهُمْ بِهذا الطريق سيصيبونَ الحقَّ، إِنْ كانَ يَدْعوا إليهِ النبيّ صلى الله عليه وسلم حَقاً.

وَاعْتَرَضَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ- فِيمَا بَلَغَنِي- الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ فِي قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ، وَتَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ، فَنَشْتَرِكُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا نَعْبُدُ، كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا بِحَظِّنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مَا نَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا تَعْبُدُ، كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[3][4]..

وَأخرج عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا أَن قُرَيْشًا قَالَت: لَو استلمت آلِهَتَنَا لعبدنا إلهك فَأنْزل الله {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[5].

---

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور٥/٣٣٧ــ ٣٣٩.

[2] سورة الشورى: الآية ١٤.

[3] سورة الكافرون: الآيات ١ــ ٥.

[4] سيرة ابن هشام ١/٣٦٢.

[5] الدر المنثور في التفسير بالمأثور٨/٦٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخْرَجَ ابنُ جَرِيْر[1] وَغَيْرَه عَنْهُ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا لرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فأَنْزَلَ اللَّهُ: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) [2].

ولّما حَسمَ اللَّهُ تَعَالَى هذهِ المُفاوضَة المُضحكةِ بهذهِ المُفاصَلةِ الجازمةِ لَمْ تَيْأس قُرَيْش كلَّ اليَأس، بَلْ أَبْدوا مَزْيداً مِنَ التنازُلِ بشَرْط أَنْ يَجْري النبيُّ بَعضَ التَعديلِ فِيْما جاءَ بِهِ مِنْ التَعْليمات، (فقالوا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)، فَقَطعَ اللهُ هٰذا السَبيل أيضاً بإنزالِ ما يَرْد بِهِ النَبيّ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمْ فَقال: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [3].وَنَبَّهَ على عِظَمِ خُطورةِ هٰذا العَمَل بقَولِه: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) [4].

ميثاق المقاطعة العامة:

زَادَتْ حَيْرَةِ الْمُشْرِكِينَ إِذْ نَفَذَتْ بِهِمْ الْحِيَل، ووَجَدُوا بَنِي هَاشِمٍ وبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُصَممينَ عَلَى حِفْظِ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالْقِيَامِ دُونَهُ، كَائِنًا مَا كَانَ، فاجتمعوا في خَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ [5] من وادي الْمُحَصَّبَ فتَحَالَفُوا، على بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ألاَ يُنَاكِحُوهُمْ[6] وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ، وَلَا يُجَالِسُوهُمْ وَلَا يُخَالِطُوهُمْ، وَلَا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ، وَلَا يُكَلِّمُوهُمْ، حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم للقتل، وكَتَبُوا بذلك صَحيفةً فيها عُهودٌ ومَواثيق « ألاّ يَقْبلوا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ صُلْحاً أبداً، ولا تَأخُذُهُم بِهِمْ رَأفةٌ حتى يُسَلِموهُ، للقَتلِ» قال ابن القيم: يُقَالُ: كَتَبَهَا: مَنْصُورَ بْنَ عِكْرِمَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ هَاشِمٍ، وَيُقَالُ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ بَغِيضُ بْنُ عَامِرِ بْنِ هَاشِمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَشُلَّتْ يَدُهُ[7].

---

[1] تفسير ابن جرير الطبري٢٤/٧٠٣.

[2] سورة الزمر: الآية ٦٤.

[3] سورة يونس: الآية ١٥.

[4] سورة الاسراء: الآيات ٧٣ــ ٧٥.

[5] خيف بني كنانة: وهو مكان في أعلى مكة على طيق منى والخيف كل ما نحدر من الجبل وارتفع عن المسيل. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال:...وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ، تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ: أَنْ لاَ يُنَاكِحُوهُمْ وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ، حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم).صحيح: رواه البخاري: كتاب الحج، بَابُ نُزُولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ٢/١٤٨، حديث ١٥٩٠.

[6] يناكحوهم:يزوجوهم أو يتزوجوا منهم.

[7] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمَّ هذا الميثاق، وَعُلِّقَت الصَحِيفَة في جوفِ الْكَعْبَةِ، فَانْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ إِلَّا أبا لهب، وَحُبِسوا في شِعْبِ أبي طالب لَيْلَةَ هِلَالِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْبَعْثَةِ[1].

حصار المسلمون في شعب أبي طالب:

واشتّدَ الحِصارْ، وقَطَعتْ عَنْهُم الْمِيرَةَ[2] والْمادَّةَ[3]، فَلمْ يَكُنْ المُشركونَ يَتْركونَ طَعاماً يَدْخُلُ مَكةَ ولا بَيْعاً إلاّ بادَروهُ فاشْتَروهُ، حتى بَلَغَهم الجُهُد والتجأوا إلى أكلِ الأوراقِ والجلودِ، وحَتَّى كانَ يَسْمَعُ مِنْ وراءِ الشِعْبِ أصْواتِ نِسائِهِمْ وصِبيَّانِهم أنَّهُم يَتضاغَوْنَ مِنْ الْجُوعِ، وكان لا يَصِلُ إليهمْ شَيء إلاّ سِراً- وكانوا- لا يَخْرُجونَ مِنْ الشِعْبِ لاشتراء الحَوائِجِ إلاّ في الأشْهُرِ الحُرَمِ، وكانوا يَشْترونَ مِنَ العِيرِ التي تَرِدُ مَكَّةَ مِنْ خارجِها، ولكِنْ أهْلُ مَكَّةَ كانوا يَزْيدونَ عَليهِمْ في السِلْعَةِ قيمتها حتى لا يَسْتَطِيعُوا الإشْتِراء[4].

وَكَانَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ [5] بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام [6]إلى عَمَّتِهِ خَدِيجَةُ - رضي الله عنها- وقد تَعَرَّضَ لَهُ مَرَّةً أَبُو جَهْلٍ فَتَعَلَّقَ بِهِ لِيَمْنَعَهُ فَتَدخَّلَ بَيْنَهُما أَبُو الْبَخْتَرِيِّ، ومَكَّنَهُ مِنْ حَمْلِ الْقَمْحِ إلى عَمَّتِهِ.

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَخَافُ على رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فكَانَ إذا أخَذَ النَّاسُ مَضاجِعِهِمْ يأمر رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَضْطَجِعَ على فِراشِهِ، حَتَّى يَرَى ذَلِكَ مَنْ أَرَادَ اغْتيالَهُ، فإذا نام النَّاسُ أمر أحد بَنِيهِ أو إخْوَانِهِ أو بني عَمِّهِ فَاضْطَجَعَ على فِراشِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وأمَرَهُ أن يَأْتِي بعض فرشهم[7].

نقض صحيفة الميثاق:

مرَّتْ ثلاثةُ أعوامٍ كاملةٍ والأمر على ذَلِكَ، وفي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ عشر من النبوة حدث نَقْض الصَّحِيفَةِ وفَكْ المِيثاق، وذلك أن قُرَيْشًا كانوا بَيْنَ راضٍ بِهذا المِيْثاق وكارهٍ لَهُ، فَسَعى فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ مَنْ كانَ كارهاً لَهَا[1].

---

[1] تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس١/٢٩٧.

[2] الميرة: ما يجلب من الطعام.

[3] المقريزي: امتاع الاسماع ١/٤٤.

[4] المباركفوري: الرحيق المختوم ص١٣٤.

[5] ابن أخي خديجة رضي اللَّه عنها.

[6] المقريزي: امتاع الاسماع ١/٤٤.

[7] الدرر في اختصار المغازي والسير١/٥٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكانَ القائِمْ بذلكَ هِشَامِ بْنِ عَمْرِو مِنْ بَنْي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ- وكانَ يصل بَنِي هَاشِمٍ فِي الشِّعْبِ مُسْتَخْفِيَاً بالليّلِ بالطَّعَامَ، ثُمَّ إنَّهُ مَشَى إلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومي، وَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِب، فَقَالَ: يَا زُهَيْرُ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ، وَتَنْكِحَ النِّسَاءَ، وَأَخْوَالُكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إلَيْهِمْ؟ فقالَ: وَيْحَكَ يَا هِشَامُ! فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَاَللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِي رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا، قَالَ: قَدْ وَجَدْتَ رَجُلًا قَالَ: فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: أَبْغِنَا رَجُلًا ثَالِثًا.

فَذَهَبَ إلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فذكره أرحام بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِب ابني عَبْدِ مَنَافٍ ولامته على موافقته لِقُرَيْشٍ على هذا الظلم، فَقَالَ: المُطْعِم: وَيْحَكَ! مَاذَا أَصْنَعُ؟ إنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، قَالَ: قَدْ وَجَدْتَ ثَانِيًا، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: أَبْغِنَا ثَالِثًا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: أَبْغِنَا رَابِعًا[٢].

فَذَهَبَ إلَى الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَام، فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُعِينُ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ ابْن أَبِي أُمَيَّةَ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَنَا مَعَكَ، قَالَ: أَبْغِنَا خَامِسًا.

فَذَهَبَ إلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِب بْنِ أَسَدٍ، فَكَلَّمَهُ، وَذكر لَهُ قَرَابَتَهُمْ وَحَقَّهُمْ، فَقَالَ لَهُ: وَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُونِي إلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ سَمَّى لَهُ الْقَوْمَ. فاجتمعوا عند الْحَجُونِ، وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْقِيَامِ بِنَقْضِ الصَّحِيفَةِ، وَقَالَ زُهَيْرٌ: أَنَا أَبْدَؤُكُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إلَى أَنْدِيَتِهِمْ، وَغَدَا زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، أَنَأْكُلُ الطَّعَامَ وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلْكَى لَا يُبَاعُ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَاَللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةُ.

قَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: كَذَبْتَ وَاَللَّهِ لَا تُشَقُّ، قَالَ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ: أَنْتَ وَاَللَّهِ أَكْذَبُ، مَا رَضِينَا كِتَابَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ، قَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمْعَةُ، لَا نَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا، وَلَا نُقِرُّ بِهِ.

قَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ: صَدَقْتُمَا وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، نَبْرَأُ إلَى اللَّهِ مِنْهَا، وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا.

قَالَ هِشَامُ ابْن عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ، تُشُوورَ فِيهِ بِغَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ.

وَأَبُو طَالِبٍ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَامَ الْمُطْعِمُ إلَى الصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّهَا، فَقَامَ الْمُطْعِمُ إلَى الصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّهَا، فَوَجَدَ الْأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْهَا، إلَّا «بِاسْمِكَ اللَّهمّ» [١].

---

[١] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٢٧.

[٢] ابن هشام: السيرة النبوية ١/٣٧٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمَا كَانَ فِيهَا مِنَ إِسْمِ اللَّهِ فإنها لَمْ تَأْكُلَهُ.

ثُمَّ نَقْضِ الصَّحِيفَةِ، وخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ومَنْ مَعَهُ مِنْ الشِّعْبِ، وقَدْ رَأَى الْمُشْرِكُونَ آيَةً عَظِيمَةً من آيَاتِ نُبُوَّتِهِ، وَلَكنهُمْ كما أَخْبَرَ الله عَنْهُمْ، (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا، وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) [٢] أعْرَضوا عَنْ هذهِ الْآيَة وازْدَادَوا كُفْراً إِلَى كُفْرِهِمْ.

الهجرة إلى أرض الحبشة:

زادَتْ قُرَيْش مِنْ أَذاهَا واعْتِداءَها وتَعْذِيبَها للمُسْلِمينَ، وَلا سِيَّمَا الضُعَفاء مِنْهُمْ

لِهَذا فَكرَّ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم فِي أَنْ يَبْحثَ لَهُمْ عَنْ سُبلٍ تُنْجيهم مِنْ فِتْنَةِ الْمُشْرِكينَ لَهمْ فِي دِينهمْ، خَشْيَةَ أَنْ يَضْعفَ بَعْضُهمْ، فَيَترك دِينَهُ،وفِي هَذِه الظُروفِ نَزلتْ سُورَة الزُمَر تُشيْر إِلى اتِخاذِ سَبْيل الهِجْرةِ، وَتُعلِنُ بِأَنَّ أَرضُ اللهِ لَيْستْ بِضَيقةٍ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ، وَأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ، إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ) [٣][٤].

تَقولُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا [٥] والَّتِي كَانتْ مِنْ ضِمنَ مَنْ هَاجرَ إِلى الحَبشَةِ فِي الهِجْرَةِ الأولى: «لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِيَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنْ عَمِّهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مِمَّا يَنَالُ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا فَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ وَإِلَى خَيْرِ جَارٍ آمَنَّا عَلَى دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا» [٦].

---

[١] ابن هشام: السيرة النبوية ١/٣٧٦.

[٢] سورة القمر: الآية ٢.

[٣] سورة الزمر: الآية ١٠.

[٤] المباركفوري: الرحيق المختوم ص١١٥.

[٥] ولم تكن قد تزوجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حينذاك.

[٦] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٣٢٢. البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٠١. المقريزي: امتاع الاسماع ٤/٣٦٣. العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/١٧٠. السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة ١/١٢٦. ابن اسحاق: السير والمغازي:١/٢١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَقَدْ بَدأتْ الهِجْرةُ الأولى إلى الحَبشَةِ فِي شَهْرِ رَجَبَ مِنَ السَنةَ الخامِسَةَ للبعْثَةِ. هَاجرَ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ خرجوا متسللين سرّا [١]. وَأَنَّهُمْ خَرَجُوا مُشَاةً إِلَى الْبَحْرِ فَاسْتَأْجَرُوا سَفِينَةً بِنصْف دِينَار[٢].

وكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَأخرج يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ بِسَنَدٍ مَوْصُولٍ إِلَى أَنَسٍ قَالَ: أَبْطَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرُهُمَا فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ لَهُ لَقَدْ رَأَيْتُهُمَا وَقَدْ حَمَلَ عُثْمَانُ امْرَأَتَهُ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ صَحِبَهُمَا اللَّهُ إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ[٣].

وَقَدْ سَرَدَ ابْنُ إِسْحاقَ وَغَيرُهُ أَسْماءَ مُهاجِرةَ الحَبشةِ وَهمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِّ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْر وَأَبُو سَلمَةَ بن عبد الْأسد وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ [٤]وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَسُهَيْلُ بن بَيْضَاءَ وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ وَيُقَالُ بَدَلَهُ حَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو الْعَامِرِيُّ وأما النسوة فهن رُقَيَّة بِنتْ النَبيِّ صلى الله عليه وسلم وَسَهْلَة بِنتْ سَهلْ امْرَأَة أَبِي حَنِيفَةَ، أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ، امْرَأَة أَبِي سَلَمةَ، وَلَيْلَى بِنتْ أَبِي حَثمَة امْرَأَة عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ [٥].

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يدخل في جِوَارِ ابْنُ الدُّغُنَّةِ:

أَرادَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه الإِلتِحاقَ بِالْمُهاجِرينَ إِلى الحَبشَةِ فِي هَذهِ الهِجْرةِ الأولى بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ عَلَيْهِ، وَيظهَرْ أَنَّهُ سَلكَ طَرِيقاً آخرَ، إِذْ تُشيرُ الأَخْبارَ بِأَنهُ سَارَ فِي طَرِيّقِ اليَمنِ حَتّى إِذا مَا بَلغَ بَرْكَ الْغِمَادِ[٦] لَقِيَهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ [٧]. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَالَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ: أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي وَآذَوْنِي، وَضَيَّقُوا عَلَيَّ، قَالَ: وَلِمْ؟ فو الله إِنَّكَ لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ، وَتُعِينُ عَلَى النَّوَائِبِ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ،

---

[١] تثبيت دلائل النبوة:١/٢٠.سبل الهدى والرشاد ١١/١.

[٢] ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٨٨/٧.

[٣] انيس الساري ٣٤٠٥/٥. حديث ٢٣٠٩. ابن حجر:فتح الباري ١٨٨/٧. البيهقي- دلائل النبوة ٢/ ٢٩٧.

[٤] عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي: من المهاجرين الأولين السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، وشهد بدراً، ثم مات، عقبها في سنة ٢ من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم. انظر، مسند الامام احمد: تحقيق أحمد محمد شاكر ٢٨٥/٢.

[٥] السهيلي: الروض الآنف ٢٤١/٣. ابن هشام: السيرة ١/ ٣٢٢. الموسوعة في صحيح السيرة النبوية ٣٢٠/١. بهجة المحافل وبغية الأماثل ٩٥/١.

[٦] وهو موضع على خمس ليال من مكة.

[٧] هُوَ مَالك بن الدغنة سيد الْأَحَابِيش، وهم بَنو الْحَارِث الكنانيون والهون بن خُزَيْمَة القاريون الكنانيون قوم ابْن الدغنة وَبَنُو المصطلق الخزاعيون. تحالفوا عِنْد جبل يُقَال لَهُ حبشِي فسمو الْأَحَابِيش. انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير ٤١/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، ارْجِعْ فَأَنْتَ فِي جِوَارِي. فَرَجَعَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، قَامَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَا يَعْرِضَنَّ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِخَيْرٍ. قَالَتْ: فَكَفُّوا عَنْهُ[1].

وَكَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِي بَنِي جُمَحٍ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا، إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَبْكَى. قَالَتْ: فَيَقِفُ عَلَيْهِ الصِّبْيَانُ وَالْعَبِيدُ وَالنِّسَاءُ، يَعْجَبُونَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ. قَالَتْ: فَمَشَى رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى ابْنِ الدُّغُنَّةِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا بن الدُّغُنَّةِ، إِنَّكَ لَمْ تُجِرْ هَذَا الرَّجُلَ لِيُؤْذِيَنَا! إِنَّهُ رَجُلٌ إِذَا صَلَّى وَقَرَأَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ يَرِقُّ وَيَبْكِي، وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَنَحْوٌ، فَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ عَلَى صِبْيَانِنَا وَنِسَائِنَا وَضَعَفَتِنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ، فَأْتِهِ فَمُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَلْيَصْنَعْ فِيهِ مَا شَاءَ. قَالَتْ: فَمَشَى ابْنُ الدُّغُنَّةِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي لَمْ أُجِرْكَ لِتُؤْذِيَ قَوْمَكَ، إِنَّهُمْ قَدْ كَرِهُوا مَكَانَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَتَأَذَّوْا بِذَلِكَ مِنْكَ، فَادْخُلْ بَيْتَكَ، فَاصْنَعْ فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: أَوَأَرُدُّ عَلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَارْدُدْ عَلَيَّ جِوَارِي، قَالَ: قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ. قَالَتْ: فَقَامَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدَّ عَلَيَّ جِوَارِي فَشَأْنُكُمْ بِصَاحِبِكُمْ[2].

وَهَكَذا بَقِيَّ أَبُو بَكْرٍ بِمَكَّةَ إِلى جِوارِ الرَسُولِ الكَرِيمِ صلى الله عليه وسلم، مُسْتَجِيراً بِاللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى يَحْتَمِلُ أَذَى مُشْرِكِي قُرَيْش، بَعْدَ أَنْ كَانَ الرَسُولُ قَدْ أُذِنَ لَهُ بِالهِجْرَةِ إِلى الحَبَشَةِ.

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

وَبعدَ هِجْرةِ الحَبَشَةِ الأولَى بِفترةٍ قَليلَةٍ، حَدثَ أَنْ صَلّى النَبيُّ صلى الله عليه وسلم فِي المَسْجدِ الحَرامِ، فَقرَأَ سُورةَ النَجْمِ وَسجدَ فِي مَوضِعِ السُجودِ فَسجدَ مَعهُ كُلُ مَنْ كَانَ يَسْمَعهُ مِنْ المُسلِمينَ والمُشْرِكينَ [3]. وَشاعَ أَنَّ قُرَيْشَاً قَدْ أَسْلَمتْ، وَبلغَ المُسلمينَ وَهمْ بِأرضِ الحَبشَةِ «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَسْلَموا فَرجعَ نَاسٌ مِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ مظعونٍ إِلى مَكَّةَ فَلَمْ يَجدُوا مَا أُخْبِروا به صَحِيحَاً فَرَجَعوا وَسارَ مَعَهمْ جَماعةً إِلى الحَبشَةِ، وَهيَ الهِجْرَة الثانيَةَ، وَقَدْ ذَكَرتْ إِحْدى الرِواياتِ الصَحيحَةَ أَنهمْ «كَانُوا اثْنَين وَثَمانينَ رَجُلاً سِوَى نسائِهمْ وأَبْنائِهمْ... وَقِيلَ إِنّ عَددِ نسائِهمْ كَانَتْ ثَمانيَّ عَشْرَةَ امْرَأة» [4]. وَلا شَكَّ فِي أَنَّ دَوافِعَ الهِجْرةِ الثَّانِيَةِ قَدْ شَمِلَتْ اشْتِدادَ البَلاءِ

---

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٣٧٣.بإسناد حسن

[2] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٣٧٤.

[3] سبل الهدى والرشاد٢٠٢/٨. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١٤٩/١. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز١٢٠/١.

[4] العمري:السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيحَةُ١٧٢/١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٦٨/٧.ابن حجر: فتح الباري ١٨٩/٧. فتح السلام شرح عمدة الأحكام ٤٧٥/٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَتَعاظُمَ الفِتْنَةِ والتَعْذيبِ الدّائِمِ للمُسْتَضْعفينَ مِنْ المُسلِمينَ، والعِدْوانِ المُستَمرِّ عَلَى أَصْحابِ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم [1].

وَقدْ ذَهبتْ رِواياتٍ مُرْسلَةٍ صَحيْحَةَ السَندِ [2] إلى أَنَّ الْشَيْطانَ كَانَ قَدْ أَلقَى عَلَى لِسانِ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم فِي قِراءَتِه لِسورةِ النَجْمِ فِي صِلاتِه تِلْكَ فِي الحَرمْ عِبَارَة «تِلْكَ الغَرانيقُ العُلا وإنَّ شَفَاعَتَهنَّ لَتُرْتَجَى»، وَذَهبتْ رِواياتٍ مُرْسلَةٍ وأُخْرَى ضَعيفَةَ الأَسانيدِ إلى أَنَّ هَذِه العِبارَةَ قَدْ قَالَها الشَيْطانُ، وَسَمِعَها المُشْرِكونَ دُونَ المُسْلِمينَ، فَسجدَ المُشْرِكونَ بِسُجودِ المُسلِمينَ [3]. وَقَدْ اِعْتَرَضَ عَلَى هَذِه القِصَّةَ عَددٌ كَبيرٌ مِنْ أَفاضِلِ العُلَماءِ والنُقَّادِ [4]. والحَقُّ أَنَّ هَذِه القِصَّةَ تَصْطَدِمُ بِنصوصِ القُرآنِ الكَرِيمِ [5]، وَعِصْمَةُ النُبوَّةِ فِي قَضِيةِ الوَحْيِّ [6]، وَتَتعارَضُ معَ عَقيدةِ التَوحيدِ وَهِيَّ الأَصْلُ فِي العَقيدَة الإِسْلامِيَة.

الوفد القرشي إلى الحبشة:

بَادرَتْ قُرَيْش بَعدَ الهِجْرةِ الثّانيةِ وَفَشلَها فِي مَنْعِ المُسْلِمينَ مِنْ الهِجْرَةِ، وَنَتيجَة تَخوفِهَا مِنْ انْتِشارِ الدَعْوةِ الإِسْلامِيةِ، فَأَرْسَلتْ وَفْداً مُؤلفاً مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَمعَهُما الهَدايَا إلى النَّجَاشِيّ وَبَطارِقَتهُ، بهدفِ إعادةِ مَنْ هَاجرَ مِنْ المُسْلِمينَ إلى مَكَّةَ. وَحاولَ الوَفْدُ إقْناعَ البَطارِقةِ عَنْ طَرِيقِ الهَدايا، وَعنْ طَرِيقِ تَصْوِيرِ المُهاجِرينَ المُسلِمينَ لَهُمْ بِأَنَهُمْ «غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ... » [7]، وبيّتوا الأَمْرَ معَ البَطارِقةَ عَلَى أَنْ يَشْيرُوا عَلَى النَّجَاشِيّ بِأَنْ يُسلِمَهُم إلِيهِم وَلا يُكَلِمَهمْ، غَيرَ أَنَّ النَّجَاشِيُّ رَأى ضُرورةِ أَنْ يَتَحرَى الأَمْرَ بِنَفسهِ فَدَعا المُسلِمينَ وَطلبَ

---

[1] ابن إسحاق: السير والمغازى ١/ ٢١٣.

[2] ورد في أسانيدها سعيد بن جبير، وأبا بكر بن عبد الرحمن وأبا العاليه.

[3] روى هذه القصة ابن سعد في طبقاته ١/ ٢٠٥- ٢٠٦، عن طريق الواقدي وهو ضعيف جدّا، والطبري في التفسير وفي إسناده أبو معشر وهو ضعيف، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٨٥- ٢٨٧ وإسناده ضعيف، ولم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة.

[4] نذكر منهم الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٦)، والقاضي عياض في الشفا (٢/ ٢٨٨ وما بعدها)، العمري:السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ١/١٧١.، وللشيخ محمد ناصر الدين الألباني رسالة عنوانها «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» خرّج فيها أحاديثها وحكم عليها بالضعف والبطلان وقد فسر الألوسي سبب سجود المشركين بما اعتراهم من خوف ودهشة وهم يستمعون إلى أخبار هلاك من سبقهم من الأمم السابقة. انظر: الآلوسي: روح المعاني ٩/ ١٧٤.

[5] سورة النجم: الآية ٢٣، سورة الحجر: الآية ٤٢، سورة ص: الآيات ٨٢- ٨٣، سورة النحل: الآية ٩٩.

[6] ناصر الدين الألباني: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق. أبو شهبة: السيرة النبوية ١/ ٣٦٤- ٣٧٤.

[7] ابن هشام: السيرة ١/ ٣٣٤- ٣٣٥. البيهقي:دلائل النبوة ١/٢٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٢٦٣، حديث ١٧٤٠. عماد الدين خليل:دراسة في السيرة، ص٦٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِنْهُم تَوضيحَ حَقيقَةَ دِيْنِهِمْ، فَانْبَرَى جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَتَكلَّمَ نيابَةً عَنْ إخوانَهُ المُهاجرينَ كَمَا سَبقَ وَأَسْلَفْنا، قائِلاً: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا... »[1] وحِينَ طَلَبَ النَّجَاشِيُّ مِنْ جَعْفَرْ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ شَيْئاً مِمَّا جَاءَ بِه مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم، فَقَرَأَ عَلَيْهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَدْرًا مِنْ (سورة مريم)، فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ وقَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقُوا راشِدينَ. وأَقْسَمَ بِألّا يُسَلِّمَهمْ لِقُرَيْش أَبَداً[2].وَرَغْمَ فَشَلِ المُحاولةِ فَقَدْ أثار عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي اليومِ التَالِي مَوقِفْ الإسْلامِ مِنْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَنظرةِ المسلمين إليه بزعمه، وَذكرَ للنَّجَاشِيّ بِأَنَهُمْ يَقولُونَ فِي عِيسَى قَولاً عَظيماً. فَسَأَلَهُمْ النَّجَاشِيُّ عن قولهم في المسيح، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ[3]». فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: «مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ»[4] واسْتَقَرَّ رَأيَّ النَّجَاشِيّ عَلَى مَنْحِ المُسْلِمينَ الأَمَانَ، «فَأَقامُوا فِي خَيْرِ دَارٍ مع خَيْرِ جَارٍ » [5].

أَمَّا القِسِّيسِينَ وَالرُهْبَان الَّذِينَ سَمِعُوا قَولَ جَعْفَرْ واسْتَمَعوا إليه وَهُوَ يُرَتِلُ القرآن، فَقدْ ذَرَفُوا الدُموعَ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قُولُهُ الكَرِيم: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [6].

---

[1] اسناده حسن: علق عليه شعيب الاناؤوط في مسند الإمام أحمد ٢٦٣/٣، حديث ١٧٤٠.

[2] ابن هشام: السيرة ١/ ٣٣٦- ٣٣٧. البيهقي:السنن الكبرى ١٤٤/٩،حديث١٨٨٩٢.المقريزي: إمتاع الأسماع ٣٦٥/٤. العمري:السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ ١٧٣/١. ابن كثير:السيرة النبوية ٢١/٢.

[3] امرأة بتول: أي منقطعة عن الرجال، لا شهوة لها فيهم.

[4] ابن إسحاق: السير والمغازي ٢١٥/١.ابن هشام: السيرة ١/ ٣٣٧. عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ٦٩/١.

[5] البيهقي:دلائل النبوة ٣٠٤/٢. العمري:السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ ١٧٤/١. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ٢٤٢/١. ابن كثير:السيرة النبوية ٢٣/٢.

[6] سورة المائدة: الآيات ٨٢- ٨٣. تفسير الطبري ١٠/ ٤٩٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَعَلَى الرَغْمِ مِنْ فَشَلِ مُبادَرَةِ قُرَيْشٍ فِي مُحاوَلَتِهَا اِسْتِعادَةِ المُهاجِرينَ المُسْلِمينَ، فَإِنَّ هَذِهِ المُحاوَلَةِ تَدُلُ عَلَى إِدْراكِهَا لِخُطورَةِ المَوقِفِ النَاجِمِ عَنْ حُصولِ المُسْلِمينَ عَلَى مَلْجَأ يَأْوونَ إِلَيْهِ آمِنينَ، وَخاصَةً أَنَّ الحَبَشَةَ تَدينُ بالنَصْرانِيَةِ، وَقَدْ شَاعَ عَنْ مَلِكِهَا العَدْل وَالإِنْصاف، كَمَا أَنَّها قَرِيبَةً مِنْ مَكَّةَ مِمَّا كَانَ يُشَكِلُ خَطَراً مُتَوقِعاً عَلَى قُرَيْش وَمَصالِحَها فِي المُسْتَقبَل.

مَكثَ المُسْلِمونَ فِي الْحَبَشَةِ مَا شَاءَ اللهُ لَهُمْ، وَلَقدْ تُوفِيَّ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، زَوجْ أُمِّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان فَخَطَبَها رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَزَوجَّهُ إِيّاهَا النَّجَاشِيِّ وَدفعَ مَهْرَهَا أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ جَهَّزَهَا مِنْ عِنْدِهِ وَقدْ بَعَثَهَا النَّجَاشِيِّ إِلى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم معَ شُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ [1].

اِنْضَمَّ إِلى مُهاجِرةِ الحَبَشَةِ، أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ معَ جَمْع مِنْ قَومِهِ بَلغُوا ثَلاَثَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلاً وكَانُوا قد رَكِبوا سَفِينَةً يريدون الهِجْرَةِ إِلى المَدِينَةِ حِينَ بَلغَهمْ اِسْتقرارِ الوَضْعِ فِيْهَا لِصالِحِ المُسْلِمينَ فَألقَتهُم الرِّياح إِلى الحَبَشةِ فَالتَحقوا بِالمُسلِمينَ وَمَكثُوا مَعهُم إِلى أَنْ عَادوا جَمْيعَاً إِلى المَدِينَةِ حِينَ افْتتحَ المُسلِمونَ خَيْبَرَ [2]،وَعادَ بَعْضهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعدَ هِجْرةِ المُسلِمينَ إِليهَا وَقَبلَ وَقْعة بَدْر الكُبْرى، وَكانَ عَدَدَهُم ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا و ثَمَانِي نِسْوَةٍ، وَعادَ البَاقونَ وَعَلَى رَأسِهم جَعْفَرْ بْن أَبي طالبْ فِي العامِ السَابْع مِنْ الهِجْرَةِ فِي أَعْقابِ فَتْحْ خَيْبَر [3].

فضل مهاجري الحبشة:

جَرى حِوارْ بَينَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ- إِحْدى المُهاجِرات إِلى الحَبَشَةِ- عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب: قال عُمَرَ رضي الله عنه: « سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْكُمْ» فَغَضِبَتْ أسماء وَقَالَتْ: «كَلَّا وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم »، وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ما دَارَ

---

[1] العمري:السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ ١٧٦/١ . الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية ٣٤٣/١.ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني٤١٧/٥، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٩٨/٤٥، حديث(٢٧٤٠٨).السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة ١٥٠/٣.

[2] صحيح البخاري: كتاب الخمس، باب إذا بعث الإمام رسولا في حاجة أو أمره بالمقام هل يسهم له ٩٠/٤، حديث ٣١٣٦. مسند أبي يعلى ٣٠٣/١٣،حديث ٧٣١٦، الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية ٣٧٩/١. سبل الهدى والرشاد ١٣٥/٥.

[3] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١٧٦/١. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بَيْنَهُمَا، أَنْصفَ رَسولُ اللهِ مُهاجري الحَبَشةِ وَقالَ: « لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»[1]،وَلقدْ أَسْعدَ كُلامُ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم مُهاجرةِ الحَبشَةِ وأَثْلَجَ صُدورَهمْ.

إسلام النجاشي:

وَقدْ وَردتْ العَديد مِنْ الدَلائلِ الَّتِي تُفيدْ إِسلامْ النَّجَاشِيُّ، والظاهِر أَنَّ إِسلامْ النَّجَاشِيّ كَانَ عَلَى يَدْ جَعْفَر رضي الله عنه [2]. وَأَوردَ الشَيْخان أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم نَعى النَّجَاشِيّ أَصْحمةَ فِي اليَومِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فِي العَامِ التاسِعْ مِنْ الهِجْرَةِ النَبوِيَّةِ، وأَنَّهُ صَلّى بِالْمُسْلِمينَ صَلاةَ الغائِبِ عَلَيْهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم النَّجَاشِيَ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَفَّ بِهِمْ بِالْمُصَلَّى، فَصَلَّى فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ»[3].

وفاة أبي طالب:

أَلَحَّ الْمَرَضُ بِأَبِي طَالِبٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وافَتْهُ الْمَنِيَةَ، وكانَتْ وَفاتَه فِي رَجَبٍ«١» سنة عشر مِنْ النُّبُوَّةِ، بَعْدَ الْخُرُوجِ من الشِّعْبِ، بستَّةِ أَشْهُرٍ«٢». وقِيلَ: تُوُفِّيَ فِي رَمَضَان قبل وَفَاة خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِثَلَاثَة أَيَّام.

وفي الصحيح عَنْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي طَالِبٍ: " يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا[4] عِنْدَ اللَّهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ[5] عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي،باب غزوة خيبر ١٣٧/٥، حديث ٤٢٣٠. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة،باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله ٤/ ١٩٤٦، حديث ٢٥٠٣.الجامع الصحيح للسيرة النبوية ١٢٨١/٤.

[2] ابن هشام: السيرة ١/ ٣٤١. البيهقي: دلائل النبوة ٢٨/١. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٦٢/٣. الجامع الصحيح للسيرة النبوية ١٢٧٦/٤.

[3] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الجنائز ،بابُ الرَّجُلِ يَنْعَى إِلَى أَهْلِ المَيِّتِ بِنَفْسِهِ ٧٢/٢، حديث ١٢٤٥.صحيح مسلم: كتاب الجنائز ،بَابٌ فِي التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَازَةِ ٢/ ٦٥٧، حديث ٩٥١.واللفظ له

[4] أشهد لك بها: أحاجج لك بها وأدافع عنك.

[5] أترغب عن ملة: أتعرض عن طريقة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ[1] » [2] فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) [3] .ونزلت (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) [4].

وفِي الصَحِيْح عَنْ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: مَا أَغْنَيْتَ[5] عَنْ عَمِّكَ[6]، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ[7]وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ [8]مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ[9] الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[10].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»[11].

خديجة إلى رحمة الله:

وبَعْدَ وفاة أَبِي طَالِبٍ بنحو شَهْرَيْنِ أو بثَلَاثَة – على اخْتِلَافِ الْقَوْلَيْنِ – تُوُفِّيَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ الْكُبْرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كانت وَفاتها في شَهْرِ رَمَضَانَ في السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَلَها خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، ورَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إذ ذَاكَ في الْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِهِ .

إنَّ خَدِيْجَة كانت مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الجليلة على رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، بَقِيَتْ مَعَهُ رُبْعَ قَرنٍ تَحُنُّ عَلَيهِ ساعةَ قَلَقِهِ، وتُؤازِرُهُ في أَحْرَجِ أَوْقَاتِهِ، وتُعِينُهُ على إبلاغِ رسالتِهِ، وتُشارِكُهُ في مغارِمِ الجِهادِ المُرِّ، وتُواسيه

---

[1] أنه عنك: أنه عن الاستغفار لك.

[2] صحيح: صحيح البخاري:كتاب الجنائز،بابُ إِذَا قَالَ المُشْرِكُ عِنْدَ المَوْتِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٢/٩٥،حديث (١٣٦٠).

[3] سورة التوبة:الآية ١١٣.

[4] سورة القصص:الآية ٥٦.

[5] ما أغنيت: ماذا نفعته وأي شيء دفعته عنه.

[6] عمك: أبي طالب.

[7] يحوطك: يصونك ويدافع عنك.

[8] ضحضاح: هو الموضع القريب القعر والمعنى أنه خفف عنه شيء من العذاب.

[9] الدرك: طبق من أطباق جهنم وأسفل كل شيء ذي عمق ويقال لما انخفض درك كما يقال لما ارتفع درج.

[10] صحيح: صحيح البخاري:كتاب مناقب الانصار،بابُ قصة أبي طالب ٥/٥٢،حديث (٣٨٨٣).

[11] صحيح: صحيح البخاري:كتاب مناقب الانصار،بابُ قصة أبي طالب ٥/٥٢،حديث (٣٨٨٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِنَفْسِهَا ومالها، يقول رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: آمَنَتْ بِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَأَعْطَتْنِي مَالَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ[1].

وَفِي الصَحِيحْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ "[2].

تراكم الأحزان:

وَقَعتْ هاتانْ الحادِثَتانْ المُؤلِمَتانْ خِلالْ أَيَّاماً مَعْدُودَةً، فأهْتَزتْ مَشاعِرِ الحُزْن والْأَلَم في قَلْبِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَتوالى عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ مِنْ قَومِهِ، فَقَدْ كانوا تَجَرأوا عَلَيْهِ، وكاشَفوهُ بالنَكالِ والأذَى بَعْدَّ مَوتِ أَبِي طَالِبٍ، فَازْدادَ غَمًّا على غَمٍّ، حَتَّى يَئِسَ مِنْهُمْ وخَرَجَ إلى الطائِفَ، رَجاءَ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ أو يُؤووهُ ويَنْصُروهُ على قَوْمِهِ، فَلَمْ يَرَ من يؤوي ولَمْ يَرَ ناصِراً، وآذوه مَعَ ذَلِكَ أَشَدَّ الأذَى، وَنالوا مِنْهُ ما لَمْ يَنَلْهُ قَومَهُ[3].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ، نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ، فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا و دَخَلَ بَيْتَهُ، وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ، فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهَا:لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكِ. قَالَ: وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ: مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ، حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ[4].

ونَظَراً لِتَوالِيْ مِثلَ هذِهِ الآلام في هَذَا الْعَامِ فَقَدْ سَمّاهُ بُعضُ المُؤرخينَ «عامَ الحُزْن»، ولَمْ يَرَو أَنَّ النَبيَّ صلى الله عليه وسلم سَمّاهُ بِهذا الاِسْم [5].

---

[1] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/٣٦٥٩.

[2] صحيح: صحيح البخاري:كتاب فضائل الصحابة،بابُ تَزْوِيجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا٥/٣٩حديث (٣٨٢٠).

[3] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٢٨.

[4] ابن هشام: السيرة النبوية ١/٤١٦.

[5] الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف:

اشْتَدَتْ مُقاومَة قُرَيْشٌ للدَعوةِ الإسْلاميَةِ، وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَخَرَجَ إلَيْهِمْ وَحْدَهُ[1]. ورجاء أنْ يَقْبَلوا مِنْهُ ما جاءَهُمْ بِهِ مِنْ الله عز وجل ولكن ثَقِيفاً لَمْ تَسْتَجِبْ لهُ، وَأَغْرَى زُعَماؤها وأشرافها صِبْيانَهُمْ وسُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ورشقوه بالحجارة وَأَلْجَئُوهُ إلَى حَائِطٍ [2]لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنِي رَبِيعَةَ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ، فَعَمَدَ إلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ [3]مِنْ عِنَبٍ، فَجَلَسَ فِيهِ [4]

وَذَكَرتْ كُتبْ السِّيَرَة أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم لَمَّا اطْمَأَنَ، تَوجهَ إلى رَبهِ بالشَكوى: « اللَّهمّ إلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي [5]؟ أَمْ إلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ [6]، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ» [7].

---

[1] ابن هشام: السيرة ١/ ٤١٩.

[2] الْحَائِط: الْبُسْتَان.

[3] الحبلة: شَجَرَة الْعِنَب، أَو قضبانها.

[4] ابن هشام: السيرة ١/ ٤٢٠. ابن سعد: الطبقات ١/ ٢١١- ٢١٢.

[5] تجهمه: استقبله بوَجْه كريه.

[6] الْوَجْه، إِذا جَاءَ ذكره فِي الْكتاب وَالسّنة، فَهُوَ يَنْقَسم فِي الذّكر إِلَى موطنين: موطن تقرب واسترضاء بعَمَل، كَقَوْلِه تَعَالَى: يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَكَقَوْلِه: إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ، فالمطلوب فِي هَذَا الموطن رِضَاهُ وقبوله للْعَمَل، وإقباله على العَبْد الْعَامِل، وَأَصله أَن من رضى عَنْك أقبل عَلَيْك، وَمن غضب عَلَيْك أعرض عَنْك، وَلم يَرك وَجهه.

والموطن الثَّانِي من مَوَاطِن ذكر الْوَجْه يُرَاد بِهِ مَا ظهر إِلَى الْقُلُوب والبصائر من أَوْصَاف جَلَاله ومجده، كَقَوْلِه تَعَالَى: وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ وَالْوَجْه لُغَة: مَا ظهر من الشَّيْء معقولا كَانَ أَو محسوسا.

أما النُّور فعبارة عَن الظُّهُور وانكشاف الْحَقَائِق الإلهية. وَبِه أشرقت الظُّلُمَات، أَي أشرقت محالها، وَهِي الْقُلُوب الَّتِي كَانَت فِيهَا ظلمات الْجَهَالَة والشكوك. أنظر: سيرة ابن هشام ١/٤٢٠.

[7] ابن هشام: السيرة ١/ ٤٢٠، وإسناده حسن مرسل. ورواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢١١- ٢١٢) مختصرا وفي إسناده الواقدي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤١٤- ٤١٧) عن طريق موسى بن عقبة عن الزهري، كما ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للطبراني وحسّنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَقدْ وَردَ فِي الصَحيحَين أن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإذا أنا بِسَحابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْني فَنَظَرْتُ فَإذا فِيها جبريلُ فَناداني فَقالَ: إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَما رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَد بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الْجبالِ لِتَأمُرَهُ بِما شِئْتَ فِيهِمْ فَناداني مَلَكُ الْجبالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ فَقالَ: ذَلِكَ فِيما شِئْت[1] إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ [2]الْأَخْشَبَين[3]، فَقالَ النَّبي صلى الله عليه وسلم: « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصلابِهِم مَنْ يَعبد اللهَ وَحدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [4].

وفي طَرْيق عَوْدَتِه مِنْ الطَّائِفِ، وعِنْدَ حَائِط ابْنَي رَبِيعَةَ، التَقى بعَدَّاسٍ النَّصْرَانيِّ فَأسْلَمَ [5]، وَأقَامَ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم أيَّامًا فِي وَادِيَ نَخْلَةَ القَرِيب مِنْ مَكَّةَ- وَخِلال فَتْرَة إقَامَتِه هَذِه بَعثَ اللهُ إليهِ نَفَراً مِنَ الْجنِّ اسْتَمَعُوا إلى الْقُرْآنَ الكَرِيْم، وَأسْلَمُوا وَعَادُوا إلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ وَمُبَشِّرِينَ كَمَا ذَكَر اللهُ تَعَالى فِي كِتَابِه العَزِيز: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [6][7].

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ عِنْدَ عَودَتِه مِنَ الطَائِفْ فِي جِوَارِ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، الَّذِي تَهَيَأ هُوَ وَبَنُوهُ لِحِمَايَةِ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم [8]، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي أُسارَى بَدرٍ: « لَوْ كانَ الْمُطْعِمُ بن عَدِيٍّ حَيا ثُمَّ كَلَّمَني في هَؤُلاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» [9].

---

[1] فما شئت: استفهام أي فأمرني بما شئت.

[2] إن شئت أن أطبق عليهم: شرط وجزاؤه مقدر وهو أطبقت أي إن شئت ضممت الأخشبين وجعلتهما كالطبق عليهم حتى هلكوا تحته.

[3] الأخشبين: هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

[4] متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث(٣٢٣١).صحيح: صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين٣/١٤٢٠،حديث(١٧٩٥).

[5] أرّخ الواقدي الرحلة في شوال سنة عشر من المبعث بعد وفاة أبي طالب وخديجة- رضي الله عنها- وذكر أن مدة إقامته بالطائف عشرة أيام، ابن سعد- الطبقات ١/ ٢١٢.

[6] سورة الأحقاف: الآيات ٢٩ – ٣٢.

[7] صحيح: علق الذهبي عليه في مستدرك الحاكم: كتاب التفسير، باب تفسيرسورة الاحقاف ٢/٤٩٥،حديث (٣٧٠١) وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه. وصححه الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (٢٥٢).

[8] ابن هشام: السيرة ١/ ٣٨١، ابن كثير: البداية والنهاية ٤/ ٣٤٢، وانظر ابن سعد: الطبقات ١/ ٢١٢.

[9] صحيح: أخرجه البخاريُّ: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا ٥/٨٦،حديث(٤٠٢٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسراء والمعراج:

إنَّ الإسْراء و الْمِعْرَاج حادِثَتانِ مُتَلازِمَتانِ ومُتَرادِفَتانِ وَهُما ثابِتَتانِ بِنَصِّ الْقُرْآن الْكَرِيم، والسُّنَّةِ النبويَّةِ الصَّحِيحَةِ. فَلَقَدْ نَصَّ الْكِتَاب الْعَزِيزِ على أنَّ مُعْجِزَةِ الإسْراء قَدْ تَمتْ لَيْلاً حِينَ تَمَّ انْتِقَال الرَّسُول صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي الْقُدُسِ الشَّرِيفِ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ: سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [1].

أمّا الْمِعْرَاج، فَهُوَ الانْتِقَال بالرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم إِلَى السَّمَوَاتِ، لِتَصِلَ به إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى و لِيَطَّلِعَ بِحَوَاسِّهِ وَدونَ شَكْ على آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)[2].

وَلَقَدْ صَحَّتْ الرِّوَايَاتِ عَنْ قِيَامِ الْمَلَكِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَقِّ صَدْرِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم ثانِيَةً فِي هَذِهِ الْمُناسَبَةِ، وغَسْلِه لِقَلْبِه صلى الله عليه وسلم بِمَاءِ زَمْزَمَ، وإفْراغِه الحِكْمَةَ والإيْمانِ فِي صَدْرِهِ [3]. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ تحدّث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ... » [4] ممّا يُؤكِدْ أنَّ هَذِهِ العَمليَةِ قَدْ تَمَّتْ فِي لَيْلَةِ الإسْراءِ وأنَّ ذَلِكَ كَانَ إعْداداً لَهُ لِتَحَمّلِ الرِحْلَةِ، وَهِيَ تَظْهَرُ فِي عَدَمْ تَأثُر جِسْمُهُ صلى الله عليه وسلم بِشَقِّ الصَدْرِ وإخْراجِ القَلْبِ وغَسْلِه، ممّا يُشْير إلى تَأمينه مِنْ جَمِيعِ المَخاطِرِ.

---

[1] سورة الإسراء: الآية ١.

[2] سورة النجم: الآيات ١٣- ١٨.

[3] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الاسراء ٧٨/١، حديث ٣٤٩.صحيح البخاري: كتاب الحج، باب ما جاء في زمزم ١٥٦/٢، حديث ١٦٣٦.صحيح البخاري: كتاب الانبياء، باب ذكر ادريس عليه السلام ١٣٥/٤، حديث ٣٣٤٢.

[4] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الانبياء، باب{ذكر ادريس عليه السلام}١٣٥/٤، حديث ٣٣٤٢. صحيح مسلم: كتاب الايمان، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١٤٨/١،حديث ١٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنَّ هَذِهِ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لقَوانِينِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ والْعَادَةِ وَمَا جَرَى التَّعَارُفِ عَلَيْهِ هِيَ أُمُورٌ وَقَعتْ، ويَجب التَسْليم بِهَا وَعدَمْ صَرْفِها عَنْ حَقيقَتِها الثَّابتَةِ، وَهِيَ إِنْفَاذٌ لِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وقُدْرَتِه الَّتِي لا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهَا شَيْء. [1].

وبَعْدَ الانْتِهاءِ مِنْ شَقِّ الصَدْرِ وغَسْلِه أُسْرِيَّ برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَهُوَ راكِبٌ ظَهْرَ الْبرَاقِ [2]. فَقدْ ذَكَر أَنَسٌ قَوْلَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: « أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ... » [3]. وفِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ صَلّى الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، ووَصَفَ هَيْئَاتِهِمْ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ لَهُ جبْرِيلُ فَفُتِحَ لَهُ، فَرَأَى هُنَالِكَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، وَأَرَاهُ اللَّهُ أَرْوَاحَ السُّعَدَاءِ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَرْوَاحَ الْأَشْقِيَاءِ عَنْ يَسَارِهِ.

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ لَهُ، فَرَأَى فِيهَا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَلَقِيَهُمَا وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فَرَدَّا عَلَيْهِ وَرَحَّبَا بِهِ، وَأَقَرَّا بِنُبُوَّتِهِ.

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَرَأَى فِيهَا يُوسُفَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ.

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَرَأَى فِيهَا إِدْرِيسَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ.

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَرَأَى فِيهَا هَارُونَ بْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ.

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَلَقِيَ فِيهَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ.

فَلَمَّا جَاوَزَهُ بَكَى مُوسَى، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ مِنْ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَلَقِيَ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ[4].

---

[1] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٠٥.

[2] المصدر نفسه ٧/ ٢٠٣.

[3] ابن حجر: فتح الباري ١٠/ ٣٣ حديث ٥٥٧٦. صحيح: صحيح مسلم: كتاب الايمان، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٤٥،حديث ١٦٢.

[4] «...فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثُمَّ رُفِعَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ[1]،فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ[2] ونور وألوان، تغيرت،فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا[3] ثُمَّ رُفِعَ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ [4]، ثم أدخل الجنة فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ[5] اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ[6]، وعُرِجَ به حَتَّى ظَهَرَ لِمُسْتَوَى يسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ[7].

ولقد رَأَى جبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ[8]، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ[9]، وفُرِضَ عَلَيَّه خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلَ إِلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ

وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى [ص:٥٤] السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ... انظر، صحيح: صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بابُ المعراج ٥/٥٢،حديث ٣٨٨٧.

[1] صحيح: صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بابُ المعراج ٥/٥٢،حديث ٣٨٨٧.

[2] صحيح: صحيح مسلم: كتاب الايمان، بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ١/١٥٧،حديث ١٧٣.

فراش من ذهب: الفراش دويبة ذات جناحين تتهافت في ضوء السراج واحدها فراشه.

[3] اسناده صحيح على شرط مسلم،علق عليه الارناؤوط في مسند احمد ١٩/٤٨٧، حديث ١٢٥٠٥.

[4]صحيح: صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، بابُ ذكر الملائكة ٤/١٠٩،حديث ٣٢٠٧.

[5] جنابذ: هي القباب واحدها جنبذة

[6] صحيح: صحيح مسلم: كتاب الايمان، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٤٨،حديث ١٦٣.

[7] صحيح: صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الاسراء ١/٧٨، حديث ٣٤٩.

[8] صحيح: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بابُ {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}٦/١٤١،حديث ٤٨٥٦.

[9] صحيح: صحيح مسلم: كتاب الايمان، بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}١/١٦٠،حديث ١٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ "، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَى رَبِّه، فَقَالَ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنْه خَمْسًا، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقال: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، " فَلَمْ يزَلْ يرْجِعُ بَيْنَ رَبِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً "، قَالَ: " فَنَزَل حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَره، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ": قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ " انتهى[1].

وقَدْ رأى ضِمْنَ هذه الرِحْلَةِ أُمُوراً عَديدَةً:

- عُرِضَ عَلَيهِ اللَّبَنَ و الْخَمْرَ، فَاخْتَارَ اللَّبَنَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: " أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ، وَلَبَنٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قَالَ جِبْرِيلُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ[2].
- ورأى أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ فِي الْجَنَّةِ: نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ،وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ، والظَّاهِرَانِ هما: النِّيلُ وَالفُرَاتُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " رُفِعْتُ إِلَى السِّدْرَةِ، فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ، فَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ، وَأَمَّا البَاطِنَانِ: فَنَهَرَانِ فِي الجَنَّةِ[3]،ومَعْنَى ذَلِكَ أنَّ رِسَالَتَهُ سَتتوَطَنْ الْأَوْدِيَةِ الخَصِبَةِ فِي النِّيلِ وَالفُرَاتِ، وسَيَكُونُ أَهْلَهَا حَمَلَةَ الْإِسْلَامِ جيلًا بَعْدَ جيلٍ، ولَيْسَ مَعْنَاهُ أنَّ مِيَاهَ النَّهَرَيْنِ تَنْبَعُ مِنَ الْجَنَّةِ.
- ورأى مَالِك خَازِنَ النَّارِ. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالاَ الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ»[4].
- ورأى أَكَلَةَ لُحُومَ النَّاسِ بالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمُشونَ بها وجُوهَهُم وصدُورَهُم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلُون لحومَ الناس، ويقعونَ في أعراضِهم"[5].

قال ابن القيم: فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي قَوْمِهِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى، فَاشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ، وَأَذَاهُمْ وَضَرَاوَتُهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، سَمِعْتُ النَّبِيَّ

---

[1] صحيح: صحيح مسلم: كتاب الايمان، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٤٥،حديث ١٦٢.

[2] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بابُ قَوْلِهِ: {أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ}٦/٨٣،حديث ٤٧٠٩.
صحيح مسلم: كتاب الايمان، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٥٤،حديث ١٦٨.

[3] صحيح: صحيح البخاري: كتاب الاشربة، باب شرب اللبن ٧/١٠٩، حديث ٥٦١٠.

[4] صحيح: صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق،بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ٤/١١٦، حديث ٣٢٣٦.

[5] صحيح: علق عليه الالباني في سنن ابي داؤد ٦/٦٨٥،حديث ٤٨٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»[1]، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ شَيْئًا. وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ عِيرِهِمْ فِي مَسْرَاهُ وَرُجُوعِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ وَقْتِ قُدُومِهَا، وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ الَّذِي يَقْدُمُهَا، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا، وَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا[2].

يُقَالُ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه صِدِّيقًا؛ لِتَصْدِيقِهِ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ حِينَ كَذَبَهَا النَّاس [3].

والمُتَأمِل في قَوْلِهِ تَعَالَى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [4]. يَرَى أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ قِصَّةَ الإِسْراءِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقطْ، ثُمَّ أَخذَ فِي ذِكْرِ فَضائِحْ الْيَهُودَ و جَرَائِمِهِمْ، ثُمَّ نَبَّهَهُمْ بِإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، فَرُبَما يَظُنُ القَارِئ أَنَّ الْآيَتَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا إِرتِباطْ، والْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُشيرُ بِهذا الْأُسْلُوبِ إِلى أَنَّ الإِسْراءِ إِنَّمَا وَقَعَ إِلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لِأَن الْيَهُودَ سَيُعْزَلونَ عَنْ مَنْصِبِ قِيَادَةِ الْأُمَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ لَمّا ارْتَكَبُوا مِنْ الْجَرَائِمَ التي لَمْ يَبْقَ مَعَهَا مَجَالْ لِبَقَائِهِمْ عَلَى هَذَا الْمَنْصِبِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيُنْقَلُ هذا الْمَنْصِبِ فِعْلاً إِلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، إِلَى أُمَةٍ تَتَدَفَّقُ بِالْبِرِّ والْخَيْرَاتِ، ولايَزَالُ رَسُولَهَا يَتَمَتَّعُ بِوَحْيِ الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [5].

لَقَدْ كَانَتْ رِحْلَةِ الإسراء و الْمِعْرَاجِ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً على ما لاقَاهُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَتْراحْ وآلامْ وأَحْزَانَ، إِذْ كان بَعْدَ حِصارٍ دامَ ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ في شِعْبِ أَبِي طَالِب، وما لاقَاهُ في أَثْنَائِهِ من جُوعٍ وحِرْمَانٍ، إِنَّهُ كَانَ بَعدَ فَقْدِ النَّاصِرِ الْحَمِيمِ، وفَقْدِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَهُ كَانَ بَعْدَ خَيْبَةَ الْأَمَلِ فِي ثَقِيفٍ،وما ناله مِنْ سُفَهَائِهَا وصِبْيَانِهَا وعَبِيدِهَا. بَعْدَ هذهِ الآلام كَافَأَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم

---

[1] صحيح: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بابُ قَوْلِهِ: {أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ}٦/٨٣،حديث ٤٧١٠.

[2] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٣٥.

[3] ابن هشام:السيرة النبوية ١/٣٩٩.

[4] سورة الاسراء: الآيات ١ــ٩.

[5] المباركفوري: الرحيق المختوم ص١٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فرَفَعَهُ إِلَيْهِ، وقَرَبهُ وأَدْناهُ، وخلَعَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ الرِّضَا ما أَنْسَاهُ كُلَّ ما كَانَ قَدْ لاقاهُ مِنْ حُزْنٍ وَأَلَمٍ ونَصَبٍ وتَعبٍ، وما قَدْ يُلاقيهِ في سَبيلِ إبلاغِ رِسَالَتِهِ ونَشْرِ دَعْوَتِهِ.

بيعة العقبة الأولى:

لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ الْعَقَبَةِ فِي مَوْسِمِ الحج من العام الحادي عشر من البعْثة سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ كُلُّهُمْ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَهُمْ: أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وجابر بن عبد الله بن رئاب، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا.

ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَفَشَا الْإِسْلَامُ فِيهَا حَتَى لَمْ يَبْقَ دَارٌ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهَا الْإِسْلَامُ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، جَاءَ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، السِّتَّةُ الْأُوَلُ خَلَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَعَهُمْ معاذ بن الحارث بن رفاعة أَخُو عوف الْمُتَقَدِّمِ، وذكوان بن عبد القيس، وَقَدْ أَقَامَ ذكوان بِمَكَّةَ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ مُهَاجِرِيٌّ أَنْصَارِيٌّ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، ويزيد بن ثعلبة، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ، وعويمر بن مالك هُمُ اثْنَا عَشَرَ[1].

اتصل هؤلاء برسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة بمنى، فبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت بعد الحديبية.

رُوِي عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ[2].

---

[1] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٤١.

[2] صحيح: صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب وفود الانصار٥/٥٥،حديث ٣٨٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سفير الإسلام في المدينة:

وبعدَ أنْ تَمَت البيعة وانْتَهى المَوسِم، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَهُمْ أول سفير في يثرب هو مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ فَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يُسَمَّى بِالْمَدِينَةَ الْمُقْرِئَ[1].

اسلام بني عبد الأشهل:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ بْنَ خَالَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ. وَجَلَسَا على بِئْرُ يقال لها بِئْرُ مَرَقٍ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مُقَدَّمًا، قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ ابْنِ زُرَارَةَ، قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْدُقْ اللَّهَ فِيهِ، قَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ. قَالَ: فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالَا: فِيمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا: وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ، سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفُ باللَّه لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كلّمت الرجلَيْن، فو اللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُحتقِرُوكَ.

---

[1] الاصبهاني:دلائل النبوة ١/ ٢٩٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا، تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ، عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ- وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ ابْن زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ، جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتَّبِعْكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ- قَالَ: فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَتَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟

قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَطَّهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا، قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللَّه لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّه وبرسوله.قَالَا: فو الله مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً[1]،إِلَّا رَجُلٌ واحد وَهوَ أصيرم عمرو بن ثابت بن وقش فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمِ أُحُدٍ، وَأَسْلَمَ حِينَئِذٍ وَقَاتَلَ فَقُتِلَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً، فَأُخْبِرَ عَنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا»[2].

وَرَجَعَ مُصْعَبٌ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلامِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَارِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخَطْمَةَ وَوَائِلٍ[3]،كَانَ فِيهِمْ أَبُو قَيْسِ بْنُ الْأَسْلَتِ وَكَانَ شَاعِرًا لَهُمْ قَائِدًا يَسْتَمِعُونَ مِنْهُ وَيُطِيعُونَهُ، فَوَقَفَ بِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَانَ بَعْدَ عام الْخَنْدَقِ سَنَة خَمْس مِنَ الهِجْرَة[4].

---

[1] ابن هشام:السيرة النبوية ١/ ٤٣٥ــ٤٣٧.

[2] صحيح: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل القتال ٤/٢٠،حديث ٢٨٠٨.

[3] ابن سيد الناس: عيون الأثر ١/١٨٧.

[4] ابن كثير: السيرة النبوية ٢/١٨٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بيعة العقبة الثانية

في السَنَةِ الثالثة عَشَرْ من النبوة- يونيو سنة ٦٢٢ م- حَضَرَ لأداء مناسك الْحَجِّ من مُسْلِمُي الأوْسَ و الْخَزْرَجَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا و امْرَأَتَانِ، فبايعوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْعَةَ الْعَقَبَةَ الثانيَةَ وهي أن يَمْنَعُوه- إذا قَدِمَ عَلَيْهِمْ- مما يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ، وَأَبْنَاءَهُمْ وأَنْفُسَهُمْ. وهذه الْبَيْعَةَ هي نُقْطة التَحْول الكُبْرى في تاريخ الدعوةِ حيثُ أصبحَ للْإِسْلَام دار يمكنُ أن يتخذَ منها قاعِدَةً للانتشار وهوَ ما حصلَ بالفعل، فأذِنَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لأصْحابِهِ بالهِجْرَةِ إلى المدينةِ [١].

يُحَدِثُنا الصَحابِيُ الجليلُ كَعْبٌ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَاري عن تَفاصيلِ بَيْعَةَ الْعَقَبَةَ الثانيَةَ فَيَقول: خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْعَقَبَةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ الْحَجِّ، وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَهَا، وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ابْن حرام أَبُو جَابِرٌ، سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، أَخَذْنَاهُ مَعَنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِيَّانَا الْعَقَبَةَ. قَالَ: فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا[٢].

قَالَ كَعْبٌ: فَنِمْنَا تَلِكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ[٣]، أُمُّ عُمَارَةَ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَابِي، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ[٤].

---

[١] ابن هشام: السيرة ١/ ٤٤١، ابن القيم: زاد المعاد ١/ ٩٨. النجار: القول المبين في سيرة سيد المرسلين ١٦٦/١. البوطي: فقه السيرة ص ١٢٩.

[٢] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٩٣/٢٥،حديث (١٥٧٩٨).

[٣] هِيَ امْرَأَة زيد بن عَاصِم، وَقد شهِدت بيعَة الْعقبَة وبيعة الرضْوَان، كَمَا شهِدت يَوْم الْيَمَامَة وباشرت الْقِتَال بِنَفسِهَا. وشاركت ابْنهَا عبد الله فِي قتل مُسَيْلمَة، فَقطعت يَدهَا. وجرحت اثنى عشر جرحا، ثمَّ عاشت بعد ذَلِك دهرا. ويروى أَنَّهَا قَالَت لرَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أرى كل شَيْء إِلَّا للرِّجَال، وَمَا أرى للنِّسَاء شَيْئا! فَأنْزل الله تَعَالَى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).سورة الأحزاب:الآية٣٥.

[٤] ابن كثير: السيرة النبوية ١٩٧/٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ (عَمُّهُ)الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ. وكَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ[1].

كَلِمَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الْخَزْرَجِ قَبْلَ الْمُبَايَعَةِ:

وبعد أن تكاملَ المجلس بدأتْ المحادثات لإبرام التحالف الديني والعسكري، وكان أَوَّلَ الْمُتَكَلِّمين هو الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تكلم ليشرح لهم- بكل صراحة- خُطورةِ المسؤولية التي ستُلقى على كواهِلِهم نَتيجَةِ هذا التحالف. قال: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ- قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ: الْخَزْرَجَ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا-: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الِانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ[2].

قَالَ كَعْبٌ: فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ[3].

وألقى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ ذَلِكَ بَيانَهُ، ثُمَّ تَمَتْ الْبَيْعَةَ.

بنود البيعة:

وقد روى ذَلِكَ الإمام أحْمَد عن جَابِر مُفَصَلاً. قال جَابِرُ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَا نُبَايِعُكَ؟ قَالَ:

«تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ، وَالْكَسَلِ.

وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ، وَالْيُسْرِ.

وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذْكُمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ.

وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ، وَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ عَنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ»[1].

---

[1] البيهقي: دلائل النبوة ٢/٤٤٦.

[2] المقريزي: امتاع الاسماع ١/٥٤.

[3] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٥/٩٣،حديث (١٥٧٩٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَتَلَا وَدَعَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: " أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ " قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[٢]، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[٣]، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ[٤] حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْعُهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ، وَتَدَعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ: " بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ [٥] أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ " [٦].

كَلِمَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَادَةَ فِي الْخَزْرَجِ:

بَعْدَ أَنْ تَمْتْ المحادثة حول شروط الْبَيْعَةَ، تَكَلَّمَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ ليؤكِدَ للقوم خُطورة البيعة، حتى لا يبَايَعُوهُ إلا على جَلِيةٍ من الأمر،فقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: إِنَّكُمْ تُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا أنهكت أَمْوَالكُم مُصِيبَة وأشرافكم

---

[١] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٣/٢٣،حديث (١٤٦٥٣). وصححه الحاكم في مستدركه ٦٨١/٢،حديث (٤٢٥١) وصححه ابن حبان ١٧٣/١٤.

[٢] أزرنا، أي نِسَاءَنَا. وَالْمَرْأَة قد يكنى عَنْهَا بالإزار، كَمَا يكنى أَيْضا بالإزار عَن النَّفس، وَيجْعَل الثَّوْب عبارَة عَن لابسه. قَالَ الشَّاعِر:

رَمَوْهَا بأثواب خفاف فَلَا ترى... لَهَا شبها إِلَّا النعام المنفرا

وعَلى هَذَا يَصح أَن يحمل قَول الْبَراء على إِرَادَة الْمَعْنيين جَمِيعًا.

[٣] الْحلقَة، أي السِّلَاح.

[٤] التيهَان: يرْوى بتَشْديد الْيَاء وتخفيفها.

[٥] قَالَ ابْن قُتَيْبَة: كَانَت الْعَرَب تَقول عِنْد عقد الْحلف والجوار: دمي دمك، وهدمي هدمك:

أَي مَا هدمت من الدِّمَاء هدمته أَنا.

ويروى أَيْضا: بل اللدم اللدم، وَالْهدم الْهدم. وَأنْشد:

ثمَّ الحقي بهدمى ولدمى

فاللدم: جمع لادم، وهم أَهله الَّذين يلتدمون عَلَيْهِ إِذا مَاتَ، وَهُوَ من لدمت صدرها، إِذا ضَربته

قَالَ السهيليّ: «وَإِنَّمَا يكنى عَن حُرْمَة الرجل وَأَهله «بالهدم»، لأَنهم كَانُوا أهل نجعة وارتحال، وَلَهُم بيُوت يستخفونها يَوْم ظعنهم، فَكلما ظعنوا هدموها. وَالْهدم: بِمَعْنى المهدوم.

ثمَّ جعلُوا الْهدم، وَهُوَ الْبَيْت المهدوم، عبارَة عَمَّا حوى. أنظر: سيرة ابن هشام ٤٤٣/١.

[٦] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٩٣/٢٥،حديث (١٥٧٩٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قتلا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنَ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهِ إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ عَلَى نَهْكَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ فَخُذُوهُ، فَهُوَ وَاللَّهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفَيْنَا؟ قَالَ: " الْجَنَّةُ ".

قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ.

فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ[1].

وفي رواية جَابِرُ (قَالَ):فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللهِ[2].

عقد البيعة:

وبعد إقرار بنود الْبَيْعَةَ، وبعد هذا التأكيد والتأكد بَدأ عَقْد الْبَيْعَةَ بالمُصافَحَة،قال جابرــ بَعْدَ أن حَكى قَوْل أسعد بن زُرارة ــ قال: قَالُوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ، وَلَا نَسْتَقِيلُهَا[3].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَبَنُو النَّجَّارِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ، أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ، وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ: بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ[4]. وبعد ذلك بَدَأت الْبَيْعَةَ العامَة، قال جابر: فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ،، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ [5].

وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة فكانت قولاً. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ[6].

---

[1] ابن كثير: السيرة النبوية ٢/٢٠١.

[2] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٣/٢٣،حديث (١٤٦٥٣). والبيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٥١،حديث (١٦٥٥٦).

[3] المصدر نفسه.

[4] ابن هشام:السيرة النبوية ١/٤٤٧.

[5] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٣/٢٤،حديث (١٤٦٥٣).

[6] صحيح: صحيح مسلم: كتاب الامارة، باب كيفية بيعة النساء ٣/١٤٨٩،حديث(١٨٦٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اثنا عشر نقيباً:

وبعد أن تمت الْبَيْعَةَ طلب رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أن يَخْتاروا اثْنَيْ عَشَرَ زعيماً يكونون نقباء عَلَى قَوْمِهِمْ، لتنفيذ بنود الْبَيْعَةَ، فقال للقوم: أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ. فتم اختيارهم في الحال، وكانوا تِسْعَةً مِنْ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنْ الْأَوْسِ.

نُقَبَاءُ الْخَزْرَجِ:

١- أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ بْنُ عُدَسَ.

٢- سَعْدُ ابْن الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرِو.

٣- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

٤- رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ.

٥- الْبَرَاءُ ابْن مَعْرُورِ بْنِ صَخْرِ.

٦- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامِ.

٧- عُبَادَةُ ابْن الصَّامِتِ بْنِ قَيْسِ.

٨- سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ دُلَيْمِ.

٩- الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ خُنَيْسِ.

نُقَبَاءُ الْأَوْسِ:

١-أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرِ بْنِ سِمَاكِ.

٢-سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ.

٣-رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زُبَيْرِ [1].

ولّما تمَّ اختيار هؤلاء النقباء أخذ عليهم رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ميثاقاً آخر بصفتهم رؤساء مسئولين. قال لهم: أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءُ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي- يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ- قَالُوا: نَعَمْ[1].

---

[1] ابن هشام:السيرة النبوية ١/٤٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَنْفِيرُ الشَّيْطَانِ لِمَنْ بَايَعَ فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ:

ولَمَّا تم إبرام المُعاهَدَة، وكانَ القومُ على وشَكِ الانْفِضاضْ، إكتَشَفها أحَدْ الشياطين؛ وحيث إن هذا الاكتشاف جاءَ في اللحظَةِ الأخيرةِ، ولَمْ يَكُنْ يُمكِنْ إبلاغْ زُعماء قُرَيشْ هذا الخَبَرْ سِراً، لِيُباغتوا المُجتَمعين وَهُمْ في ألشعب [٢]، صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سُمِعْ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ- وَالْجُبَاجِبُ: الْمَنَازِلُ [٣]- هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ [٤] وَالصُّبَاةُ [٥] مَعَهُ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ[٦]. هَذَا أَزَبُّ الْعَقَبَةِ هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمَعْ أَيْ عَدُوَّ اللهِ أَمَا وَاللهِ، لَأَفْرُغَنَّ لَكَ" [٧]، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْفَضُّوا إِلَى رِحَالِهِمْ[٨].

اسْتِعْجَالُ الْمُبَايِعِينَ لِلْإِذْنِ بِالْحَرْبِ:

وَعِنْدَ سماع صَوتْ هذا الشَيْطان قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَاَللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ: إنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ. فَرَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِم، ونِامْوا حَتَّى أَصْبَحُوا[٩].

غُدُوُّ قُرَيْشٍ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي شَأْنِ الْبَيْعَةِ:

لَمَّا قَرَعَ هذا الخَبَرْ آذان قُرَيْش وَقَعَتْ فيْهِم ضجة، وساورتْهُمْ القَلاقِلَ والأحْزان؛لأنَهُمْ كانوا على مَعْرِفَةٍ تامة بعواقب مثل هذه الْبَيْعَةِ ونتائِجَها بالنِسْبَة إلى أنفسِهِمْ وأموالهم،فلما أن أصْبَحُوا حَتَّى تَوَجَهَ وَفْد كَبير مِنْ زُعماءِ

---

[١] ابن كثير:السيرة النبوية ٢/٢٠١.

[٢] المباركفوري: الرحيق المختوم ص١٧٣.

[٣] الْمَنَازل: مَنَازِل منى. وأصل إِطْلَاق «الجباجب» على الْمَنَازل، مَأْخُوذ من أَن الأوعية من الْأدم، كالزنبيل وَنَحْوه، تسمى: جبجبة، فَجعل الْخيام والمنازل لأَهْلهَا كالأوعية.

[٤] المذمم: المذموم جدا.

[٥] الصباة: جمع صابى، وَهُوَ الصَّابِئ (بِالْهَمْز). وَكَانَ يُقَال للرجل إِذا أسلم فِي زمن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صابئ».

[٦] ابن هشام: السيرة النبوية ١/٤٤٧.

[٧] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٥/٩٣،حديث (١٥٧٩٨).

[٨] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٤٤.

[٩] ابن هشام: السيرة النبوية ١/٤٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَكَةَ وأكابرَ مُجرميها إلى أهْلِ يَثْرِبْ؛ ليقدم احتجاجَهُ الشَدْيد على هذه المُعاهَدَةِ،قال الوَفْد[1]:يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، وَتُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَاللهِ إِنَّهُ مَا مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنْكُمْ[2].

ولَمَّا كان مُشْرِكو الخَزْرَجْ لا يَعْرِفونَ شَيْئًا عَنْ هذِهِ الْبَيْعَةِ، لأنَها تَمَتْ في سِرْيَة تامَة، وفي ظَلامِ الليلِ، إنْبَعَثَ هؤلاء المُشرِكون يَحْلِفُونَ لَهُمْ باللَّهِ: مَا كَانَ هَذَا وَمَا عَلِمْنَا، حتى أتَوا وَعبد الله بن أبي بن سلول فجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا بَاطِلٌ، وَمَا كَانَ هَذَا، وَمَا كَانَ قَوْمِي لِيَفْتَاتُوا عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا، لَوْ كُنْتُ بِيَثْرِبَ مَا صَنَعَ قَوْمِي هَذَا حَتَّى يُؤَامِرُونِي[3].

أما المسلمون فَنَظرَ بَعْضُهم إلى بعضٍ، ثُمَ لاذوا بالصمتِ، فَلمْ يتحدثْ أحد منهم بِنَفْيٍ أو إثبات. ومالَ زُعماء قُرَيْش إلى تَصْديقِ المشركين، فَرَجَعُوا خائِبين[4].

قُرَيْشٍ تُطارِدْ الْمُبَايِعِينَ:

عاد زُعماء مَكة وَهُمْ على شُبه اليقين مِنْ كَذب هذا الخبر، لكنهم لَمْ يَزالوا يتنطسونه[5] حتى تأكدَ لديهم أنَّ الخبرَ صحيحٌ، و الْبَيْعَةِ قد تمتْ فعلا. وذلك بعدَ ما نفر الحجيج إلى أوطانِهم، فسارع فرسانهم بمطاردة اليثربيين، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بِأَذَاخِرَ، وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيبًا.فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ، وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَأَخَذُوهُ[6]، ورَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِنِسْعٍ [7]رَحْلِهِ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَجُرُّونَهُ وَيَجْذِبُونَهُ بِجُمَّتِهِ[8] حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ، فَجَاءَ مطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية فَخَلَّصَاهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَتَشَاوَرَتِ الْأَنْصَارُ حِينَ فَقَدُوهُ أَنْ يَكِرُّوا إِلَيْهِ، فَإِذَا سعد قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ، فَوَصَلَ الْقَوْمُ جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ[9].

---

[1] المباركفوري: الرحيق المختوم ص١٧٤.

[2] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٥/٩٣،حديث (١٥٧٩٨).

[3] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٤٤.

[4] المباركفوري: الرحيق المختوم ص١٧٤.

[5] تنطس الْقَوْم الْخَبَر: أَي أَكْثرُوا الْبَحْث عَنهُ. والتنطس: تدقيق النّظر. قَالَ الراجز:

وَقد أكون عِنْدهَا نقريسا... طِبًّا بأدواء النسا نطيسا

[6] ابن كثير: السيرة النبوية ٢/٢٠٦.

[7] النسع: الشرَاك الّذي يشد بِهِ الرحل.

[8] الجمة: مُجْتَمع شعر الرَّأْس، وَهِي أَكثر من الوفرة، وَالْجمع: جمم.

[9] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الهجرة إلى يثرب:

لَمْ يَكُنْ اخْتِيَار يَثْرِبَ دارا لِلْهِجْرَةِ مما اقْتَضَتهُ ظُروفْ الدَعْوَةِ فَقَطْ، وإنَمَا كَانَ ذَلِكَ بِوَحْي مِنْ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ وَرَدتْ أَحَادِيثُ صَحِيحَةُ تُؤكِدُ ذَلِكَ، مِنْهَا قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم لِلْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ- رضي الله عنها: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ[1]»[2]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي[3]إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ[4] أَوْ هَجَرُ[5]، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ» [6].

ولا شَكَّ فِي أَنَّ الِابْتِلَاء والِاضْطِهَادَ والْخَوْفَ مِنَ الْفِتْنَةِ فِي الدِّينِ كَانُوا مِنَ أَسْبَابِ الْهِجْرَةِ، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: زُرْتُ عَائِشَةَ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، فَسَأَلْنَاهَا عَنِ الهِجْرَةِ فَقَالَتْ: «... كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ[7].... »[8]. لَقَدْ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَضْطَهِدْ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ « حَتَّى فَتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَنَفَوْهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ، فَهُمْ مِنْ بَيْنِ مَفْتُونٍ فِي دِينِهِ، وَمِنْ بَيْنِ مُعَذَّبٍ فِي أَيْدِيهِمْ، وَبَيْنِ هَارِبٍ فِي الْبِلَادِ فِرَارًا مِنْهُمْ...» [9].

أول المهاجرين:

أَوَلَ مَنْ هَاجرَ إلى المَدِينَةِ « مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ»[10]القرآن. فِي حِينِ وَردتْ رِوَايَاتِ أُخْرَى تُفِيدُ بِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ هَاجرَ هُوَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ آذته قُرَيْشٌ عَلَى أَثَرِ

---

[1] اللابتان هما: الحرتان.

[2] صحيح البخاري:كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ٥/٥٨، حديث ٣٩٠٥، ارشاد الساري ٦/٢١٥. البغوي: شرح السنة ١٣/٣٥٦. ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٢٤٥.

[3] وهلي: وهمي وظني.

[4] اليمامة: بلد من بلاد الحجاز.

[5] هجر: مدينة من اليمن.

[6] صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام ٤/٢٠٣، حديث ٣٦٢٢. صحيح مسلم: باب رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ٤/ ١٧٧٩، حديث ٢٢٧٢.ابن الاثير: جامع الاصول في أحاديث الرسول٢/٥٣٨، حديث ١٠١٣. سنن ابن ماجه ٢/١٢٩٢، حديث ٣٩٢١. البغوي: شرح السنة ١٢/٢٤٧. صحيح ابن حبان ١٤/١٧٦، حديث ٦٢٧٦.

[7] يفتن عليه: يعذب حتى يرجع عن دينه.

[8] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه، ٥/٥٧، حديث ٣٩٠٠.

[9] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٤٦٧.

[10] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ٥/٦٦ (الأحاديث ٣٩٢٤، ٣٩٢٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رُجوعِهِ مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ فَتَوَجَّهَ إِلَى يَثْرِب قَبْلَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ بسَنَةٍ وَاحِدَةٍ[1]، عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنْ الْجَمْعُ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ بحمل الْأَوْلَوِيَّة فِي حالَةِ مُصْعَب بْنِ عُمَيْر وعَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ على أَنَّها بَعْدَ الْإِذْنِ بالْهِجْرَةِ، وَبنيَّةِ الْإِقَامَةِ بها، وليُعَلِّمَا مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِهَا، وذَلِكَ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِي حِينِ كَانَ خُرُوجُ أَبُو سَلَمَةَ مِنْ مَكَّةَ فِرَارًا بِدِينِهِ ولَيسَ بِقَصْدِ الْهِجْرَة إلى الْمَدِينَةِ لِلاسْتِقْرَارِ بِهَا .

أساليب قريش في محاولتها عرقلة هجرة المسلمين إلى يثرب:

وَقَدْ ذَكَرتِ المَصادِرْ المُعْتَمَدةُ الكَثيرَ مِنَ المَعْلومَاتِ عَنْ أَساليبَ قُرَيْش فِي مُحاوَلَتِها عَرْقَلةُ هِجْرَةِ الْمُسْلِمِينَ إلى يَثْرِبَ، وإثارَتِهَا للمَشاكِلِ فِي وَجْهِ المُهاجرينَ مِنَ الإرْهَاب، وحَجْزِ الزَوجاتِ والأطْفالِ، وسَلْبِ الأمْوالِ، أَو الاحْتِيالِ لإعادَةِ مَنْ هاجرَ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُعَرقِلْ مَوْكِبَ الْهِجْرَةِ، فَقَدْ كَانَ المُهاجرونَ على اسْتِعدادٍ تامٍ للانخلاعِ عَنِ الدُنْيَا ومَباهِجَها فِي سَبيلِ الفَرارِ بدِينِهِمْ. والمَصادِرْ المُوَثقةَ تَحْكي قِصَصَ البُطولَةِ والفِداءِ فِي هَذا المَجالِ، فَقَدْ ذَكرتْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها- قِصَةَ هِجْرَتِها مَعَ زَوْجِهَا الْأَوَّل، وكيف أن قُرَيْشاً انتزعتها وطفلها من زَوْجِهَا. وَكَيْفَ أَنَّ رِحْلَةَ العَذابِ قَدْ إسْتَمرتْ قَرابةَ السنة قَبْلَ أنْ يُتاحَ لَها أَنْ تَسْتَرْجِعَ إبْنَها وأَنْ تَلْحَق بزَوْجِها، وتَعْكِسْ القِصّةَ، إلى جانبِ الإيمَانِ العَمْيقِ والمُعاناةِ فِي سَبيلِ العَقيدَةِ، إحْدَى صُوَرِ المُروءَةِ التيْ عَرِفَهَا المُجْتَمعُ العَربيُّ قَبْلَ الإسْلامِ حِيْنَ تَطوعَ عُثْمانُ بنْ طَلْحَة بِمُصاحَبةِ أُمِّ سَلَمَةَ وطِفْلَهَا والإحِسْانِ فِي مُعامَلَتِهِمَا بِشَرفٍ وكرامَةٍ وَحياءٍ إلى أَنْ أَوْصَلَها مَشارِفَ يَثْرِبْ وَاطْمَأنَّ عَلَى سَلامَتِهِمَا قَبْلَ أَنْ يَعُودَ إلى مَكَّةَ [2].

أما صُهَيْب الرُّومِيُّ فَقَدْ مَنَعَهُ زُعَماءَ قُرَيْش مِنَ الْهِجْرَةِ بِحُجَةِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَتَى إلى مَكَّةَ فَقِيراً، فَقَالوا لَهُ: «كَثُرَ مَالكَ عِنْدَنَا، وَبَلغْتَ الَّذِي بَلَغتَ، ثُمَّ تُرِيْدُ أَنْ تَخْرُجَ بمالِكَ ونَفْسكَ؟ وَاللَّهِ لا يَكونُ ذَلِكَ أَبَداً» وحِينَ عَرَضَ صُهَيْب عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعلَ لَهُمْ الْمَالُ فِي مُقابِلَ أَنْ يَخلّوا سَبيلَهُ، فَإنَهُمْ وافقُوا عَلَى ذَلِكَ، وبَلغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ

---

[1] البكجري: الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا ١٥١/١. النمري: الدرر في اختصار المغازي والسير ٧٥/١. ابن كثير: الفصول في السيرة ١١٣/١. عبد العزيز الكناني: المختصر الكبير في سيرة الرسول٤٧/١.

فائدة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، السيد الكبير، أخو رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من الرضاعة، وابن عمته برّة بنت عبد المطلب، وأحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، ومات بعدها بأشهر، وله أولاد صحابة، كعمر وزينب، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمة، تزوج بها النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة وكانت تقول: من خير من أبي سلمة، وما ظنّت أن اللّه يخلفها في مصابها به بنظيره، فلما فتح عليها بسيد البشر، اغتبطت أيما اغتباط. مات كهلا في سنة ثلاث من الهجرة، رضي اللّه عنه. المقريزي: امتاع الاسماع ١١/١.

[2] ابن هشام: السيرة ١/ ٤٦٩- ٤٧٠ بإسناد حسن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلى الله عليه وسلم فَقالَ:« رَبِحَ صُهَيْبٌ» [1]، ثَمَّ تَلا قَولُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ}[2].

ويَرْوِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَبرْ هِجْرَتهُ حَيثُ إتَعدَ مَعَ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وهِشَامِ بْنِ الْعَاصِ السَّهْمِيُّ، على الِالْتِقَاءِ في سرف عَلَى أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ، وكيف أن هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ قَدْ حُبِسَ عَنْهُمَا، وَفُتِنَ فَافْتُتِنَ، ثُمَّ تَحدثَ عَنْ خَبرْ وصولهما إلى ظاهر الْمَدِينَةِ، ونُزُولِهِمَا في بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بقباء، وخُرُوج أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وأَخِيهِ الْحَارِثُ إلى عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وإقْناعِهِمَا إيَّاهُ بِضَرُورَةِ الْعَوْدَةِ مَعَهُمَا إلى مَكَّةَ لِيَبرَّ بِقَسمِ أُمِهِ التِي نَذَرْتُ أَلّا يمسّ رَأْسَهَا مِشْط حَتَّى تَرَاهُ، وكيف حذره عُمَرَ منهما وقَوْلُهُ لَهُ «يَا عَيَّاشُ إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يُرِيدُكَ الْقَوْمُ إِلَّا عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرْهُمْ »، وعَدمْ إسْتِماعِهِ إِلَى التَّحْذِيرِ، أو إلى عَرضْ عُمَرَ بِمُقاسَمتِهِ مَالِهِ الكَثْيرْ، وقَدْ صَدقَ حَدسْ عُمَرَ فِي الأَمْرِ حيث عَدَوا عَلَيْهِ في بَعْضِ الطَّرِيقِ فأَوْثَقَاهُ وَرَبَطاهُ ثم دَخَلا به مَكَّةَ وَفَتَنَاهُ فَافْتُتِنَ. يقول عُمَرَ: «فكُنَّا نَقُولُ: ما اللَّهُ بِقَابِلٍ مِمَّنِ افْتُتِنَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةَ، قوم عَرَفُوا اللَّهَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ»، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا لَهُمْ وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ[3]: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [4].

قَالَ عُمَرُ: « فكَتَبْتُهَا بيدي فِي صَحِيفَةٍ وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ». ويَظهرْ أنَّ هِشَاماً قَدْ وَجدَ صُعوبَةً في فَهمِها إلى أنْ أَلقى الله فِي قَلْبِهِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَمْثَاله فَلحِقَ برَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في الْمَدِينَةِ »[5].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو فِي القُنُوتِ «اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ

---

[1] صحيح ابن حبان ٥٥٨/١٥. احمد بن حنبل: فضائل الصحابة ٨٢٨/٢، حديث ١٥٠٩. المباركفوري: الرحيق المختوم ١٤١/١. السهيلي: الروض الآنف ١٧٣/٤. السيرة الحلبية ٣١/٢. ابو شهبة: السيرة النبوية على ضوء القران والسنة ٤٦٧/١. الندوي: السيرة النبوية ٢٣٥/٢. ابن كثير: السيرة النبوية ٢٢٣/٢. ابن هشام: السيرة ١/ ٤٧٧.

[2] سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

[3] سنده صحيح:رواه من طريق ابن اسحاق والسنن الكبرى للبيهقي ٢٣/٩، حديث (١٧٧٥٦).أنظر: الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ١٣٧/١.

[4] سورة الزمر: الآيات ٥٣- ٥٥.

[5] السيرة النبوية على ضوء القران والسنة ٤٦٦/١. السهيلي: الروض الآنف ١٧١/٤. أما ما روى من إعلان عمر لهجرته على قريش عند البيت العتيق وتهديده لمن تحدثه نفسه أن يلحق به بثكل أمه وترميل زوجته ويتم أولاده فلم يصح، حيث ورد الخبر بإسناد فيه مجاهيل ثلاثة. الألباني: دفاع عن الحديث والسيرة ص١٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ[1]عَلَى مُضَرَ[2]، اللَّهُمَّ سِنِينَ[3] كَسِنِيِّ يُوسُفَ[4]»[5].

نَزَلَ أَغْلَبُ الْمُهَاجِرِينَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقِبَاءٍ فِي مَوضِعٍ يُدْعَى «العصبة» قَبْلَ مَقْدِمِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، يَؤُمُّهُمْ سَالِمُ بْنُ مَعْقِلٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ رضي الله عنه لِكَوْنِهِ أَكْثَرَ الْمُهَاجِرِينَ قُرْآنًا [6].

الرسول صلى الله عليه وسلم يُبرم خطة الهجرة مع أبو بكر الصديق:

وحين أَمَرَ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم بالْهِجْرَةِ إلى يَثْرِب، جاء صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِعاً إلى مَنْزِلْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه في وَقْتٍ لَمْ يَعْتَدْ أَنْ يَزُورَهُ فِيهِ، فِي نَحْرِ الظُهْرِ، وَهُوَ أَشَدَّ مَا يَكُونُ فِي حَرَارَةِ النَّهَارِ، وقد روت أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا وَقَائِعَ مَا جَرَى، فَقالَتْ: « فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[7]، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعًا[8]، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ[9]، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ [10]بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ»[11]. وبَعْدَ إِبْرامِ خُطَّةِ الْهِجْرَةِ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى بَيْتِهِ، يَنْتَظِرْ مَجِيءِ اللَّيْلِ. وَقَدْ

---

[1] اشدد وطأتك: عقوبتك.

[2] مضر: علم على قريش.

[3] سنين: جمع سنة وهي القحط والغلاء.

[4] كسني يوسف: بن يعقوب عليه السلام من حيث القحط وقلة الأمطار.

[5] صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى المُشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ٤/٤٤، حديث ٢٩٣٢.

[6] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/٢٠٧.الذهبي: تاريخ الاسلام ٣/٥٥.

[7] نحر الظهيرة: أول الزوال عند شدة الحر.

[8] متقنعا: مغطيا رأسه.

[9] أهلك: أي لا يوجد أحد يشك فيه إنما هي زوجتك عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما.

[10] الصحابة: أريد مصاحبتك.

[11] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة،٥/٥٨، حديث (٣٩٠٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اسْتَمرَّ فِي أَعْمالِهِ اليَومِيَّةِ حَسبَ المُعْتادِ حتى لَمْ يَشْعُرْ أَحَدْ بِأَنَّهُ يَسْتَعِدْ للْهِجْرَةِ، أو لِأَيَّ أَمْرٍ آخَرَ اتِّقَاءَ ما قد تُقَرِّرُهُ قُرَيْشٌ[1].

تآمر قريش على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم:

تآمرت قُرَيْشٌ على حَيَاةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ أَنْ عَلِمَ الْمُشْرِكُونَ بِمَا تَمَّ بَيْنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم الْأَنْصَارِ فِي الْعقبَة الثَّانِيَة، وَرَأَوْا الْمُسْلِمِينَ يُهَاجِرُونَ إلى يَثْرِب جَمَاعَاتٍ وأَفْرَادًا.

فلَقدْ عَقَدَ زُعَماءُ قُرَيْشٍ اجْتِمَاعًا خَطِيْراً فِي دَارَ النَّدْوَةِ حَيْثُ تَشاوَرُوا فِي أَضْمَنْ الوَسائِلْ للتَخَلُصْ مِنْ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم [2]، وقَدْ كَانَ ائْتِمارِ الْمُشْرِكِينَ لِقَتْلِه أَحَدْ الآراءِ التي طَرَحُوهَا فِي ذَلِكَ الاجْتِماعِ وَقدْ لَخَّصَ الْقُرْآن الْكَرِيم تِلْكَ الآراءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ} [3]، لِذلِكَ فَلا يُسْتَبْعَدْ أَنْ حَاصرَ الْمُشْرِكُونَ بَيْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ أَساطِيرَ تَسربَتْ إلى مَصادِرَ كَثِيرَةً فِي الْحَدِيثِ والسِّيرَةِ فَلا يَصُحُ الِاحْتِجَاجُ بِهَا[4].

الرسول صلى الله عليه وسلم يغادر بيته:

انْطَلَقَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم إلى الْغَارِ مِنْ بَيْتِهِ حَيْثُ حَاصَرَهُ الْمُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، فَلَبِسَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رضي الله عنه ثَوْبَهُ وَنَامَ فِي مَكانه، واخْتَرقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حِصارَ الْمُشْرِكِينَ دُونَ أَنْ يَرَوهُ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى عَلِيًا بِأَنْ يُخْبِرْ أَبا بَكْرٍ أَنْ يَلْحَقَ به فَجاءَ أَبُو بَكْرٍ وعَلِيٌّ نَائِمْ،، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: « شَرَى عَلِيٌّ نَفْسَهُ، وَلَبِسَ ثَوْبَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ نَامَ مَكَانَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَلْبَسَهُ بُرْدَةً، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُرِيدُ أَنْ

---

[1] الرحيق المختوم، ص١٨٢.

[2] الدر المنثور ٤/٥١. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ١/١٤٠.

[3] سورة الأنفال: الآية ٣٠.

[4] منها:١- رواية ضعيفة - بسبب الإرسال - قصة اجتماع المشركين على باب الرسول صلى الله عليه وسلم وذره التراب على رءوسهم. وورود رواية نسيج العنكبوت على فم الغار ٢- ورود حديث ضعيف جداً يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بات في غار ثور أمر الله شجرةً، فنبتت في وجه الغار، وأمر حمامتين وحشيتين، فوقعتا بفم الغار. وأن ذلك سبب صدود المشركين عن الغار. انظر، العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٢٠٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَقْتُلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَجَعَلُوا يَرْمُونَ عَلِيًّا، وَيَرَوْنَهُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ لَبِسَ بُرْدَةً» [1]، « فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، وَعَلِيٌّ نَائِمٌ، قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ يَحْسَبُ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ قَدِ انْطَلَقَ نَحْوَ بِئْرِ مَيْمُونٍ فَأَدْرِكْهُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ فَدَخَلَ مَعَهُ الْغَارَ، قَالَ: وَجُعِلَ عَلِيٌّ يُرْمَى بِالْحِجَارَةِ كَمَا كَانَ يُرْمَى نَبِيُّ اللَّهِ، وَهُوَ يَتَضَوَّرُ قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ فِي الثَّوْبِ لَا يُخْرِجُهُ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالُوا: إِنَّكَ لَلَئِيمٌ، كَانَ صَاحِبُكَ نَرْمِيهِ فَلَا يَتَضَوَّرُ، وَأَنْتَ تَضَوَّرُ، وَقَدِ اسْتَنْكَرْنَا ذَلِكَ» [2].

من الدار إلى الغار:

غَادرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْتِه فِي لَيْلَةِ ٢٧ مِنْ شَهْرِ صَفَرَ سَنَةَ ١٤ مِنَ النُّبُوَّةِ الْمُوَافِقَ١٢/ ١٣ سِبْتَمْبَرْ سَنَةَ ٦٢٢ م [3]. وأَتَى إلى دَارِ رَفيقِه- أَمِنَّ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ - أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه. ثَمَّ غَادَرا مَنْزِلَ الْأَخِيرِ مِنْ بَابٍ خَلْفِيٍ، لِيَخْرُجَا مِنْ مَكَّةَ عَلَى عَجَلٍ، وَقَبلَ أَنْ يَطْلِعَ الفَجْرُ. ولَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْلَمْ أَنَّ قُرَيْشاً سَتَجُدُّ فِي الطَلَبِ، وأن الطَّرِيقَ الَّذِي سَتَتَجِهْ إِلَيْهِ الأَنْظَارَ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ هُوَ طَّرِيقُ المَدِيْنَةِ الرَّئِيسِيِّ المُتَجِهْ شَمالاً، فَقَدَ سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُضَادُّهُ تَمَاماً، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاقِعِ جَنُوبِ مَكَّةَ، والمُتَجِهْ نَحْوَ الْيَمَنِ. سَلَكَ هَذا الطَّرِيقَ نَحْوَ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ، حَتَّى بَلَغَ إلى جَبَلٍ يُعْرَفُ بِجَبَلِ ثَوْرٍ، وهذا جَبَلٌ شَامِخٌ، وَعْرُ الطَّرِيقِ، صَعْبُ الْمُرْتَقَى، ذَا أَحْجَارٌ كَثِيرَةٌ، فَحَفِيَتْ قَدَما رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ على أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ كَيْ يَخْفِي أَثَرَهُ فَحَفِيَتْ قَدَماهُ، وأَيَاً ما كَانَ، فَقَدْ حَمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ حِينَ بَلَغَ إِلَى الْجَبَلِ، وطَفِقَ يَشْتَدُّ بِهِ حَتَّى انْتَهَى به إلى غَارٍ فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ، عُرِفَ فِي التَّارِيخِ بِغَارِ ثَوْرٍ[4].

الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق في الغار:

ولَمَّا انْتَهَيَا إلى الْغَارِ قال أَبُو بَكْرٍ: واللهِ لا تَدْخُلُهُ حتى أَدْخُلُهُ قَبْلَكَ، فَإِنْ كَانَ فيه شيءٌ أَصَابَنِي دُونَكَ، فَدخلَ فَكَسحَهُ، ووَجدَ فِي جانبِهِ ثُقْبَاً فَشَقَّ إِزَارَهُ وَسَدَّهَا به، وبقي منها اثْنَانِ فألْقَمُهما رِجْلَيهِ، ثَمَّ قال لرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُدْخُلْ. فَدَخلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِهِ ونام، فَلُدِغَ أَبُو

---

[1] صحيح: رواه الحاكم في مستدركه،حديث (٤٢٦٣)،وقال حديث صحيح الاسناد و لم يخرجاه. وصححه الذهبي.

[2] احمد بن حنبل:فضائل الصحابة ٦٨٢/٢، حديث ١١٦٨.

[3] محمد سليمان:رحمة للعالمين ١/ ٧٨.

[4] الرحيق المختوم، ص ١٨٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بَكْرٍ في رِجْله مِنْ الحُجر، و لم يتحرَّكْ مخافة أن يَنْتَبِهَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسقَطتْ دُموعهُ على وَجهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لَكَ يا أبا بَكْرٍ؟ قال: لُدِغتُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، فَتفلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَذهبَ ما يَجِدْهُ [1].

وكَمنا في الغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ولَيْلَةَ السَّبْتِ ولَيْلَةَ الْأَحَدِ [2].وكان عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا. قَالتْ عَائِشَةَ: وهو غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ[3] لَقِنٌ[4]، فَيُدْلِجُ[5] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ [6]إِلَّا وَعَاهُ[7]، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً [8] مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا [9]عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ[10]، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[11]، حَتَّى يَنْعِقَ [12] بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[13]، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ [14]. وكان عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَتْبَع بِغَنَمِهِ أَثَرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ ذِهابِه إلى مَكَّةَ لِيَعْفِي عَلَيْهِ [15].أَمَّا قُرَيْشٌ فَقدْ جَنَّ جُنُونَها حِينَما تَأَكَّدَ لَديْهَا إفْلاتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَباحَ لَيْلَةَ تَنْفيذِ المُؤامَرةِ. فَأَوَّلَ ما فَعلوا بِهَذا الصَدِدِ أَنَهُمْ ضَرَبُوا عَلِيًّا، وَسَحبوهُ إلى الكَعْبَةِ، وَحَبسوهُ سَاعَةً، عَلَهُمْ يَظْفَرونَ بِخَبَرِهِمَا [16]. ولَمَّا لَمْ يَحْصَلُوا مِنْ عَلِيٍّ عَلَى جَدْوَى جَاؤُوا إلى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَرعُوا

---

[1] رواه رزين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه ثم انتقض عليه (أي رجع أثر السم حين موته) وكان سبب موته. انظر مشكاة المصابيح، باب مناقب أبي بكر ٣/ ١٧٠٠.

[2] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٣٦.

[3] ثقف: حاذق فطن.

[4] لقن: سريع الفهم حسن التلقي لما يسمعه ويعلمه.

[5] فيدلج: يخرج وقت السحر منصرفا إلى مكة.

[6] يكتادان به: يدبر بشأنهما ويمكر به لهما ويسبب لهما الشر والأذى.

[7] وعاه: حفظه.

[8] منحة: الناقة أو الشاة يعطى لبنها ثم جعلت كل عطية منحة وكذلك تطلق على كل شاة.

[9] فيريحها: من الرواح وهو السير في العشي.

[10] رسل: اللبن الطري.

[11] رضيفهما: هو اللبن الذي جعل فيه الرضفة وهي الحجارة المحماة لتذهب وخامته وثفله وقيل الرضيف الناقة المحلوبة.

[12] ينعق: يصبح بغنمه.

[13] بغلس: هو ظلام آخر الليل.

[14] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة،٥/٥٨، حديث (٣٩٠٥).

[15] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٤٨٦.

[16] الرحيق المختوم، ص١٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بَابَهُ، فَخَرجتْ إلْيهِمْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالوا لَهَا: أَيْنَ أَبُوكِ؟ قَالَتْ: لا أَدْرِي واللهِ أَيْنَ أَبِي؟ فَرَفعَ أَبُو جَهْلٍ يَدهُ- وكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا - فَلطَمَ خَدَهَا لَطْمَةً طَرحَ مِنْهَا قِرْطَهَا [1]. وقَررَتْ قُرَيْشٌ وَضْعَ جَمِيعِ الْطُرقِ الْنافِذَةِ مِنْ مَكَّةَ، فِي جَمِيعِ الجِهاتِ تَحْتَ المُراقبةِ المُسلحَةِ الشَّدِيدَةِ، كَمَا قَررَتْ إعْطاءَ مُكَافَأَةً ضَخْمَةً قَدرُهَا مِائَةَ نَاقَةٍ بَدلَ كُلُ واحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ يُعِيدُهُمَا إلى قُرَيْشٍ حَيَّيْنِ أو مَيِّتَيْنِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ [2].وحِيْنَئِذٍ جَدَّتْ الفُرْسَانْ والمُشاةْ وقصّاصْ الأثَرِ في الطَلبِ، وانْتَشَرُوا فِي الجِبالِ والوِدْيانِ، والوِهادِ والهِضابِ، لَكِنْ مِنْ دونِ جَدْوَى وَبِغَيرِ عَائِدَة.

وَقدْ وَصلَ المُطارِدونَ إلى بَابِ الغَارِ، ولَكنَّ اللَّه غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الغَارِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ[3] رَآنَا، قَالَ: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[4].وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ كَانَتْ مُعْجِزةٌ أَكْرَمَ اللهُ بِهَا نَبِيَهُ صلى الله عليه وسلم، فَقدْ رَجَعَ المُطارِدونَ حِينَ لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ إلا خُطواتٍ مَعْدودَةٍ.

في الطريق إلى المدينة:

وحِينَ خَمَدتْ نَارَ الطَلبِ، وتَوقفتْ أَعمالَ دَورياتِ التَفْتيشِ، وَهدأتْ ثَائِراتُ قُرَيْشٍ بَعْدَ استمرارِ المُطارَدَةِ الحَثِيثَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بدونِ جَدوَى، تَهَيَأ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَصاحِبُهُ للخُروجِ إلى المَدِينَةِ.

وكان رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ قد اسْتَأْجَرَا رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وهو عبد الله بن أريقط الليثي، هَادِيَا خِرِّيتًا[5]، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا[6]، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةَ الاثْنَيْنِ - غُرّة ربيع الأوّل سَنَةَ ١ هـ/ ١٦ سِبْتَمبَرْ سَنَةَ ٦٢٢ م- جَاءَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ بِالرَّاحِلَتَيْنِ، وكَانَ قَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ للنبي صلى الله عليه وسلم عِندَ مُشاوَرتِه في البَيْتِ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «بِالثَّمَنِ»،

---

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٤٨٧.

[2] ابن حجر: فتح الباري ٢٤١/٧. ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢١٨/٦، حديث(٣٩٠٦). الرحيق المختوم' ص١٨٦.

[3] طأطأ بصره: أماله إلى تحت.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة٥/٦٥، حديث(٣٩٢٢).

[5] خِرِّيتًا:ماهرا بالطريق.

[6] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة،٥/٥٨، حديث (٣٩٠٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ[1] الجِهَازِ[2]، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً [3]فِي جِرَابٍ[4]، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بنتُ أبي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ[5].

ثُمَّ ارْتَحلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وارتحل معهما عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وأخَذَ بهمْ الدَّلِيل عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ على طَرِيقِ السَواحِلِ. وأَوَّل مَنْ سَلكَ بهمْ بَعْدَ الخُروجِ مِنْ الغَارِ أَنَّهُ أَمْعَنَ فِي إتجاهِ الْجَنُوبِ نَحْوَ الْيَمَنِ، ثُمَّ اتجهَ غَرْبًا نَحْوَ السَّاحِلِ، حَتَّى إذا وَصلَ إلى طَرِيقٍ لَمْ يَأْلَفهُ النَّاسُ اتجهَ شِمَالًا على مَقْرُبَة مِنْ شَاطِيءِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَسلكَ طَرِيقاً لَمْ يَكُنْ يَسْلُكهُ أَحدٌ إلا نَادِرًا. وَقدْ ذَكرَ ابْنُ إِسْحَاقَ المَواضِعَ التِي مَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي هَذا الطَّرِيقِ قَالَ: لَمَّا خَرجَ بِهمَا الدَّلِيلِ، سَلَكَ بِهِمَا أَسْفَلَ مَكَّةَ، ثُمَّ مَضَى بِهِمَا عَلَى السَّاحِلِ، حَتَّى عَارَضَ الطَّرِيقَ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا عَلَى أَسْفَلِ أَمَجَ، ثُمَّ اسْتَجَازَ بِهِمَا، حَتَّى عَارَضَ بِهِمَا الطَّرِيقَ، بَعْدَ أَنْ أَجَازَ قُدَيْدًا، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مِنْ مَكَانِهِ ذَلِكَ، فَسَلَكَ بِهِمَا الْخَرَّارَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْمَرَّةِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا لِقْفا.ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ مَحَاجَّ، ثُمَّ تَبَطَّنَ بِهِمَا مَرْجِحَ مِنْ ذِي الْغَضْوَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِمَا عَلَى الْجَدَاجِدِ، ثُمَّ عَلَى الْأَجْرَدِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ذَا سَلَمٍ، مِنْ بَطْنِ أَعْدَاءِ مَدْلِجَةٍ تِعْهِنٍ، ثُمَّ عَلَى الْعَبَابِيدِ. ثُمَّ هَبَطَ بِهِمَا الْعَرْجَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا مِنْ الْعَرْجِ، فَسَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْعَائِرِ، عَنْ يَمِينِ رَكُوبَةٍ- وَيُقَالُ ثَنِيَّةُ الْغَائِرِ[6]، حَتَّى هَبَطَ بِهِمَا بَطْنَ رِئْمٍ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا قُبَاءٍ[7].

أحداث على الطريق:

١- رَوَى مُسْلِم عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدّيقِ رضي الله عنه قال: أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا، يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي ظِلِّهَا، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، ثُمَّ

---

[1] أحث: من الحث وهو الإسراع.

[2] الجهاز: ما يحتاج إليه في السفر.

[3] سفرة: الزاد الذي يصنع للمسافر.

[4] جراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه.

[5] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة،٥/٥٨، حديث (٣٩٠٥).

[6] صحيح: رواه الحاكم في مستدركه،حديث (٤٢٧٢)،وقال حديث صحيح على شرط مسلم، و لم يخرجاه.

[7] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٤٩١، ٤٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قُلْتُ: نَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ؟ يَا غُلَامُ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضْ الضَّرْعَ مِنَ الشَّعَرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَذَى - قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ - فَحَلَبَ لِي، فِي قَعْبٍ مَعَهُ، كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، قَالَ: وَمَعِي إِدَاوَةٌ أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَوَافَقْتُهُ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا[1].

٢- عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى المَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ[2]، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ[3]، وَنَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَابٌّ [4]لاَ يُعْرَفُ[5]، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخَيْرِ[6].

٣- وفي اليوم الثاني أو الثالث مَرُّوا عَلَى خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، وكان موقعهما بالمشلّل من ناحية قُديد على بُعد نحو ١٣٠ كيلومترا من مكة، وَكَانَتِ أُمُّ مَعْبَدٍ امْرَأَةً بَرْزَةً جَلْدَةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْخَيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى شَاةٍ فِي كَسْرِ الْخَيْمَةِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟» قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، قَالَ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا؟» قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ، فَاجْتَرَّتْ فَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرْبِضُ[7] الرَّهْطُ فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الْبَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا وَشَرِبَ

---

[1] صحيح:صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ٤/٢٣٠٨،حديث (٢٠٠٩).

[2] مردف أبا بكر: مركبه خلفه على نفس الراحلة أو على راحلة غيرها.

[3] شيخ يعرف: أي قد شاب شعر رأسه وكان يعرفه أهل المدينة لمروره عليهم في سفر التجارة.

[4] شاب: أي من حيث عدم انتشار الشيب في رأسه وإلا فهو صلى الله عليه وسلم أسن من أبي بكر رضي الله عنه.

[5] لا يعرف: لم يعرفه الناس لعدم خروجه من مكة غالبا وعدم التقائه بهم.

[6] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة٥/٦٢، حديث(٣٩١١).

[7] يربض: يسقى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آخِرِهُمْ حَتَّى أَرَاضُوا، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ الثَّانِيَةَ عَلَى هَدَّةٍ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، ثُمَّ بَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّ مَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاءَهَا زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ لِيَسُوقَ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزَالًا مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ أَعْجَبَهُ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا يَا أُمَّ مَعْبَدٍ وَالشَّاءُ عَازِبٌ حَائِلٌ، وَلَا حلوبَ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ ثَجْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِيهِ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعِجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ فَصْلًا، لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ، يَتَحَدَّرْنَ رَبْعَةٌ لَا تَشْنَأُهُ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ، قَدْرًا لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إِنْ قَالَ: سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ، قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا،[1]. وَأَصْبَحَ صَوْتٌ بِمَكَّةَ عَالِيًا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَرَوْنَ الْقَائِلَ:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ... رَفِيقَيْنِ حَلَّا خَيْمَتَيْ أم معبد

هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ... وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

فَيَا لَقُصَيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمُ... بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازَى وَسُودَدِ

لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهِمْ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا... فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاءَ تَشْهَدِ

قَالَتْ أسماء بنت أبي بكر: مَا دَرَيْنَا أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَأَنْشَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، وَالنَّاسَ يَتْبَعُونَهُ وَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ، وَلَا يَرَوْنَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَاهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ، عَرَفْنَا حَيْثُ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَّ وَجْهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ» [2].

٤- وتبعهما في الطريق سُرَاقَةُ بن مالك.قال سُرَاقَةُ:بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً [3] بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا،

---

[1] صحيح: رواه الحاكم في مستدركه ٣/١٠،حديث ٤٢٧٤ .وقال حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وصححه الذهبي.

[2] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٥١ــ٥٢.

[3] أسودة: أشخاصا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ[1]، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ [2] البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ[3] الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا[4] تُقَرِّبُ بِي[5]، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ[6] فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا[7]: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ[8]، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ[9] سَاطِعٌ [10]فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم . فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي[11] وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ[12]، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[13]، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم [14]. وفي رواية عن أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَارْتَحَلْنَا وَالقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ

---

[1] أكمة: رابية مرتفعة عن الأرض.

[2] من ظهر: من خلف.

[3] فحططت بزجه: نكست أسفله

[4] فرفعتها: أسرعت بها السير.

[5] تقرب بي: من التقريب وهو نوع من السير دون العدو وفوق العادة وقيل هو أن ترفع يديها معا وتضعهما معا.

[6] الأزلام: سهام لا ريش لها ولا نصل مكتوب عليها لا نعم فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرا ضربوا بها فإن خرج [لا] تركوا وإن خرج [نعم] فعلوا.

[7] فاستقسمت بها: من الاستقسام وهو طلب معرفة ما قسم.

[8] الذي أكره: أي لا تضرهم ولا تقدر عليهم.

[9] عثان: الدخان من غير نار وفي نسخة (غبار).

[10] ساطع: منتشر.

[11] لم يرزآني: لم يأخذا مني شيئا و لم ينقصا مالي.

[12] كتاب أمن: كتاب موادعة.

[13] أديم: هو الجلد المدبوغ.

[14] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة٥/٦٠، حديث(٣٩٠٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»[1]. وَرَجَعَ سراقة فَوَجَدَ النَّاسَ فِي الطَّلَبِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: قَدِ اسْتَبْرَأْتُ لَكُمُ الْخَبَرَ، وَقَدْ كُفِيتُمْ مَا هَاهُنَا، وَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَيْهِمَا، وَآخِرَهُ حَارِسًا لَهُمَا[2].

٥- وَفِي الطَرِيقِ لَقِيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيِّ، وكَانَ رَئِيسَ قَوْمِه، وكَانَ قَدْ خَرجَ يَبْحثُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم طَمعاً فِي الحُصولِ عَلَى الْجَائِزَةِ التِي رَصدَهَا قُرَيْش لِمَنْ يَقْبضْ عَلَى النَّبِيِّ، وكَانَتْ الْجَائِزَةُ مِائَةً مِنْ الإبلِ. إِلَّا أَنَّهُ حِينَ مَثُلَ أَمامَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَوَاتَتهُ الفُرصةُ لِيَسْتَمِعَ إلى كَلامَ النَّبِيِّ، أَسْلَّمَ مِنْ فَورِه معَ سَبْعِينَ رَجُلًا كَانُوا مَعهُ، ثُمَّ خَلعَ عِمَامَتِهِ وجَعلَها رَايةً بَيْضاءَ تُرَفْرِفُ مِنْ فَوقِ رُمْحِه، تُبَشرُ بِقدومِ الأمْنِ، حَامي السَلامِ نَاشِرَ العَدلِ والإنْصافِ فِي الدُنْيَا[3].

٦- وفي الطريق في بطن رِئَمْ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْرَ، وهو فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ[4].

النزول بقباء:

وفِي يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ٨ رَبيعُ الأوّلِ /٥١ الُموافِقْ ٢٣ سِبْتَمبَرْ سَنَةَ ٦٢٢ م نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِقُباءَ[5].

قال عروة بن الزبير: سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ [6] مِنْ آطَامِهِمْ، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ [7] يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ[1]، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ [2] الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِظَهْرِ الحَرَّةِ[3].

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ٥/٣، حديث(٣٦٥٢).

[2] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٥٠.

[3] محمد سليمان:رحمة للعالمين ١/ ٨٤.

[4] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة٥/٦٠، حديث(٣٩٠٦).

[5] رحمة للعالمين: ١/٨٤.

[6] أطم: حصن وقيل بناء من حجر كالقصر.

[7] مبيضين: عليهم ثياب بيض.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال ابن القيم: وَسُمِعَتِ الرَّجَّةُ[٤] وَالتَّكْبِيرُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحًا بِقُدُومِهِ، وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، فَتَلَقَّوْهُ وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ، فَأَحْدَقُوا بِهِ مُطِيفِينَ حَوْلَهُ وَالسَّكِينَةُ تَغْشَاهُ، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ: {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ} [٥][٦].

قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ - مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ ذَلِكَ[٧].

أقام رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بقباء يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ وَالْخَمِيسِ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، [٨]. وأسس مسجد قباء وصلى فيه، وهو أَوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بعد النبوة، فلما كان اليوم الخامس- يوم الجمعة- ركب عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ[٩]، وأَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ ــ أخواله ــ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِين سُيُوفِهِم[١٠]،فَسارَ نَحْوَ المَدِينَةَ وَهُمْ حَوْلَهُ[١١]، وأَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةِ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَصَلى الْجُمُعَةِ الْكُبْرَى فِي الْمَسْجِدِ بِبَطْنِ الْوَادِي [١٢]، بِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ مِائَةَ رَجُلٍ[١٣].

---

[١] تزول بهم السراب: هو ما يرى في شدة الحر من بعد كأنه ماء والمعنى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له أو يظهرون فيه تارة ويخفون أخرى.

[٢] جدكم: حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعون مجيئه.

[٣] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة٥/٦٠، حديث(٣٩٠٦).

[٤] صوت الشيء الساقط.

[٥] سورة التحريم:الآية ٤.

[٦] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٥٢.

[٧] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة٥/٦٠، حديث(٣٩٠٦).

[٨] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/١٠٠٩.

[٩] ردفه: راكب خلفه.

[١٠] متقلدي السيوف: جعلوا حمائلها في أعناقهم كالقلائد خوفا من اليهود عليه وليروه استعدادهم لنصرته صلى الله عليه وسلم.

[١١] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، بَابٌ هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ١/٩٣، حديث(٤٢٨).

[١٢] رواه الطبراني ورجاله ثقات.أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٧٨، حديث(٩٩٢٢).

[١٣] المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١/١٨٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دخول النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة:

قال البراء بن عازب:قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم [1]وَمِنْ ذَلِكَ اليَومْ سُمِيَتْ بَلْدَة يَثْرِب بِمَدِينَةِ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَيُعَبرْ عَنْهَا بِالمَدِينَةِ مُخْتَصَراً- وكَانَ يَوماً تَارِيخِيّاً أَغَرْ، فَقَدْ كَانَتْ البُيوتْ والسِكَك تَرتَجْ بَأصْوَاتِ التَحْمِيدِ والتَقْدِيسِ، والأنْصَارِ إِنْ لَمْ يَكونُوا أَصْحابْ ثَرَواتٍ طائِلَةٍ إِلَّا أَنَّ كُلَّ واحدٍ مِنْهُمْ كَانَ يَتمَنَى أَنْ يَنْزِلَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِ، فَكانَ لا يَمُرْ بِدارٍ مِنْ دُورِ الأَنْصارِ إِلَّا أَخَذُوا خِطَامِ رَاحِلَتِهِ[2]، هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالسِّلَاحِ وَالْمَنَعَةِ، فَقَالَ: «خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» فَلَمْ تَزَلْ نَاقَتُهُ سَائِرَةً بِهِ لَا تَمُرُّ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النُّزُولِ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» فَسَارَتْ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ وَبَرَكَتْ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَنْهَا حَتَّى نَهَضَتْ وَسَارَتْ قَلِيلًا، ثُمَّ الْتَفَتَتْ فَرَجَعَتْ فَبَرَكَتْ فِي مَوْضِعِهَا الْأَوَّلِ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَذَلِكَ فِي بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِهِ صلى الله عليه وسلم.

وَكَانَ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهَا فَإِنَّهُ أَحَبُّ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى أَخْوَالِهِ يُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُكَلِّمُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي النُّزُولِ عَلَيْهِمْ، وَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ»، وَجَاءَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ فَأَخَذَ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ[3].

وفي رواية أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ». فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا»، قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ[4].

قالت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم المَدِينَةَ، وُعِكَ[5] أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى[6] يَقُولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ... وَالمَوْتُ أَدْنَى[7] مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[8]، وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ [1]عَنْهُ الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ[2] يَقُولُ:

---

[1]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة،٥/٦٦، حديث (٣٩٢٥).

[2]الرحيق المختوم، ص١٩٣.

[3] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٥٣.

[4] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة٥/٦٢، حديث(٣٩١١).

[5] وعك: أصابه الوعك وهو الحمى.

[6] أخذته الحمى: اشتدت عليه.

[7] أدنى: أقرب.

[8] شراك نعله: سير النعل الذي يكون على وجهها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي[٣] هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ[٤] وَجَلِيلُ[٥]،

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ[٦]... وَهَلْ يَبْدُوَنْ[٧] لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[٨]،

قَالَ: اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ[٩]، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ[١٠]»[١١].

وَقَدْ اسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ صلى الله عليه وسلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي المَدِينَةِ: « رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ المَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَتْ بِمَهْيَعَةَ، فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ المَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَةَ» وَهِيَ الجُحْفَةُ "[١٢]، وَبِذلِكَ اسْتَراحَ المُهاجِرونَ عَمَّا كَانُوا يُعانونهُ مِنْ شِدَةِ مَناخِ المَدِينَةِ.

---

[١] أقلع: كف.

[٢] عقيرته: رفع الصوت مع البكاء أو الغناء.

[٣] ليت شعري: ليتني أشعر.

[٤] إذخر: نوع من الحشيش.

[٥] جليل: نوع من النبات.

[٦] مياه مجنة: ماء عند عكاظ قريبا من مكة.

[٧] يبدون: يظهرن.

[٨] شامة وطفيل: جبلان على نحو ثلاثين ميلا من مكة وقيل هما عينا ماء (وقال) بلال رضي الله عنه.

[٩] الوباء: المرض العام.

[١٠] الجحفة: ميقات أهل الشام ومصر والمغرب الآن وتسمى رابغ.

[١١] صحيح: أخرجه البخاري: ابواب فضائل المدينة، بَابُ كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُعْرَى المدينة٣/٢٣، حديث(١٨٨٩).

[١٢] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب التعبير، بَابُ المرأة السوداء ٩/٤٢، حديث(٧٠٣٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني
المستفاد من أحداث العهد المكي

المستفاد من أسلوب الدعوة السرية والضابط لوجوبها:

الدعوة الناشئة تحتاج إلى جو هادئ بعيد عن تجمع الأعداء ضد هذه الدعوة وصاحبها، كما تحتاج إلى فسحة من الوقت يتخير فيها صاحبها العناصر السليمة التي يمكن مكاشفتها وعرض الدعوة عليها واحتمال إجابتها حتى يكونوا أعواناً للدعوة وقائدها وقاعدة لها، وهذه الأغراض يحققها أسلوب الفردية والسرية في المرحلة الأولى للدعوة، والضابط لوجوب السرية للدعوة الإسلامية وجود ضرر محقق أو محتمل الوقوع احتمالا راجحاً يلحق بالدعوة ذاتها أو بالدعاة أنفسهم؛ وتقدير الضرر يرجع إلى ملاحظة جملة اعتبارات منها:ـــ

١- شدة بطش وعتو أعداء الدعوة من حكام ومتنفذين في المجتمع إذا عرفوا بوجود الدعوة وعرفوا قادتها.

٢- قلة المستجيبين للدعوة بحيث يؤدي انكشافهم إلى تصفيتهم جسدياً وإلى القضاء على الدعوة أو إلى شل حركتها.

٣- تعريض الدعوة ودعاتها إلى الخصام مما يعرقل عمل الدعاة ويشغلهم عن عملهم المبرور[1].

المستفاد من موقف المشركين من الدعوة الإسلامية الجهرية:

لقد ردّ المشركون في مكة دعوة الإسلام، وقابلوها بالتكذيب والطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم واتهامه بالكذب والسحر والنعوت القبيحة، وهو صلى الله عليه وسلم بريء منها، بل ويعلمون هم أنه بريء منها لأنهم ما عرفوا منه إلا الأمانة والصدق، ولكن استمساكهم بكفرهم ومعاداتهم للدعوة حملهم على ردها والطعن في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم.

فعلى المسلمين أن لا يأخذهم العجب والبهر والانزعاج إذا ما رأوا الناس أو بعضهم يردون دعوتهم ويعادونها ويتهمونهم بالتهم الباطلة، فليسوا هم ـــ أي المسلمين ـــ بأحسن حالاً ولا أقوى حجة ولا أكثر تأييداً من الله ولا أنصع بياناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك أتهمه أهل الباطل بما اتهموه به، وردوا دعوته

---

[1] زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن ٢/٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهي دعوة الحق، فإذا فقه المسلمين ذلك لم يلتفتوا إلى تكذيب المكذبين وطعنهم بأشخاصهم، ومضوا في دعوتهم بإصرار ويقين بنصر الله لهم [1].

المستفاد من المفاوضات التي جرت بين عتبة بن ربيعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم:

١- لم يخض صلى الله عليه وسلم معركة جانبية حول العروض المغرية، وغضبه الشخصي لهذا الاتهام، إنما ترك ذلك لهدف واحد أبعد صلى الله عليه وسلم، وترك عتبة يعرض كل ما عنده، وبلغ من أدبه صلى الله عليه وسلم أن قال: « أفرغت يا ابا الوليد؟» فقال: نعم [2].

٢- كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاسماً، إن اختياره لهذه الآيات لدليل على حكمته، وقد تناولت الآيات الكريمة قضايا رئيسية كان منها: إن هذا القرآن تنزيل من الله، بيان موقف الكافرين وإعراضهم، بيان مهمة الرسول، وأنه بشر، بيان أن الخالق واحد هو الله، وأنه خالق السماوات والأرض، بيان تكذيب الأمم السابقة وما أصابها، وإنذار قريش صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود[3].

٣- خطورة المال، والجاه والنساء على الدعاة، فكم سقط من الدعاة على الطريق تحت بريق المال وكم عرضت الآلاف من الأموال على الدعاة ليكفوا عن دعوتهم، والذين ثبتوا أمام إغراء المال هم المقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم، وخطورة الجاه واضحة؛ لأن الشيطان في هذا المجال يزين ويغوي بطرق أكبر وأمكر وأفجر. والداعية الرباني هو الذي يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في حركته وأقواله وأفعاله، ولا ينسى الهدف الذي عاش له ويموت من أجله: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [4]، وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم: « ما تركت فتنة على أمتي أضر على الرجال من النساء »[5] سواء كانت زوجة تثبط الهمة عن الدعوة والجهاد، أو تسليط بعض

---

[1] المصدر السابق ٢/٥٤.

[2] الغضبان، منير: التحالف السياسي في الإسلام، ص٣٣.

[3] الشامي، صالح أحمد: من معين السيرة، ص٧٥.

[4] سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢ــــ ١٦٣.

[5] روى الامام احمد في المسند/ ١١١٦٩: " إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ "، قال الارناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

و٢١٨٢٩: " مَا تَرَكْتُ فِي النَّاسِ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ "، قال الارناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- روى ابن حبان في صحيحه/٥٩٣٦: (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ على الرجال من النساء). و٥٩٣٩: (مَا تركتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَخْوَفَ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ). وصححهما الالباني في التعليقات الحسان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفاجرات عليه ليسقطنه في شباكهن، أو في تهيئة أجواء البغي والإثم والمجون ليرتادها خطوة بعد خطوة، أياً كانت، فإنها فتنة عظيمة في الدين[١].

٤- تأثر عتبة بموقف النبي صلى الله عليه وسلم، وكان هذا التأثير واضحاً لدرجة أن أصحابه أقسموا على ذلك التأثير قبل أن يخبرهم، فبعد أن كان العدو ينوي القضاء على الدعوة، إذا به يدعو لعكس ذلك، فيطلب من قريش أن تخلي بين محمد صلى الله عليه وسلم وما يريد [٢].

٥- استمع الصحابة لما حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عتبة، وكيف رفض حبيبهم صلى الله عليه وسلم كل عروضه المغرية، فكان ذلك درساً تربوياً خالط أحشاءهم، تعلموا منه الثبات على المبدأ، والتمسك بالعقيدة، ووضع المغريات تحت أقدام الدعاة [٣].

٦- تعلم الصحابة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الحلم ورحابة الصدر، فقد استمع صلى الله عليه وسلم إلى ترهات عتبة بن ربيعة ونيله منه وقوله عنه: « إن في قريش ساحراً »، و « إن في قريش كاهناً »،« ما رأينا سخلة اشأم على قومك منك »، « إن كان رِئِّي من الجن » فقد اعرض عنه صلى الله عليه وسلم وأغض عن هذا السباب بحيث لا يصرفه ذلك عن دعوته وتبليغه إياها لسيد بني عبد شمس، فقد كانت كل كلمة تصدر من سيد الخلق صلى الله عليه وسلم مبدأ يحتذى، وكل تصرف ديناً يتبع، وكل إغضاء خلقاً يتأسى به [٤].

المستفاد من هجرة المسلمين إلى الحبشة:

١- إن ثبات المؤمنين على عقيدتهم، دليل على صدق إيمانهم، وإخلاصهم في معتقداتهم، وسمو نفوسهم وأرواحهم[٥].

٢- شفقة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على أصحابه ورحمته بهم، وحرصه الشديد للبحث عما فيه أمنهم وراحتهم،، وهذه تربية نبوية لقيادات المسلمين في كل عصر، أن تخطط بحكمة وبعد نظر لحماية الدعوة والدعاة، وتبحث عن الأرض الآمنة التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة، ومركزًا من مراكز انطلاقها فيما لو

---

[١] الغضبان، منير محمد: فقه السيرة النبوية، ص١٦٩.

[٢] أحمد، إبراهيم علي محمد: في السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، ص٨٧.

[٣] الصلابي: السيرة النبوية١/١٧٢.

[٤] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/٣٠٤.

[٥] السباعي، مصطفى: السيرة النبوية، ص٥٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعرض المركز الرئيسي للخطر[1].

٣- إن وجود ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر، وصهره عثمان، وابنته رقية رضي الله عنهم جميعًا، في مقدمة المهاجرين له دلالة عميقة تشير إلى أن الأخطار لا بد أن يتجشمها المقربون إلى القائد، وأهله ورحمه[2].

٤- إن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم الهجرة إلى الحبشة يشير إلى نقطة إستراتيجية هامة، تمثلت في معرفة الرسول بما حوله من الدول والممالك، فكان يعلم طيبها من خبيثها، وعادلها من ظالمها، الأمر الذي ساعد على اختيار دار آمنة لهجرة أصحابه، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال قائد الدعوة الذي لا بد أن يكون ملمًّا بما يجري حوله، مطلعًا على أحوال وأوضاع الأمم والحكومات[3].

٥- يظهر الحس الأمني عند الرعيل الأول، في هجرتهم الأولى، وكيفية الخروج، فيتمثل في كونه تم تسللاً وخفية حتى لا تفطن له قريش فتحبطه كما أنه تم على نطاق ضيق لم يزد على ستة عشر فردًا، فهذا العدد لا يلفت النظر في حالة تسللهم فردًا أو فردين، وفي ذات الوقت يساعد على السير بسرعة، وهذا ما يتطلبه الموقف فالركب يتوقع المطاردة والملاحقة في أي لحظة [4].

٦- لم ترض قريش بخروج المسلمين إلى الحبشة وشعرت بالخطر الذي يهدد مصالحها في المستقبل، فربما تكبر الجالية هناك وتصبح قوة خطرة، ولذلك جد المشركون وشرعوا في الأخذ بالأسباب لإعادة المهاجرين، وبدأت قريش تلاحق المهاجرين؛ لكي تنزع هذا الموقع الجديد منهم في تخطيط محكم ذكي، فالهدايا إلى النجاشي والهدايا إلى بطارقته ووضعت الخطة داخل مكة، وكيف توزع الهدايا، وما نوعية الكلام الذي يرافق الهدايا، وصفات السفراء، فعمرو من أصدقاء النجاشي ومعروف بالدهاء! وما أحوجنا إلى ألا نستصغر عدونا، وألا ننام عن مخططاته، وأن نعطيه حجمه الحقيقي، وندرس تحركاته، لنستعد لمواجهة مخططاته الماكرة[5].

٧- اجتمع الصحابة حين جاءهم رسول النجاشي وطلب منهم الحضور، وتدارسوا الموقف، وهكذا كان أمر المسلمين شورى بينهم، وكل أمر يتم عن طريق الشورى هو أدعى إلى نجاحه؛ لأنه يضم خلاصة عقول كثيرة، وتبدو مظاهر السمو التربوي في كون الصحابة لم يختلفوا بل أجمعوا على رأي واحد، ألا وهو أن يعرض الإسلام كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كائنًا في ذلك ما هو كائن، وعزموا على عرض الإسلام

---

[1] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/٣٣٣.

[2] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/٣٣٣.

[3] أحمد، إبراهيم علي محمد: في السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، ص١٠١.

[4] الصلابي: السيرة النبوية ١/٢٠٣.

[5] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/٣١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعزة، وإن كان في ذلك هلاكهم[1].

٨- كان وعي القيادة النبوية على مستوى الأحداث؛ ولذلك وضع جعفر بن أبي طالب على إمارة المسلمين في الهجرة، وتم اختياره من قبل المسلمين المهاجرين ليتحدث باسمهم بين يدي النجاشي، وليتمكن من مواجهة داهية العرب عمرو بن العاص، وقد امتازت شخصية جعفر بعدة أمور جعلتها تتقدم لسد هذه الثغرة العظيمة منها:

* جعفر بن أبي طالب من ألصق الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عاش معه في بيت واحد، فهو أخبر الناس بقائد الدعوة، وسيد الأمة من بين كل المهاجرين إلى الحبشة.

* وهذا الموقف بين يدي النجاشي يحتاج إلى بلاغة وفصاحة، وبنو هاشم قمة قريش نسبًا وفضلاً، وجعفر في الذؤابة من بني هاشم، والله تعالى قد اختار هاشمًا من كنانة، واختار نبيه من بني هاشم، فهم أفصح الناس لسانًا وأوسطهم نسبًا.

* وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يجعل النجاشي أكثر اطمئنانًا وثقة بما يعرض عن ابن عمه[2].

* خلق جعفر المقتبس من مشكاة النبوة، وجمال خلقه المنحدر من أصلاب بني هاشم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي» فالسفير بين يدي النجاشي كان قدوة لسفراء المسلمين على مر الزمان، وكر العصور، فقد اتصف بسمات السفراء المسلمين، كالإسلام والانتماء إليه، والفصاحة، العلم، حسن الخلق، الصبر، الشجاعة، الحكمة، سعة الحيلة، المظهر الجذاب[3].

٩- كان عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو يمثل في تلك المرحلة عداوة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على مستوى كبير من الذكاء والدهاء والمكر، وكان قبل دخول جعفر وحديثه قد شحن كل ما لديه من حجة، وألقى بها بين يدي النجاشي من خلال النقاط الآتية:

* تحدث عن بلبلة جو مكة وفساد ذات بينها من خلال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو سفير مكة وممثلها بين يدي النجاشي، فكلامه مصدق لا يعتريه الشك، وهو عند النجاشي موضع ثقة.

* تحدث عن خطورة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم وربما سيزلزلون الأرض تحت قدمي النجاشي، كما أفسدوا جوّ مكة، ولولا حب قريش للنجاشي وصداقتها معه، ما تعنوا هذا العناء لنصحه «وأنت لنا عيبة

---

[1] الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٢/٩٢.

[2] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية١/٣٣٥.

[3] خطاب، محمود شيت: سفراء النبي صلى الله عليه وسلم ٢/٣١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صدق، تأتي إلى عشيرتنا بالمعروف، ويأمن تاجرنا عندك» فلا أقل من رد المعروف بمثله، ولا أقل من وفاء حسن الجوار والعلاقة بين مكة والحبشة من تحذيره من هذه الفتنة المخيفة.

* وأخطر ما في أمرهم، هو خروجهم على عقيدة النجاشي وكفرهم بها «فهم لا يشهدون أن عيسى ابن مريم إله، فليسوا على دين قومهم وليسوا على دينك» فهم مبتدعة دعاة فتنة.

* ودليل استصغارهم لشأن النجاشي، واستخفافهم به أن كل الناس يسجدون له لكنهم لا يفعلون ذلك، فكيف يتم إيواؤهم عندك وهو عودة إلى إثارة الرعب في نفسه، من عدم احترام الدعاة له حين يستخفون بملكه، ولا يسجدون له، فكان على جعفر أن يفند كل الاتهامات الباطلة التي ألصقها سفير قريش بالمهاجرين[1].

١٠- كان رد جعفر على أسئلة النجاشي في غاية الذكاء، وقمة المهارة السياسية، والإعلامية والدعوية، والعقدية، فقام بالتالي:

* عدَّد عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تنفر السامع، وقصَدَ بذلك تشويه صورة قريش في عين النجاشي، وركز على الصفات الذميمة التي لا تنتزع إلا بنبوة.

* عرض شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المجتمع الآسن المليء بالرذائل، وكيف كان بعيدًا عن النقائص كلها، ومعروفًا بنسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فهو المؤهل للرسالة.

* أبرز جعفر محاسن الإسلام وأخلاقه التي تتفق مع أخلاقيات دعوات الأنبياء، كنبذ عبادة الأوثان، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وإقام الصلاة، وكون النجاشي وبطارقته موغلين في النصرانية فهم يدركون أن هذه رسالات الأنبياء، التي بعثوا بها من لدن موسى، وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

* فضح ما فعلته قريش بهم؛ لأنهم رفضوا عبادة الأوثان، وآمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتخلقوا بخلقه.

* أحسن الثناء على النجاشي بما هو أهله، بأنه لا يُظلم عنده أحد، وأنه يقيم العدل في قومه.

* وأوضح أنهم اختاروه كهفًا من دون الناس، فرارًا من ظلم هؤلاء الذين يريدون تعذيبهم؛ وبهذه الخطوات البينة الواضحة دحر بها بلاغة عمرو وفصاحته، واستأثر بلب النجاشي وعقله، وكذلك استأثر بلب وعقل البطارقة، والقسيسين الحاضرين.

---

[1] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/ ٣٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* وعندما طلب الملك النجاشي شيئًا مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم جاء صدر سورة مريم في غاية الإحكام والروعة والتأثير، حتى بكى النجاشي، وأساقفته، وبللوا لحاهم وصحفهم من الدموع، واختيار جعفر لسورة مريم، يظهر بوضوح حكمة وذكاء مندوب المهاجرين، فسورة مريم تتحدث عن مريم وعيسى عليهما السلام.

* إن عبقرية جعفر رضي الله عنه في حسن اختيار الموضوع، والزمن المناسب، والقلب المتفتح، والشحنة العاطفية، أدت إلى أن يربح الملك إلى جانبه[1].

* كان رده في قضية عيسى عليه السلام دليلاً على الحكمة والذكاء النادر، فرد بأنهم لا يألهون عيسى ابن مريم، ولكنهم كذلك لا يخوضون في عرض مريم عليها السلام، كما يخوض الكاذبون، بل عيسى ابن مريم كلمته وروحه ألقاها إلى مريم البتول العذراء الطاهرة، وليس عند النجاشي زيادة عما قال جعفر، ولا مقدار هذا العود[2].

* انتهى الأمر بأن أعلن النجاشي صدق القوم، وأيقن بأن هؤلاء صديقون، وعزم على أن يكون في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يأتيه الناموس كناموس موسى، وأن يتقرب إلى الله بحماية أصحابه، وأكد لعمرو أنه لا يضيره تجارة قريش، ولا مال قريش، ولا جاهها، ولو قطعت علاقتها معه[3].

١٢- وبذلك انهزمت قريش في هذه الجبهة سياسيًّا ومعنويًّا، وإعلاميًّا أمام مقاومة المسلمين الموفقة وخطواتهم، وأساليبهم الرصينة.

١٣- كان موقف جعفر وإخوانه مثالاً تطبيقيًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رَضَا النّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النّاسِ» [4] فهؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم- قد التمسوا رضا الله عز وجل، مع أن الظاهر في الأمر أنه يترتب عليه في هذه القضية سخط أولئك النصارى وهم الذين لهم الهيمنة عليهم، فكانت النتيجة أن الله عز وجل سخر لهم ملك الحبشة حتى نطق بالحق الموافق لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، مع مخالفته الصريحة لمعتقدهم المنحرف، الذي قام عليه ملكهم وما يغلب على الظن من ثورة النصارى المتعصبين عليه[5].

---

[1] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/٣٣٧.

[2] المصدر السابق ١/٣٤٢.

[3] المصدر نفسه.

[4] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ١٣/٩٢،حديث(٢٤٥٩).

[5] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٢/١٠٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من عداوة أبو لهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

أبو لهب وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يكتف بعدم استجابته لدعوة الإسلام، وإنما اندفع بحماس في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم تمنعه من ذلك العصبية القبلية التي كانت تغشى نفوس الناس، بل راح يدعو الناس ويحرضهم ضد دعوة الإسلام، ويتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب، وهو يعلم أن ابن أخيه لم يكذب قط لا في جاهلية ولا في إسلام، فعلى المسلمين أن يفقهوا ذلك، فإذا رأوا من قريب لهم عداوة للدعوة وصداً للناس عنها فلا يستغربوا من ذلك ولا يتوقعوا أن يكون قريبهم مدافعاً عنهم، وعليهم أن يحذروه، كما أن على المسلمين أن يعلموا أن العقيدة وإن كانت باطلة فهي إذا تغلغلت في النفوس فإنها تحمل صاحبها على تجاوز كثير من الروابط والاعتبارات، وقد تحمله على ان يقاتل الدعاة ويعرض نفسه للموت كما حصل لكفار قريش في محاربتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة [1].

المستفاد من حادثة الإسراء والمعراج:

١- بعد كل محنة منحة، وقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحن عظيمة، فجاءت حادثة الإسراء والمعراج على قدر من رب العالمين، فيعرج به من دون الخلائق جميعًا، ويكرمه على صبره وجهاده، ويلتقي به مباشرة دون رسول ولا حجاب، ويطلعه على عوالم الغيب دون الخلق كافة، ويجمعه مع إخوانه من الرسل في صعيدٍ واحد، فيكون الإمام والقدوة لهم وهو خاتمهم وآخرهم[2].

٢- إن شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم العالية تتجسد في مواجهته للمشركين بأمر تنكره عقولهم ولا تدركه في أول الأمر تصوراتهم، وهي:

* وصف النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس، وقد أقروا بصدق الوصف ومطابقته للواقع الذي يعرفونه.

* إخباره عن العير التي بالروحاء، والبعير التي أضلوه، وما قام به من شرب الماء الذي في القدح.

* إخباره عن العير الثانية التي نفرت فيها الإبل ووصفه الدقيق لأحد جمالهم.

* إخباره عن العير الثالثة التي بالأبواء ووصفه الجمل الذي يقدمها، وإخباره بأنها تطلع ذلك الوقت من ثنية التنعيم، وقد تأكد المشركون فوجدوا أن ما أخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كان صحيحًا فهذه الأدلة الظاهرة كانت مفحمة لهم ولا يستطيعون معها أن يتهموه بالكذب، كانت هذه الرحلة العظيمة، تربية ربانية رفيعة المستوى، وأصبح صلى الله عليه وسلم يرى الأرض كلها بما فيها من مخلوقات نقطة صغيرة في ذلك

---

[1] زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن ٢/٨٤.

[2] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/٤٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكون الفسيح، ثم ما مقام كفار مكة في هذه النقطة؟ إنهم لا يمثلون إلا جزءًا يسيرًا جدًا من هذا الكون، فما الذي سيفعلونه تجاه من اصطفاه الله تعالى من خلقه، وخصه بتلك الرحلة العلية الميمونة وجمعه بالملائكة والأنبياء عليهم السلام، وأراه السماوات السبع وسدرة المنتهى والبيت المعمور وكلمه جلا وعلا[1]؟

٣- إن شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن حين خير بينه وبين الخمر، وبشارة جبريل عليه الصلاة والسلام: هديت للفطرة، تؤكد أن هذا الإسلام دين الفطرة البشرية التي ينسجم معها، فالذي خلق الفطرة البشرية خلق لها هذا الدين الذي يلبي نوازعها واحتياجاتها، ويحقق طموحاتها ويكبح جماحها[2].

٤- يظهر إيمان الصديق رضي الله عنه القوي في هذا الحدث الجلل، فعندما أخبره الكفار قال بلسان الواثق، لئن كان قال ذلك لقد صدق، ثم قال: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، وبهذا استحق لقب الصديق [3].

٥- إن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء دليل على أنهم سلموا له بالقيادة والريادة، وأن شريعة الإسلام نسخت الشرائع السابقة، وأنه وسع أتباع هؤلاء الأنبياء ما وسع أنبياءَهم أن يسلموا بالقيادة لهذا الرسول ولرسالته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها[4].

٦- إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مُقدمًا على مرحلة جديدة، مرحلة الهجرة، والانطلاق لبناء الدولة، يريد الله تعالى لِلَّبِنَات الأولى في البناء أن تكون سليمة قوية متراصة متماسكة، فجعل الله هذا الاختبار والتمحيص، ليخلص الصف من الضعاف المترددين [5].

٧- إن الربط بين المسجد الأقصى، والمسجد الحرام وراءه حكم ودلالات وفوائد منها:

* أهمية المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين، إذ أصبح مسرى رسولهم صلى الله عليه وسلم، ومعراجه إلى السماوات العلا.

* الربط يشعر المسلمين بمسؤوليتهم نحو المسجد الأقصى بمسئولية تحرير المسجد الأقصى من أوضار الشرك وعقيدة التثليث، كما هي أيضًا مسئوليتهم تحرير المسجد الحرام من أوضار الشرك وعبادة الأصنام.

---

[1] الحميدي، عبد العزيز: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٣/٤١.

[2] الصلابي: السيرة النبوية١/٢٢٨.

[3] الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٣/٤٣.

[4] الصلابي: السيرة النبوية١/٢٢٨.

[5] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية١/٤٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* الربط يشعر بأن التهديد للمسجد الأقصى، هو تهديد للمسجد الحرام وأهله[1].

٨- أهمية الصلاة وعظيم منزلتها: وقد ثبت في السنة النبوية أن الصلاة فرضت على الأمة الإسلامية في ليلة عروجه صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفي هذا كما قال ابن كثير: «اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها» [2].

المستفاد من الابتلاء الذي تعرض له صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الابتلاء - بصفة عامة- سنة الله في خلقه، وهذا واضح في تقريرات القرآن الكريم، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [3]، وقال سبحانه: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [4]، وقال جل شأنه: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [5].

ولقد جرت سنة الله تعالى ألا يُمكِّن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، وإلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي سنة جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله تعالى أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم، ليمحص إيمانهم ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك.

للابتلاء حكم كثيرة من أهمها:

١- تصفية الصفوف: جعل الله الابتلاء وسيلة لتصفية نفوس الناس، ومعرفة المحق منهم والمبطل؛ وذلك لأن المرء قد لا يُكشف في الرخاء، لكنه تكشفه الشدة، قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [6].

٢- الكشف عن خبايا النفوس: فالله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا

---

[1] الصلابي: السيرة النبوية ١/٢٢٨.

[2] تفسير ابن كثير ٥/٤٣.

[3] سورة الانعام: الآية ١٦٥.

[4] سورة الكهف: الآية ٧.

[5] سورة الانسان: الآية ٢.

[6] سورة العنكبوت: الآية ٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يأخذوا أحدًا إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه»[1].

٣- الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة: فالنفس تصهرها الشدائد، فتنفي عنها الخبث وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامدًا إلا أصلبها عودًا وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار».

٤- معرفة قدر الدعوة: فلكي تعز هذه الدعوة عليهم، وتغلو بقدر ما يصيبهم في سبيلها من غث وبلاء، وبقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغالٍ، فلا يفرطوا فيها بعد ذلك مهما كانت الأحوال».

٥- جذب بعض العناصر القوية إليها: فأمام صمود المسلمين وتضحياتهم، تتوق النفوس القوية إلى هذه العقيدة، ومن خلال الصلابة الإيمانية تكبر عند هذه الشخصيات الدعوة وحاملوها، فيسارعون إلى الإسلام دون تردد، وأعظم الشخصيات التي يعتز بها الإسلام دخلت إلى هذا الدين من خلال هذا الطريق.

٦- رفع المنزلة والدرجة عند الله، وتكفير السيئات: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة» فقد يكون للعبد درجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمله فيبتليه الله تعالى حتى يرفعه إليها، كما أن الابتلاء طريق لتكفير سيئات المسلم.

المستفاد من حادثة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في مسار الدعوة الاسلامية:

١- مكر خصوم الدعوة بالداعية: من مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة استخدام سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة، ولذلك رصدوا مائة ناقة لمن يأتي بأحد المهاجرين حياً أو ميتاً، فتحرك الطامعون ومنهم سراقة، الذي عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة مادياً بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمِّي الطريق عن الطامعين الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب، وهكذا يرد الله عن أوليائه والدعاة[2]، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [3].

٢- دقة الأخذ بالأسباب: دقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، ومن مقدماتها على ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائماً، وأن التخطيط جزء من

---

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن٦/٣٨٧.

[2] البر، عبد الرحمن: الهجرة النبوية المباركة،ص٢٠٠.

[3] سورة الأنفال: الآية ٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السنة النبوية وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم [1]، فعندما حان وقت الهجرة للنبي صلى الله عليه وسلم وشرع النبي صلى الله عليه وسلم في التنفيذ نلاحظ الآتي:

* وجود التنظيم الدقيق للهجرة حتى نجحت، رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات، وذلك أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروساً دراسة وافية، فمثلا:

أ- جاء صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر في وقت شديد الحر- الوقت الذي لا يخرج فيه أحد- بل من عادته لم يكن يأتي فيه، لماذا؟ حتى لا يراه أحد.

ب- إخفاء شخصيته صلى الله عليه وسلم أثناء مجيئه للصديق، وجاء إلى بيت الصديق متلثماً، لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه المتلثم[2].

ج- أمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يُخرِج مَنْ عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

د - وكان الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر[3].

هـ- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية ومسارب الصحراء، بالرغم من كون ذلك الخبير مشركاً ولكنه على خلق ورزانة، وفيه دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يحجم عن الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها[4].

* انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة في شؤون الهجرة، ويلاحظ أن هذه الشخصيات كلها تترابط برباط القرابة، أو برباط العمل الواحد، مما يجعل من هؤلاء الأفراد وحدة متعاونة على تحقيق الهدف الكبير.

* وضع كل فرد من أفراد هذه الأسرة في عمله المناسب، الذي يجيد القيام به على أحسن وجه ليكون أقدر على أدائه والنهوض بتبعاته.

ونرى احتياجات الرحلة قد دبرت تدبيرا محكما:

أ- علي: رضي الله عنه ينام في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليخدع القوم، ويُسلَّم الودائع ويلحق بالرسول.

ب- وعبد الله بن أبي بكر: صاحب المخابرات الصادق، وكاشف تحركات العدو.

---

[1] حوى، سعيد: الأساس في السنة ١/٣٥٧.

[2] أحمد، إبراهيم علي محمد: في السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، ص١٤١.

[3] الشامي: من معين السيرة، ص١٤٧.

[4] جزولي، أحزمي سامعون: الهجرة في القرآن الكريم، ص٣٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جـــ- وأسماء ذات النطاقين: حاملة التموين من مكة إلى الغار، وسط جنون المشركين بحثاً عن محمد صلى الله عليه وسلم ليقتلوه.

د- وعامر بن فهيرة: الراعي البسيط الذي قدم اللحم واللبن إلى صاحبي الغار، وبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه، كيلا يتفرسها القوم، لقد كان هذا الراعي يقوم بدور الإمداد والتموين.

هـــ- وعبد الله بن أريقط: دليل الهجرة الأمين، وخبير الصحراء البصير، ينتظر في يقظة إشارة البدء من الرسول، ليأخذ الركب طريقه من الغار إلى يثرب.

فهذا تدبير للأمور على نحو رائع دقيق، واحتياط للظروف بأسلوب حكيم، ووضع لكل شخص من أشخاص الهجرة في مكانه المناسب، وسد لجميع الثغرات، وتغطية بديعة لكل مطالب الرحلة، واقتصار على العدد اللازم من الأشخاص من غير زيادة ولا إسراف.

لقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسباب المعقولة أخذًا قويًّا حسب استطاعته وقدرته.. ومن ثم باتت عناية الله متوقعة[1].

٣- الإيمان بالمعجزات الحسية:

وفي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقعت معجزات حسية، وهي دلائل ملموسة على حفظ الله ورعايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أم معبد، وما جرى له مع سراقة ووعده إياه بأن يلبس سواري كسرى [2]، فعلى الدعاة ألا يتنصلوا من هذه الخوارق، بل

---

[1] سبع، توفيق محمد: أضواء على الهجرة، ص٣٩٣ـــ ٣٩٧.

[2] مما اشتهر في السيرة أنه - صلى الله عليه وسلم - لما هاجر وصاحبه الصديق - رضي الله عنه - ولحق بهما سراقة بن مالك أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لسراقة: "كيف بك إذا لبستَ سواريْ كسرى"؟ وقد ذكر ذلك الحافظان ابن عبد البر وابن حجر - رحمهما الله- في ترجمتهما لسراقة - رضي الله عنه - فقالا: "روى سفيان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لسراقة:.. وذكره: "قال فلما أُتي عمر - رضي الله عنه - بسواري كسرى ومنطقه وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما،... وقال له: ارفع يدك، فقال: الله أكبر والحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي".

وهذا مرسل الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام المشهورة وهو على جلالته وعلمه وفضله إلا أن مراسيله ليست بحجة، وهو قول محمَّد بن سيرين وابن سعد والإمام أحمد، وخالفهم الإمامان أبو زرعة الرازي ويحي القطان".

قال العلائي -رحمه الله- في (جامع التحصيل): "والظاهر أن قول الأكثر أولى بالاعتماد، وقال أحمد بن حنبل: ليس في المرسلات شيء أضعف من مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح فإنهما كانا يأخذان من كل ضرب".

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة من طريق علي بن زيد -وهو ضعيف- عن الحسن، وليس فيه: "كيف بك إذا لبست سواري كسرى ".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يذكروها ما دامت ثابتة بالسنة النبوية على أن ينبهوا الناس على أن هذه الخوارق هي من جملة دلائل نبوته ورسالته عليه السلام[1].

٤- جواز الاستعانة بالكافر المأمون:

ويجوز للدعاة أن يستعينوا بمن لا يؤمن بدعوتهم، ما داموا يثقون بهم ويأتمنونهم على ما يستعينون به معهم، فقد رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر استأجرا مشركاً ليدلهم على طريق الهجرة ودفعا إليه راحلتيهما وواعده عند غار ثور، وهذه أمور خطيرة أطلعاه عليها، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وثقا به وأمناه، مما يدل على أن الكافر أو العاصي أو غير المنتسب إلى الدعاة، قد يوجد عند هؤلاء ما يستدعي وثوق الدعاة بهم، كأن تربطهم رابطة القرابة، أو المعرفة القديمة أو الجوار، أو عمل معروف، كان قد قدمه الداعية لهم، أو لأن هؤلاء عندهم نوع جيد من الأخلاق الأساسية، مثل الأمانة وحب عمل الخير إلى غير ذلك من الأسباب، والمسألة تقديرية يترك تقديرها إلى فطنة الداعي ومعرفته بالشخص[2].

٥- أمانات المشركين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:

في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب، الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً فكانوا لا يضعون حوائجهم ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم[3]، وصدق الله العظيم: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ} [4].

وفي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة رغم هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، رغم ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها،

أما أصل القصة وهي لحاق سراقة بالرسول - صلى الله عليه وسلم - والصديق فهي ثابتة رواها البخاري، ومسلم. إنظر: ما شاع و لم يثبت في السيرة النبوية، ص٨٥.

[1] الشامي: من معين السيرة، ص١٤٨.

[2] زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن ٢/١٠٨.

[3] البوطي: فقه السيرة، ص١٩٣.

[4] سورة الأنعام: الآية ٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلا عن غيره[1].

٦- الراحلة بالثمن:

لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركب الراحلة حتى أخذها بثمنها من أبي بكر رضي الله عنه، واستقر الثمن ديناً بذمته، وهذا درس واضح بأن حملة الدعوة ما ينبغي أن يكونوا عالة على أحد في وقت من الأوقات، فهم مصدر العطاء في كل شيء. إن يدهم إن لم تكن العليا، فلن تكون السفلى، وهكذا يصر عليه السلام أن يأخذها بالثمن، وسلوكه ذلك هو الترجمة الحقة لقوله تعالى: وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ [2].

٧- الجندية الرفيعة والبكاء من الفرح:

تظهر أثر التربية النبوية في جندية أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأبو بكر رضي الله عنه عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً» فقد بدأ في الإعداد والتخطيط للهجرة «فابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك، وفي رواية البخاري، «وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر- وهو الخبط- أربعة أشهر»، لقد كان يدرك بثاقب بصره رضي الله عنه، وهو الذي تربى ليكون قائدا، أن لحظة الهجرة صعبة قد تأتي فجأة؛ ولذلك هيأ وسيلة الهجرة، ورتب تموينها، وسخر أسرته لخدمة النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج والهجرة، بكى من شدة الفرح، وتقول عائشة رضي الله عنها في هذا الشأن: «فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ»، إنها قمة الفرح البشري أن يتحول الفرح إلى بكاء.

فالصديق رضي الله عنه يعلم أن معنى هذه الصحبة، أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين بضعة عشرة يوماً على الأقل وهو الذي سيقدم حياته لسيده وقائده وخليله المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأي فوز في هذا الوجود يفوق هذا الفوز: أن يتفرد الصديق وحده من دون أهل الأرض، ومن دون الصحب جميعاً برفقة سيد الخلق وصحبته كل هذه المدة[3] وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر وهو في الغار من أن يراهما المشركون، ليكون الصديق مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق، مع قائده الأمين، حين يحدق به الخطر من خوف وإشفاق على حياته، فما كان أبو بكر ساعتئذ بالذي يخشى على نفسه الموت، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الهجرة الخطيرة، وهو يعلم أن أقل جزائه القتل إن

---

[1] الشامي: من معين السيرة، ص١٤٩.

[2] سوة الشعراء: الآية ١٠٩.

[3] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية٢/١٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمسكه المشركون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه كان يخشى على حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول صلى الله عليه وسلم في قبضة المشركين[1]، ويظهر الحس الأمني الرفيع للصديق في هجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة منها، حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هذا هادٍ يهديني السبيل، فظن السائل بأن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير، وهذا يدل على حسن استخدام أبي بكر للمعاريض، فرارا من الحرج أو الكذب[2]،؛ لأن الهجرة كانت سراً وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك[3]، وفي موقف علي بن أبي طالب مثال للجندي الصادق المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة، وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله علي رضي الله عنه ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي رضي الله عنه، ولكن علياً رضي الله عنه لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الأمة وقائد الدعوة[4].

٨- فن قيادة الأرواح، وفن التعامل مع النفوس:

يظهر الحب العميق الذي سيطر على قلب أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، كما يظهر حب سائر الصحابة أجمعين في سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم. وهذا الحب الرباني كان نابعاً من القلب، وبإخلاص، لم يكن حب نفاق، أو نابعاً من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع، ومن أسباب هذا الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهر لينام، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، كان يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، فمن سلك سنن الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته في حياته الخاصة والعامة، وشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم وكان عمله لوجه الله أصابه شيء من هذا الحب إن كان من الزعماء أو القادة أو المسؤولين في أمة الإسلام[5].

إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء وتستطيع أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود، وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان صلى الله عليه وسلم رحيماً وشفوقاً بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه،

---

[1] السباعي، مصطفى: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٧١.

[2] البر، عبد الرحمن: الهجرة النبوية المباركة، ص٢٠٤.

[3] ابو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص٢٥٤.

[4] السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٦٨.

[5] ابو فارس، محمد عبد القادر: في ظلال السيرة النبوية، ص٥٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و لم يبقَ إلا المستضعفون والمفتونون ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة[1].

٩- الداعي إلى الله ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله:

إن المسلم الذي تغلغلت الدعوة في شغاف قلبه لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس إلى دين الله تعالى، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة، والأمن مفقود بل ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى، هذا نبي الله تعالى يوسف -عليه السلام- حينما زج به في السجن ظلماً، واجتمع بالسجناء في السجن، فلم يندب حظه، و لم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق قال تعالى: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[2].

وقد أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين في دعوته إلى الله؛ ولذلك نجده صلى الله عليه وسلم في هجرته من مكة إلى المدينة، وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا المجرمين منهم بالأموال الوفيرة، ليأتوا برأسه حياً أو ميتاً، ومع هذا فلم ينس مهمته ورسالته، فقد لقي صلى الله عليه وسلم في طريقه رجلاً يقال له بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه في ركب من قومه فدعاهم إلى الإسلام فآمنوا وأسلموا[3].

١٠- معية الله لأوليائه المؤمنين ونصرته لهم، ويتجلى هذا في حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار من أن تناله أيدي المشركين ثم نجاته من سراقة بن مالك.

١١- الثقة المطلقة بالله وبنصره وتأييده، ويتجلى هذا الدرس في قوله صلى الله عليه وسلم: ((ما ظنك باثنين الله ثالثهما))، ثم في عدم تلفته عندما لحقه سراقة، وكأن الأمر لا يعنيه صلى الله عليه وسلم، ثم في إعطائه صلى الله عليه وسلم سراقة كتاب أمان، وهو الذي يخرج من بلده مهاجراً، لكنه كان يرى نصر الله له ويرقبه ويتيقنه كما يتيقن الشمس في رابعة النهار.

---

[1] البر، عبد الرحمن: الهجرة النبوية المباركة، ص٢٠٥.

[2] سورة يوسف: الآيتان ٣٩ــ ٤٠.

[3] ابو فارس، محمد عبد القادر: في ظلال السيرة النبوية، ص٥٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الثاني

النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة

الفصل الاول

دعائم دولة الاسلام في المدينة

تمهيد:

تُعَدُّ الهِجْرةُ النبويَّة مِنْ مَكَّةَ إلى المَدينَةِ حَدثاً مِفْصَلياً فِي تَارِيخِ الدَعْوةِ الاسْلامِيةِ، إذْ أَنَّها فَصَلتْ بَينَ عَهْدَينِ تَميَّز كُلٌّ مِنْهُمَا بِمُمَيزاتٍ خَاصَةٍ.

وَلَقدْ اِبْتَدأتْ الرِحْلَة المَديْنية فِي حِياةِ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم بوصولِه إلى قُبَاء، وَكانَتْ الهِجْرَة تَعْني نَشْأَة أَوَل دَارٍ لِلإسْلام، وَهِي إيْذانٍ بِظُهورِ الدَوْلَة الإسْلامِيَة، لِذَا شَرعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ دُخولِه المَدينَة بِتَثْبيتِ دَعائِم الدَولَةِ الجَديدَةِ عَلَى قَواعِد مَتْينَة، وَأُسُّسْ رَاسِخَة، فَكَانتْ أُوْلَى خُطواتِه المُبارَكةِ الإهْتِمام بِبناءِ دَعائِم الأُمَة كَبناءِ المَسْجِد الأعْظَم بِالمَديْنَة، وَالمُؤاخَاة بَينَ المُهاجِرينَ والأَنْصَار عَلَى الحُبِّ فِي اللهِ، وإصْدارِ الوَثيقَة فِي المَدينَة الَّذِي يُنَظِم العَلاقَات بَينَ المُسْلِمينَ واليَهُود وَمُشْرِكي المَدينَة، وإعْداد جَيْش لِحمَايَة الدَوْلَة، والسَّعْي لِتَحْقيق أَهْدافَها، وَهَذا مَا سَنُحاوِل بَحْثَه فِي هَذا الفَصْل فِي ثَلاثَةِ مَباحِث مُسْتَقِلة وُفْق التَرتِيب التَالي:

المَبْحَث الأوَل: بناءُ المَسْجِد النَبَويِّ بِالمَدينَة.

المَبْحَث الثَانِي: المُؤاخَاة بَينَ المُهاجِرينَ والأَنْصَار.

المَبْحَث الثَالِث: الوَثْيقَة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الاول

بناء المسجد النبوي بالمدينة

كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلي حَيثُ أَدْرَكَتهُ الصلاة وَكانَ رِجالٌ مِنْ المُسلِمينَ يُقِيمونَ الصَلاةَ فِي مَبرَكِ نَاقَة النَبيِّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ بَيتِ أَبي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، وَكانَتْ الأَرْضُ لِسَهلٍ وَسهيلٍ، وَهُمَا غُلامَانِ يَتِيمانِ مِنْ بَنْي النَجارْ، وَفِيهَا نَخْلٌ لَهُمَا [1]. كَمَا كَانتْ فِيهَا بَعْضِ قُبُورِ الْمُشْرِكِينَ، وَقدْ اِشْتَرَاهَا النَبيُّ صلى الله عليه وسلم، وَتَوَلى المُسْلِمونَ تَسْوِيتَها وَقطعِ نَخيلِهَا وَنَقلِ قُبورِها وَحِجارَتَها، فَجَعلوا صُخورِهَا وَجذوعِ نَخْلِها فِي قِبْلَةَ المَسْجِدِ [2].

وَقدْ سَاهمَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم معَ المُسْلِمينَ مِنْ المُهاجِرينَ والأَنْصارِ فِي المَدينَةِ فِي بِناءِ المَسْجِدِ، وَكَانُوا فِي حَالَةٍ مِنْ السَعادَةِ الغَامِرةِ والسُرورِ العَظيمِ، وَهُمْ يَهْزُجونَ:

« اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَة... فَانْصُرْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَة » [3].

وَكَانَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم يُقَدِمُ فِي العَملِ مَنْ يُجيدَهُ، وأَوردَ البُخاري قَوْلَهُ صلى الله عليه وسلم: « قَرِّبُوا الْيَمَامِيَّ [4]مِنَ الطِّينِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُكُمْ لَهُ مَسًّا وَأَشَدُّكُمْ لَهُ سَبْكًا » [5].

وَفِي رِوايةٍ صَحيحَةٍ أُخْرَى: « دَعُوا الْحَنَفِيَّ وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطُكُمْ » [6].

وكَانَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِنَ العامِلينَ الجَيدينَ فِي بِناءِ مَسْجِدِ النَبيِّ صلى الله عليه وسلم، فَفِي حِينْ كَانَ كُلُّ واحدٍ مِنَ الصَحابةِ يَحْمِلُ لَبِنةٍ واحِدةٍ فِي كُلِ مَرةٍ، كَانَ عَمَّارُ يَحْمِلُ لَبِنتَينِ واحِدةً عَنْهُ وَأُخرَى عَنْ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم، فَأَكْرَمهُ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم بِأَنْ مَسحَ عَلَى ظَهْرِهِ مبرّكا وقال له: « يَا ابْنَ سُمَيَّةَ!

---

[1] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣/٣٢٩،حديث ١٨٦٨.

[2] صحيح البخاري: ابواب فضائل المدينة، باب حرم المدينة ٣/٢٠، حديث ١٨٦٨.

[3] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ٥/٦٧، حديث ٣٩٣٢.

[4] المقصود هو: الطلق بن علي اليمامي الحنفي..

[5] ابن حجر: فتح الباري ١/ ٥٤٣.

[6] مسند الامام احمد ٣٩/٤٦٦، حديث ٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِلنَّاسِ أَجْرٌ وَلَكَ أَجْرَانِ، وَآخِرُ زَادِكَ شَرْبَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ » [1]. وَقَدْ تَمَّ بِنَاء الْمَسْجِد أَوَل الأَمْر بِالجَرِيدِ، واسْتَغْرقَ بِناؤُه اثْنَيْ عَشَرَ يوماً [2].

وَبَعْدَ الفَرَاغِ مِنْ بِناءِ الْمَسْجِدِ النَبَويِّ بُنِيتْ بُيوتِ أَزْواجِ النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى شَاكِلَةِ بِناءِ الْمَسْجِد [3]. وَكَانتْ إِلى جَنْبِ الْمَسْجِد قَصيْرةِ البِناءِ مُتَقارِبَةٍ [4]. وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَسْجِد النَبَويِّ حِينَ بُنِيَّ مِنْبرٌ يَخْطُب النَاسُ عَلَيْهِ، وَكانَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ وَهوَ مُسْتَنِدٌ إِلى جِذْعٍ عِنْدَ مُصَلّاهُ، ثُمَّ اتَخذَ لَهُ كُرْسِياً بِدَرجَتين [5].

المستفاد من بناء المسجد:

يُعْتَبرُ الْمَسْجِد مِنْ أَهَمِ الرَكائِزِ فِي بِناءِ الْمُجْتَمعِ الاسْلامِيِّ وَيُستفادُ مِنْهُ فِي عِدَةِ أُمورٍ:

١- إِنَّهُ الْمَركزُ الَّذِي يُشْيعُ آصِرة الْمَحبَة بَينَ الْمُسْلِمينَ، وَهِيَ الَّتِي لا تَتُم إلا فِي الْمَسْجِد حَيْثُ يَتَلاقَى الْمُسْلِمونَ خَمْسَ مَرّاتٍ يَومِيًا، وَقدْ زَالتْ بَينَهُمْ فَوارِق الجَّاه والْمَال.

٢- يُشيِّعُ الْمَسْجِد رَوحَ العَدلِ والْمُساواةِ بَينَ الْمُسْلِمينَ فِي مُخْتَلَفِ شُؤونِهمْ وأَحْوالِهمْ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ نِظامِ الصَّفِ الواحِد فِي الصَّلاةِ؛ إِذْ يَقِفونَ عَلَى صَعِيدٍ مُشْتَرَكٍ مِنْ العُبودِيَة للهِ.

٣- إِنَّهُ رَمزٌ لِشُمولِيةِ الإِسْلام وَمَدْرسَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَتَشريعِيَةٌ وَمَعهَدٌ يَؤُمَّهُ طُلابُ العِلْمِ لِيَتفقَهُوا فِي الدِّينِ وَيَعودُوا إِلى أَقْوامِهِمْ دُعاةً إِلى اللهِ[6].

---

[1] البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٥٥٠.

[2] السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١/٣٧٦. ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٤٦ نقلا عن الزبير بن بكار. وتشير الرواية الأخيرة إلى أنه قد أعيد بناؤه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية ٤/ ٥٤٠، ابن سعد: الطبقات الكبرى١/ ٢٤٠.

[4] وقد بنيت في بداية الأمر حجرتان إحداهما لأم المؤمنين سودة بنت زمعة، والأخرى لأم المؤمنين عائشة بنت الصديق وهما أول بيتين بنيا، ونقل البخاري عن الحسن البصري قوله أنه دخل حجرات نساء النبي في خلافة عثمان وأنه كان يتناول سقفها بيده، ابن كثير: البداية ٤/ ٥٤٥.

[5] عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا». صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام ٤/١٩٥، حديث ٣٥٨٤.

[6] البوطي: فقه السيرة، ص ١٤٤. الصلابي: السيرة النبوية١/٤٦٦. طقوش: السيرة النبوية، ص١٢٧. عماد الدين خليل:دراسة في السيرة، ص١٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- يَكْتَسِبُ الْمُجْتَمعُ الاسْلامِيُّ مِنْ خِلالِ المَسْجِد صِفَةَ التَماسُكِ والرُسوخِ مِنْ واقِعِ الالْتِزامِ بِنظامِ الإسْلامِ وَعَقيدَتِه وَآدابه، وإنَّمَا يَنبَعُ ذَلِكَ مِنْ رُوحِ المَسْجِد وَوحْيِه.

٥- إنَّهُ مَكانٌ يَأوي إليهِ الغُرَباءُ وَابْناءُ السَبيلِ [١].

٦- إنَّهُ دائِرَةٌ سِياسِيةٌ وَعْسكَريةٌ لِتَوجيهِ عَلاقَاتِ الدَّولَةِ فِي الداخِلِ وَالخَارجِ.

٧- هُوَ مَكانٌ لاجْتِماعِ المُجاهِدينَ عِنْدَ الاسْتِنفارِ، وَتُعقَدُ فِيهِ أَلويةَ الجَيْشِ والجِهادِ والدَعْوةِ إلى اللهِ.

٨- وأسْتُعْمِلَ أَحدَ زَوايا المَسْجِد مَشْفَى يُسْتَشفَى فِيه جَرحى الجِهَاد، حَتَّى يَتَمكَّن النَبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ عِيادَتِهمْ، والنَظرِ فِي أَحْوالِهمْ والاسْتِطبابِ لَهُم، وَمُداواتِهم مِنْ غَيرِ مَشَقةٍ ولا نَصبْ تَقْدِيراً لِفَضْلِهمْ [٢].

---

[١] عرجون، محمد الصادق: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣/٣٤.

[٢] الصلابي: السيرة النبوية ١/٤٦٧. طقوش: السيرة النبوية، ص١٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

أدى تَدَفُق المُهاجرينَ إلى المَدينَةِ المُنَورةِ إلى حُصولِ العَديدِ مِنْ المُشْكلاتِ الاقْتِصادِيةِ والاجْتِماعِيةِ والصِحيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّ المُهاجرينَ كَانُوا قَدْ تَركُوا أَهليهِمْ وَمُعظَم أَمْوالَهمْ فِي مَكَّةَ، كَمَا أَنَّهمْ كَانُوا- فِي الغَالِب- خُبَراء مُتَمرسينَ فِي أَعْمالِ التِجارَة، وَلَمْ تَكنْ لَهمْ مَهارَة فِي الزِراعَةِ والصِناعَةِ اليَدوِيَّة الشَائِعَةِ فِي المَدينَةِ، وَشكّل حَاجَاتِهمْ إلى رَأسِ الْمَالِ حَاجزاً دُونَ مُمارَستِهمْ للتِجارَةِ. وَلَقدْ أَبْدى الأَنْصَار تَوَجُهاً واضِحاً نَحوَ البَذلِ والتَعاونِ معَ إخوانِهمْ المُهاجرينَ فَقدْ أَعْطوهُم الأَرْضَ والنَّخْل لِيَعْملوا بِهَا بنصْفِ ثِمارِها، وَمِنْهمْ مَنْ أَعْطَى مِثلَ ذَلِكَ مَنْيحَة دُونَ مُقابِل، وَقدَ اِسْتَغْنَوا عَنْهَا حِينَ فَتحَ اللهُ عَليهِمْ خَيبَر [1]. وَلا شَكَّ فِي أَنَّ عَمَل الأَنْصَار هَذا يَعْكِس مَدَى اهْتِمامَهم وَرِعايَتهم وَحُبهم لإخْوانِهمْ المُهاجرينَ، وَهَذا مَا أَشارَ إليهِ القُرآنِ الكَرِيم فِي قَولِه تَعَالَى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [2].

وَتَحدثَتِ الرِواياتِ الصَحِيحَةِ عَنْ صَورٍ رائِعةٍ مِنْ صُورِ الإيْثارِ الَّذِي مَارَسهُ الأَنْصَار تِجَاه إِخْوانَهمْ الْمُهاجرينَ [3]. وإلى جانبِ ذَلِكَ فَإنَّ اِنْتِقالِ المُهاجرينَ إلى مُجْتَمَعٍ جَديدٍ زَادَ مِنْ مَشاكِلِهمْ، وإِحْساسِهمْ بِالوَحْشةِ والحَنينِ

---

[1] النووي: شرح صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الانصار منائحهم ١٢/ ٩٩، حديث ١٧٧١.

[2] سورة الحشر: الآية ٩.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى». انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار)، ٥/ ٣١، حديث ٣٧٧٩.

[3] حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ العَلاَءِ، امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِمْ، بَايَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ طَارَ لَهُمْ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتِ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ، قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَاشْتَكَى عُثْمَانُ عِنْدَنَا فَمَرَّضْتُهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، وَجَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ»، قَالَتْ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ؟ قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّهِ اليَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَمَا أَدْرِي وَاللَّهِ وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي»، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: فَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَنِمْتُ، وفَرِيتُ لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ذَلِكِ عَمَلُهُ». انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه، ٥/ ٦٧، حديث ٣٩٢٩.

حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو هَمَّامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّخْلَ، قَالَ: «لاَ» قَالَ: «يَكْفُونَنَا المَئُونَةَ وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى مَكَّةَ، كَمَا أَنَّ البيئَةَ المَناخِيةَ الجَديدةَ تَختَلف عَمَّا اعْتادُوه فِي دِيارِهِمْ بِمَكَّةَ، كَمَّا تَعرّضُوا لِلإصَابةِ بِبَعضِ الأَمْراضِ. وَكانتْ الحُمَّى مِنْ الأَمْراضِ الظاهِرةِ الَّتِي شَاعَتْ بَينَهُمْ وَسببتْ لَهُمْ الكَثيرَ مِنْ المَتاعِب وَزادَتْ مِنْ إحْسَاسِهِمْ بِالضِّيقِ وَالغُربَةِ. وَذلِكَ مَا أَدْركَهُ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم حِينَ سَأَلَ رَبهُ قَائِلاً: «اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»[1].

وَذَلِكَ يَعْكِسْ دَونَ أَدَنَى شَكْ أَنْ وَضعَ المُهاجِرينَ كَانَ يَقْتَضِي عِلاجاً سَرِيعاً، وَحَلّا اِسْتِثنائِيّا عَاجِلاً، وَذَلِكَ مَا يُوَضِحُ السَّبَبْ فِي تَشْرِيعِ نِظامِ المُؤاخاةِ بَينَ المُهاجِرينَ والأَنْصَار فِي السَنةِ الأَوْلَى مِنْ الهِجْرَةِ [2]. فَلَقدْ أَرادَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُشَرِعْ نِظامَاً يُعالِجْ فِيهِ أَوْضاعَ المُهاجِرينَ الاقْتِصادِيَّة وَيُشْعِرُهمْ بِأَنَهُمْ لَيْسوا عَالَةً عَلَى إِخْوانِهِمْ الأَنْصَار.

وَلَقَدْ حَصلَ جَدلْ بَينَ العُلمَاء حَوْلَ مَدَى صِحَةِ المَعْلوماتِ الَّتِي أَورَدتْهَا بَعْضُ المَصادِر [3]، عَنْ مُؤاخاةِ جَرتْ فِي مَكَّةَ بَين بَعْض المُهاجِرينَ مِنْ أَهلِ السَّابِقَة [4]. وَلكِنْ اِبنُ تَيمِيَّة وَتِلميذَهُ اِبنُ القَيِّم قَدْ فَنّدا ذَلِكَ، وَتَابَعهُمَا الحَافِظْ اِبنُ كَثِير [5]. وَلَمْ تُشِرْ كُتبْ السِّيرَة الأُولَى إِلى وُقوعِ المُؤاخاةِ بِمَكَّةَ، كَما لَمْ يَرِدْ عَنْهَا رِوايَةً صَحِيحَةً.

انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب إخاء النبي صلى الله عليه و سلم بين المهاجرين والأنصار٥/٣٢، حديث ٣٧٨٢.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الوَلِيدِ قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطِعَ لَهُمُ البَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لاَ إِلَّا أَنْ تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا، قَالَ: «إِمَّا لاَ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ». انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة،باب قول النبي صلى الله عليه و سلم للأنصار (اصبروا حتى تلقوني على الحوض) ٥/٣٣، حديث ٣٧٩٤.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَحْفِرُ الخَنْدَقَ، وَنَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ». انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة،باب دعاء النبي صلى الله عليه و سلم (أصلح الأنصار والمهاجرة) ٥/٣٤، حديث ٣٧٩٧.

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة،باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (اللهم أمض لأصحابي هجرتهم) ٥/٦٨، حديث ٣٩٣٦.

[2] حدد ابن عبد البر تاريخ تشريع المؤاخاة بخمسة أشهر بعد الهجرة. ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير١/٨٨.، أما ابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى ٣/ ٥٥٥، فيجعلها قبل غزوة بدر الكبرى دون تحديد دقيق.

[3] البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ٢٧٠. ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير١/ ٩٢. ابن سيد الناس:عيون الأثر ١/ ١٩٩.

[4] مؤاخاة أبي بكر وعمر، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وعثمان، والزبير وابن مسعود، والنبي صلّى الله عليه وسلّم وعلي بن أبي طالب، وحمزة وزيد بن ثابت.

[5] ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٣٣- ٣٤. ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٥٦. ابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ٣٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شَرَعَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم نِظامَ المُؤاخاة بَينَ المُهاجرينَ والأَنْصار، وَقدْ شَمِلَ ذَلِكَ خَمْسةً وَأَرْبَعينَ مِنْ المُهاجرينَ وَمِثْلَهمْ مِنْ الأَنْصَار [1]، وَتَرَتَّبَ عَلَى هَذا النِظامِ حُقوقٌ خاصَة بَينَ المُتآخِينَ كَالمُواساةِ فِي مُواجَهةِ أَعْباءِ الحَياةِ وَالتوارث بَيْنَهُما دونَ ذَوي الأَرْحام [2]. وَتُصَورْ بَعْضُ المَرْوياتِ الصَحْيحةِ عُمْق اِلتِزام الأَنْصَار بِنظَامِ المُؤاخاةِ وَمدَى حِرْصِهمْ عَلَى تَنْفيذِه، كَما تَصورَ مَدَى أَنَفة وَكرَم أَخْلاق المُهاجرينَ وَامْتِناعِهمْ عَنْ اِسْتِغْلالِ إِخْوانِهمْ [3].

اِسْتَمرَّ العَملُ بِنظامِ المُؤاخاةِ إِلى مَا بَعْد غَزْوة بَدرٍ الكُبْرَى حَيثُ أَلِفَ المُهاجِرونَ جَوَّ المَدِيْنَةِ، وَعَرِفوا مَسَالِك الرِزْق فِيْهَا، وَوَثّقُوا عَلاقَتَهُمْ بِإِخْوانِهمْ المُسْلِمينَ مِنْ الأَنْصَارِ وَغَيرِهمْ، وأَصَابُوا مِنْ غَنائِم مَعْرَكَةِ بَدْرٍ الكُبرى مَا كَفاهُمْ. وَلِذلِكَ فَقدْ أُلغِيَ التوارثْ فِي نِظامِ المُؤاخاةِ، وَعادَ إِلى وَضْعِه الطَبيعِي القَائِمْ عَلَى أَساسِ صِلَةِ الرَحِم [4]. وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ الإِبْطَال بِنَصِ القُرآنِ الكَرِيم فِي قَولِه تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [5].

غَيرَ أَنَّ ذَلِكَ لا يَعْني إِبْطال مُؤاخاةِ المُواسَاة وَالتعاون وَالتناصُح فَقدْ أَوردَ البُخَارِي فِي صَحِيْحِه خَبَراً عَنْ المُؤاخاة بَينَ أَبِي الدَرْدَاء وَسَلْمان الفَارِسِي[6]، كَمَا تُورِد المَصادِر مَروِيَات عَنْ مُنَاسَباتٍ جَرتْ فِيهَا حَالاتْ

---

[1] يذكر البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ٢٧٠: أنه لم يبق من المهاجرين أحد إلّا آخى بينه وبين أنصاري.

[2] صحيح البخاري ٥/ ٣٣، ٥/ ٦٧. صحيح مسلم ٤/ ١٩٦٠. ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير١/ ٩٢. ابن القيم- زاد المعاد ٣/ ٥٦.

[3] حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْيَمْ»، قَالَ: تَزَوَّجْتُ، قَالَ: «كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟». قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، - أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، شَكَّ إِبْرَاهِيمُ -. انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب إخاء النبي صلى الله عليه و سلم بين المهاجرين والأنصار ٥/٣١، حديث ٣٧٨٠.

انقلب: رجع.

الغدو: الذهاب صبيحة كل يوم.

مهيم:ما حالك وشأنك وما خبرك.

[4] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٥٥٥. ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٥٧.

[5] سورة الأنفال: الآية ٧٥. ويذكر ابن عباس- رضي الله عنهما-: أن نسخ التوارث بالمؤاخاة قد تم حين نزل قوله تعالى وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا. سورة النساء: الآية ٣٣.

[6] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو العُمَيْسِ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُؤاخَاة أُخْرَى تَقْتَضي المُؤازَرة وَالرِفْقَة دُونَ حُقوق التَوارث، هَذا إِضَافَة إِلى أَنَّ المُؤاخَاة الَّتِي شُرِعَتْ بَينَ المُؤمِنينَ وَالَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الْكِتَاب الْعَزِيز: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...} [1]. بَاقِيةً لَمْ تُنْسَخْ، وَأَنَّ مَا نُسِخَ هُوَ التَوارث المُتَرَتِب عَلَيْهَا. مِمَا حَصرَ المُوالاة وَالأُخوّة بَينَ المُؤمِنينَ دُونَ غيرهم، وَقَطْع الولايَة بَينَ المُؤمِنينَ وَالكَافِرينَ مِنْ المُشْرِكينَ وَاليَهود وَالنَصارى قَالَ تَعَالَى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [2].

وَتَعرّضَ الصَحابَة مِنْ المُهاجِرينَ والأَنْصَار إِلى اِمْتِحانٍ شَدْيدٍ فِي عَقْيدَتِهم حِينَ خَيَّرَهُم اللهُ بَينَ الالْتِزام بِمَصالِحهمْ الدُنْيَوية وَعَلاقاتِهمْ النسْبِية مِنْ جهَةٍ وَبينَ الالْتِزام بِالعَقيدَةِ فَقالَ تَعالَى: {قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ} [3].

وَقدْ نَجحَ صَحابةُ النَبيِّ صلى الله عليه وسلم فِي هَذا الامْتِحانِ العَسْيرِ، وَغَلَّبوا حُبَّ اللهِ وَرسولِهِ وَآصرةِ العَقيدةِ عَلَى كُلِ مَا سوى ذَلِكَ، فَكانَ مُجْتمعُ المَدينَة الجَديدِ مُجْتَمعاً عَقَديّاً يَرتَبط بِالإِسْلامِ وَلا يَعْرِفْ المُوالاةِ إِلّا للهِ وَلِرسولِه وَللمُؤمِنينَ، وَمعَ ذَلِكَ فَهوَ مُجْتَمعٌ مَفْتوحٌ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَلْتَحقَ بِه فَيُؤمِنُ بِعَقيدَتِهِ بَعدَ أَنْ يَخْلَع نَفْسِهِ عَنْ عَقيدَةِ الجَاهِلِيَة وَصِفاتِها وَدُونَ أَيْ اِعْتِبارٍ لِجنْسِه أَو لَوْنِه أَو اِنْتِمائِه السَّابِقِ.

لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ». انظر، صحيح البخاري: كتاب الصوم، بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ ٣/٣٨، حديث ١٩٦٨.

[1] سورة الحجرات: الآية ١٠.

[2] سورة التوبة: الآية ٢٣.

[3] سورة التوبة: الآية ٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من نظام المؤاخاة:

١- المُؤاخَاة بَينَ المُسْلِمينَ مِنْ أَسْبابِ التَمْكِينِ المَعْنَويَّة:

إنَّ مِنْ أَسْبابِ التَمْكِينِ المَعْنَويَّةِ العَمل عَلَى تَرْبِيةِ الأَفْرادِ تَرْبِيةً رَبَّانِيَّةً، وإِعْدادِ القِيادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ،وَمُحارَبَةِ أَسْبابَ الفُرْقَةِ، وَالأَخْذِ بِأُصُولِ الوَحْدةِ والاتِحادِ [١].

وأَهَمْ أَصْولِ الوَحْدَةِ وَالاتِحادِ، وَحْدَة العَقِيدَةِ، صِدْقَّ الانْتِماءِ إِلى الإِسْلامِ طَلَب الحَقِ والتَّحرِّي فِي ذَلِكَ وَتَحقِيقِ الأُخُوَةِ بَينَ أَفْرادِ المُسْلِمينَ.

قَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [٢]. وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [٣].

وَلا يَذُوق حَلاوةَ الإِيْمانِ إلا مَنْ أُشْرِب هَذِه الأُخُوة، قَالَ صلى الله عليه وسلم: « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ[٤]: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ[٥]، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ[٦] فِي النَّارِ» [٧].

٢- المُؤاخَاة بَينَ المُسْلِمينَ تَهْدُفْ إِلى تَذْوِيبِ الفَوارِقِ الإِقْلِيمِيَةَ والقَبَلِيةَ بَينَ أَفرادَ المُجْتَمعِ الاسْلامِيِّ.

٣- الأُخُوةُ فِي اللهِ مِنْ أَسْبابِ تَماسُكِ صُفوفِ المُسْلِمينَ وَقوَتِهِمْ، وَمِنْ أَسْبابِ شُموخِهِمْ وَالتَمكِينِ لَهمْ [٨].

٤- إِنَّ الأُخُوةَ فِي اللهِ مِنْ أَهَمِ الأَسْبابِ الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى الصُمودِ فِي وَجْهِ أَعْتَى المِحَنْ الَّتِي تَنْزِل بِالمُسْلِمينَ.

٥- إِنَّ المُؤاخَاة عَلَى الحُبِّ فِي اللهِ مِنْ أَقْوَى الدَعائِمِ فِي بِناءِ الأُمَةِ المُسْلِمَة، فَإِذَا وَهَتْ يَتَآكَلُ كُلُّ بُنْيَانَها [١] وَلِذَلِكَ حَرصَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى تَعْمِيقِ مَعَانِي الحُّب فِي اللهِ فِي المُجْتَمعِ المُسْلِم الجَدِيد.

---

[١] الصلابي، علي محمد: فقه التمكين في القرآن الكريم، ص٢٥٣.

[٢] سورة الأنفال: الآيتان ٦٢ــ ٦٣.

[٣] سورة الحجرات: الآية ١٠.

[٤] وجد حلاوة الإيمان: انشرح صدره للإيمان وتلذذ بالطاعة وتحمل المشاق في الدين والحلاوة في اللغة مصدر حلو يحلو وهي نقيض المرارة.

[٥] لا يحبه إلا لله: لا يقصد من حبه غرضا دنيويا.

[٦] يقذف: يرمى.

[٧] صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ١٢/١،حديث ١٦.

[٨] الخطيب، محمد عبد الله: نظرات في رسالة التعاليم، ص ٢٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦- حَقَقتْ المُؤاخاة أَهْدافَها، فَقدْ قَضتْ عَلَى وَحْشَةِ الغُرْبَةِ عِنْدَ المُهاجِرينَ وَآنَسَتْهُمْ عَنْ مُفارَقَةِ الأَهْلِ وَالعَشْيرَةِ، وَشَدتْ أَزْرَ بَعْضِهِمْ بَعْضَاً، وَكَانَتْ سَبَباً فِي نُهوضِ الدَوْلَةِ الجَدْيدَةِ، لأَنَّ أَيَّ دَوْلَةٍ لا يُمْكِنْ أَنْ تَنْهضَ وَتَقومَ إلا عَلَى أَساسٍ مِنْ وَحْدَةِ الأُمَةِ وَتُساندَهَا، وَلا يُمْكِنْ لِكُلِ مِنَّ الوَحْدةِ والتَّسانُدَ أَنْ يَتُمَ بِغَيرِ عَامِلِ التَآخِي وَالمَحبَّة المُتَبادِلَة، فَكُلُ جَماعَةٍ، لا تُؤَلِف بَينَها آصِرَة المَوَدَة وَالتَآخِي الحَقيقِيَة، لا يُمْكِن أَنْ تَتَحِد حَول مَبْدَأ مَا، وَمَا لَمْ يَكُن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة فلا يمكن أن تتألف منها دولة،[٢] كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْبِق التَآخِي عَقِيدَة يتُم اِلقاء عَلَيْهَا وَالإيْمان بِهَا، لِذَلِكَ جَعلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم العَقيدَة الاسْلامِيَة أَساسُ هَذِه الأُخُوَةِ [٣].

---

[١] عرجون، محمد الصادق: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٩/٣.

[٢] طقوش: السيرة النبوية، ص١٢٩.

[٣] البوطي: فقه السيرة، ص١٤٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

وثيقــة المدينــة

يَتجَلى تَنْظِيم الرَسُول صلى الله عليه وسلم الإداريِّ فِي أَوائِل الهِجْرَة فِي الصَحْيفَةِ الَّتِي أَصْدَرَها فِي السَنَةِ الثانيَةِ للهِجْرَة قَبْل مَعْرَكَة بَدْرٍ، وَضَمَّنَها الأَحْكام الَّتِي تُوَضِح التِزامَاتِ جَمْيع الأَطْراف دَاخِلَ المَدينَة، وَتَحْدِيد الحُقوق وَالواجبَاتِ، وَقَدْ سُمِيَّتْ بِالكِتَاب وَالصَحْيفَةِ [1].

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ، وَأَقَرّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ[2]،وَفِيمَا يَلْي نَصُّ هَذا الْكِتَاب [3]ــ الوَثْيقَة ــ مُقَسمَاً إلى بُنودٍ:

١-هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَلَحِقَ بِهِمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ.

٢-إنّهُمْ أُمّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النّاسِ.

٣ــ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ على ربعتهم[4]، يتعاقلون، بينهم، وهم يفدون عانيهم[5] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤ــ وبنو عوف عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ[6] الْأُولَى، كُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

---

[1] طقوش: السيرة النبوية، ص ١٢٩.

[2] السهيلي: الروض الآنف٤/٢٤٠. قال الالباني في تخريج فقه السيرة للغزالي ص١٩٤: روى هذه الوثيقة ابن إسحاق: ٢/ ١٦-١٨، بدون إسناد.

«المعاهدة مع يهود المدينة تصلح للدراسة التأريخية، لكنها لا تصلح دليلاً شرعياً لعدم ثبوتها حديثياً. فليس كل ما في الوثيقة على درجة واحدة من الصحة، لأن بعضها ورد بشكل أحاديث متفرقة في المصادر الحديثية مثل البخاري ومسلم، وبعضها أوردته كتب السيرة والتأريخ دون أسانيد أو بأسانيد معلولة». انظر، اكرم العمري: مرويات السيرة النبوية ١/٤٦.

[3] حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية ١/٥٩.

[4] الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

[5] العاني: الأسير.

[6] المعاقل: جمع معقلة وهي الدِّيات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥ــ وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ المؤمنين.

٦ــ وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٧ــ وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلِهِمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٨ــ وَبَنُو النّجّارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٩ــ وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١٠ــ وَبَنُو النّبِيتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١١ــ وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١٢ــ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا[1] بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ. وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ.

١٣ــ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ[2]، أَوْ إثْمٍ، أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَإِنّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ.

١٤ــ وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ.

١٥ــ وَإِنّ ذِمّةَ اللهِ وَاحِدَةٌ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دُونَ النّاسِ.

١٦ــ وَإِنّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنّ لَهُ النّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ.

١٧ــ وَإِنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ. فِي سَبِيلِ اللهِ إلّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ.

---

[1] المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

[2] ابتغى دَسيعة ظلم: أي طلب دفعاً على سبيل الظلم.. انظر: لسان العرب – مادة "دَسَعَ".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٨ــ وَإِنّ كُلّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يَعْقُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

١٩ــ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ يُبِيءُ[١] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٢٠ــ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هَدْيٍ وَأَقْوَمِهِ وَإِنّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسًا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ.

٢١ــ وَإِنّهُ مَنْ اعْتَبَطَ [٢]مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيّنَةٍ فَإِنّهُ قُوّدَ بِهِ إِلّا أَنْ يَرْضَى وَلِيّ الْمَقْتُولِ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافّةً وَلَا يَحِلّ لَهُمْ إِلّا قِيَامٌ عَلَيْهِ.

٢٢ــ وَإِنّهُ لَا يَحِلّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرّ بِمَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَآمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا، وَلَا يُؤْوِيهِ وَأَنّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ.

٢٣ــ وَإِنّه مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٤ــ وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ.

٢٥ــ وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ[٣] إِلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

٢٦ــ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٢٧ــ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٢٨ــ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٢٩ــ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٣٠ــ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٣١ــ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إِلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

٣٢ــ وَإِنّ جَفْنَةَ بَطْنٍ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ.

٣٣ــ وَإِنّ لِبَنِي الشّطَيْبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

٣٤ــ وَإِنّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ.

---

[١] يبيء: من "البواء"، وهو المساواة.

[٢] أي قتله دون جناية أو سبب يوجب قتله.

[٣] يُوتغ: يُهلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٥ــ وَإِنّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ.

٣٦ــ وَإِنّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلّا بِإِذْنِ مُحَمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنّهُ لَا يَنْحَجِزُ عَلَى ثَأْرِ جُرْحٍ وَإِنّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَإِنّ اللهَ عَلَى أَبَرّ هَذَا[1].

٣٧ــ وَإِنّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْحَ وَالنّصِيحَةَ وَالْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

٣٨ــ وَإِنّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرِئٌ بِحَلِيفِهِ وَإِنّ النّصْرَ لِلْمَظْلُومِ.

٣٩ــ وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ.

٤٠ــ وَإِنّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ.

٤١ــ وَإِنّ الْجَارَ كَالنّفْسِ غَيْرُ مُضَارٍ وَلَا آثِمٌ.

٤٢ــ وَإِنّهُ لَا يُجَارُ حُرْمَةٌ إِلّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا.

٤٣ــ وَإِنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنّ اللهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ [2].

٤٤ــ وَأَنّ بَيْنَهُمُ النّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ.

٤٥ــ أ وَإِذَا دُعُوا إِلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنّهُمْ يُصْلِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ وَإِنّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلّا مَنْ حَارَبَ فِي الدّينِ.

ب ــ عَلَى كُلّ أُنَاسٍ حِصّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمْ.

٤٦ــ وَأَنّ يَهُودَ الْأَوْسِ وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ مَعَ الْبِرّ الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ، وَأَنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ، وَلَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلّا عَلَى نَفْسِهِ، وَأَنّ اللّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ.

٤٧ــ وَإِنّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ وَإِنّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ إِلّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ وَإِنّ اللهَ جَارٌ لِمَنْ بَرّ وَاتّقَى، وَمُحَمّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3].

---

[1] على أبر هذا: على الرضا به.

[2] أي أن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به.

[3] حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية، ٦٢/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد مما تضمنته الصحيفة ــ الوثيقة ــ:

١- إنَّ المَدْينَة حَرمْ آمِنْ لا يَجْوز اِنْتِهَاكه، وَبِذَلكَ ضَمنَت اِسْتِقْرار الأَمْن، وَمنَعتْ الحُروبْ الدَاخِلِيَة فِيْهَا، وأَصْبَحتْ المَدْينَة مَرْكَز اِنْطِلاق الدَعْوَة، وَعاصِمَة لِلدَوْلَة الإسْلامِيَة النَاشِئَة.

٢- بَيْنَت الوَثْيقَة فِي صَدْرِهَا أَطْرَاف التَحَالُف فَذكَرتْ « الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ » [١].

٣- جَعلتْ الوَثْيقَة أَطْراف التَعَاقد « أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ النَّاسِ » [٢].

٤- تَعرَضتْ تِسعْ فَقَرات تَالِيَة [٣] إلى ذِكْر الكِيانَات العَشائِرِيَة. والمُلاحَظ أَنَّ المُهاجِرينَ اُعْتُبِروا كُتْلَة واحِدةً مُتَميزَةً فِي حِين نُسِبَ الأَنْصَار إلى عَشائِرِهِمْ، وَقدْ اِتَضحَ أَنَّ القَصدَ مِنْ ذَلِكَ إبرَاز فِكْرَة التَكافُل الإجْتِماعيِّ، دُونَ التَناصُر فِي العَصبِيَة وَالظُلْم. وبِهَذا فَقَدْ حَوّلَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم التَوَجُهاتِ القَبَلِيَّة إلى مَا يُحَقِقُ الأَهْدَاف السَّامِيَة للدَعْوَة الإسْلامِيَة. وَبِمَا أَنَّ التَكافُل يُحَتِمُ عَلَى القَبِيلَة أَنْ تُعِيْنْ أَفْرَادَها، وَهوَ أَمرٌ كَانَ سَائِداً فِي الجَاهِلِيَة، فَقدْ أَقَرتْهُ الوَثْيقَة لِمَا فِيه مِنْ رُوحْ التَعَاون وَالتَضامُن وَالتَكافُل. وَهَكَذا فَقدْ وَرَدَ فِي أَعْقاب ذِكر المُهاجِرينَ والقَبَائِل الأَنْصَارية الأُخْرَى قَولَهُ بِأَنَهُم:« عَلَى رَبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ » [٤].

٥- أَكَدتْ الوَثْيقَة عَلَى مَسْئُولِيَة المُؤمِنِينَ الشَامِلَة فِي التَكافُل مع كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَبْناءِ الأُمَّةِ: «لأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا مِنْهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ » [٥]. وإلى جَانب ذَلِكَ، أَكَدتْ الوَثْيقَة عَلَى المَسْئُولِيَّة الجَماعِيَّة، فَقدْ أصبحت مسئولية المؤمنين جميعا تحقيق الأمن والاستقرار والعدالة في المدينة: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوِ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ[٦] أَوْ إِثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِمِ جَمِيعِهِمْ وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ» [٧].

---

[١] الفقرة الأولى من الوثيقة- مجموعة الوثائق، محمد حميد الله.

[٢] الفقرة (٢)، المرجع السابق: (الوثيقة).

[٣] الفقرات (٣- ١١) من الوثيقة.

[٤] الفقرات (٣- ١١) من الوثيقة.

[٥] الفقرة (١٢) من الوثيقة.

[٦] طلب عطية دون وجه حق، انظر ابن الأثير- النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١١٧.

[٧] الفقرة (١٣) من الوثيقة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦- تَبْرُز فِي الوَثْيقَة بِجَلاء رُوح الإسْلام فِي اِسْتِعْلاءِ المُؤمِنينَ عَلَى الكَافِرينَ، وأَنَّ دَم الكَافِر لا يُكَافِئ دَم المُؤمِنْ، وَالتَأكْيد عَلَى التَرابُط الوَثْيق بَينَ المُؤمِنينَ وَمُوالاتِهم بَعْضِهم لِبَعضٍ: «ولَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يُنْصَرُ كَافِرٌ عَلَى مُؤْمِنٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ» (١).

٧- أَشارَتْ الوَثْيقَة لِمَبْدَأ الجُوار الَّذِي كَانَ مَعْروفًا قَبلَ الإسْلام، فَقدْ أَتاحَتْ لِكُلْ مُسْلِم أَنْ يُجْير، وَأَلزَمتْ المُجْتَمعْ الإسْلامِي بِأَنْ لا يَخفر جُوارَه، وَحَصرَت المُوالاة بَينَ المُؤْمِنينَ. غَيرَ أَنَّ الوَثْيقَة اِسْتَثْنَتْ مَنْ بَقِيَّ عَلَى الشِرْك مِنْ قَبائِل الأَوْس وَالخَزْرَج مِنْ إجَارَة قُرَيْش وَتِجَارَتِها، أو الاعْتِراض عَلَى تَصَدي المُسْلِمينَ لَهَا، فَذَكرتْ بِأَنَّه:« لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسًا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ » (٢).

٨- بَيَّنتْ الوَثيقَة أَنَّ إعْلان حَالَة السِّلْم والحَرْب هِيَ مِنْ اِخْتِصاص النَبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإنْ «سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدٌ، وَلَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدَلٍ بَيْنَهُمْ» (٣).

٩- بَيّنتْ الوَثيقَة عُقوبَة القَتْل العَمْد حَيْثُ جَاءَ فِيْهَا: « وَأَنَّهُ مَن اعْتَبَطَ(٤) مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوَدٌ، إِلَّا أَنْ يُرْضِيَ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ بِالْعَقْلِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةً وَلَا يَحِلّ لَهُمْ إلّا قِيَامٌ عَلَيْهِ» (٥).

١٠- أَصْبحَ الرَسْولُ بموجب هَذهِ الوَثيقَة هَو المَرْجعْ الوَحْيد لِلفَصْلِ فِي كُلِ خِلافٍ قَدْ يَقعْ بَينَ أَطرَاف التَعاقِد (المُسْلِمينَ وَحُلَفائِهمْ) فِي المَدينَة: « وَأَنَّهُ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ صلى الله عليه وسلم » (٦).

١١- اِلتِزامْ اليَهْود بِالمُساهَمةِ فِي نَفَقاتِ الحَرب الدِفاعِيةِ عَنِ المَدينَة: « وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ » (٧).

١٢- رَكزتْ الوَثيقَة فِي عَشرَة بُنودٍ مِنَ صَدْرِها عَلَى تَنْظِيم العَلاقَة بِالمُتَهودينَ مِنْ قَبيلَتِي الأَوسْ والخَزْرَج، مَعَ التَرْكيز عَلَى نِسْبَتِهم إِلى عَشائِرهمْ العَربِيَة حَيْثُ أَقَرتْ تَحَالُفَهمْ معَ المُؤمِنينَ، « وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ دِينُهُمْ، وَمَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ» (٨).

---

(١) الفقرتان (١٤- ١٥) من الوثيقة.

(٢) الفقرة (٢٠) من الوثيقة.

(٣) الفقرة (١٧) من الوثيقة.

(٤) أي قتله بدون مبرر أو جناية توجب قتله، انظر لسان العرب ٧/ ٣٤٨.

(٥) الفقرة (٢١) من الوثيقة.

(٦) الفقرة (٢٣) من الوثيقة.

(٧) البند (٢٤) من الوثيقة، انظر المصدر السابق.

(٨) البند (٢٥) من الوثيقة. ويوتغ: أي يهلك. انظر «النهاية» لابن الأثير (وتغ) (٥/ ١٤٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٣- تَعرضتْ الوَثيقَة إلى ذِكرِ اليَهُود مِنْ بَنْي النَجارْ، وَبَني الحَارِث، وَبَني سَاعدة، وَبنيْ جَشم، وَبني الأَوْس وَبَني ثَعلَبة، وَجَفنَة، وَبَني الشَطيبَة، وَمَوالي ثَعلبة، والَّتِي كَفلَتْ لَهُم حُريتَهم الدِينية وَحدَدتْ مَسْئولِية الجَرائِم وَحَصرَتْها فِي مُرْتَكبيهَا الَّذِينَ يَنْبَغي أَنْ يَنالوا عُقوباتِهمْ وإنْ كَانُوا مِنَ المُتَعاهِدينَ.

١٤- مَنعتْ الوَثْيقَة يَهُود المَدينَة مِنَ الخُرُوجِ مِنْهَا إلّا بَعدَ الحُصولِ عَلَى إذنٍ مِنَ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم: «وَإنّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إلّا بِإذْنِ مُحَمّدٍ صلى الله عليه وسلم » [١] وَذَلِكَ حَرمَهمْ مِنَ القِيامِ بِأيِّ نَشاطٍ عَسْكَريٍّ خَارِجَ المَدْينَةِ قَدْ يُؤثِر عَلَى أَمْنِ المَدينَة وَعَلاقاتِها الاقْتِصادِية.

١٥- اِعْتَبرتْ الوَثْيقَة مِنْطَقَةَ المَدينَة حَرَماً آمِنَاً: « وَإنّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ » [٢].

١٦- تَعرضتْ بَعْضُ بُنودِ الوَثيقَة إلى حُقوقِ الْجَارِ: « وَإنّ الْجَارَ كَالنّفْسِ غَيْرُ مُضَارٍ وَلَا آثِمٌ » [٣]، وأَكَدتْ عَلَى « وَإنّهُ لَا يُجَارُ حُرْمَةٌ إلّا بِإذْنِ أَهْلِهَا »[٤].

١٧- اِعْتِراف اليَهودْ بِموجب بُنودِ هَذهِ الاتِفاقِيَّة بِوجودِ سُلْطَةٍ قَضائِيةٍ عُلْيا مُتَمثِلَة فِي الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم يَرْجِع إلَيْهَا سَائِر المُواطِنين فِي المَدينَة بِمَا فِيْهِم اليَهُود فِي حَالاتِ الأَحْداث، أَو حُصولِ الشِجارِ وَالاخْتِلاف بَيْنَهمْ وَبينَ المُسْلِمينَ: « وَإنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإنّ مَرَدّهُ إلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَإنّ اللهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ» [٥].

١٨- مَنعتْ الوَثيقَة اليَهُود مِنْ إجارَة قُرَيْش أَو نَصْرِها: «وَإنّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَها» [٦]. وَكَانَ الهَدف مِنْ ذَلِكَ هُوَ ضَمانْ حُرِيَة المُسْلِمينَ فِي التَعَرُضَ لِتِجارةِ قُرَيْش الَّتِي كَانتْ تَمُرُّ غَربِيَّ المَدينَة فِي طَرِيقِها مِنَ الشَامِ وَإلَيْها. وَيُمكنْ اِعْتِبَار هَذا البَنْد ضَمانَة لِمَنْع اِحْتِمالْ حُصُول خِلافْ حَولَ ذَلِكَ معَ اليَهودْ فِي المَدْينَة.

---

[١] البند (٣٦) من الوثيقة.

[٢] البند (٣٩) من الوثيقة.

[٣] الفقرة (٤٠) من الوثيقة.

[٤] الفقرة (٤١) منها.

[٥] الفقرة (٤٢) من الوثيقة، ثم ألزمهم بضرورة التحاكم إلى شرع الله ما داموا تحت سلطان الحكومة المسلمة. لما نزل قول الله تعالى: وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ.سورة المائدة: الآية ٤٢.

[٦] الفقرة (٤٣) من الوثيقة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٩- اِمْتدتْ المُعاهَدة لِتَشمِل «حُلَفاء» الطَرفَين إِذْ اِشْتَرَطتْ المُعاهَدة عَلَى كُلٍّ مِنْ الطَرفَينْ مُصَالَحةِ حُلَفاءِ الطَرفِ الآخَر، بِاسْتِثناءِ مَنْ حَاربَ فِي الدِّين، وَذَلِكَ لأَنَّ المُسْلِمينَ كانوا فِي حَالَةِ حَرْبٍ دَائِمةٍ مَعَهمْ. وَمِنْ الواضِحْ أَنَّ المَقْصود مِنْ ذَلِكَ هَو التَأكيْد عَلَى اِسْتِثناءِ قُرَيْش مِنْ المُصالَحةِ [1].

[1] الفقرات (٤٤- ٤٦) من الوثيقة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

غـــزوة بـــدر

تمهيد:

مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، هِيَ أَوَّل مَعْرَكَة فِي تَارِيخِ الإِسْلامِ والمُسْلِمين، خَاضَهَا المُسْلِمونَ بَعْدَ الهِجْرَةِ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عيله وسلم ضِدَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَهِيَ أَوَّل مَعْرَكَة اِنْتَصر فِيهَا المُسْلِمونَ عَلَى المُشْرِكينَ، وَكَانَ لَهَا أَثَّر كَبْيرٌ جداً فِي ألاحْدَاثِ الْلاحِقَةِ لَهَا، وَتَظْهَرُ أَهَمِيَتهَا أَنَهَا أَظْهَرتْ وَمَيَّزتْ الحَقَّ مِنَ البَاطِلَ، وأَصْحابَ كُلٍ مِنْهُمَا عَلَى صَعْيدِ الواقِعِ المَحْسوسِ؛ وَلِذَلِكَ سَمَّاهَا القُرْآن « يَوْمَ الْفُرْقَانِ » وَلِغَرَضِ التَعَرُفِ عَلَى أَبْرَز أَحْدَاثْ هَذِه الغَزَوة واَخْذِ الدُروسَ وَالعِبَرْ المُسْتَفَادَة مِنْهَا، فَقَدْ إِرْتَيْأت تَقْسِيم هَذَا الفَصْل إِلى مَبْحَثَين وَعَلَى النَحْوِ التَالِي:ـــ

المَبْحَثْ الأَوْل: أَحْداث غَزْوَة بَدْرٍ.

المَبْحَثْ الثَانِي: المُسْتَفَاد مِنْ أَحْدَاث غَزْوَةِ بَدْرٍ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

أحداث غــزوة بــدر

سبب المعركة:

لَمْ يَكُنْ المُسْلِمونَ قَدْ اِشْتَبكُوا معَ قُرَيْشٍ بِشَكْلٍ حَاسِمْ حَتَّى تَارِيخِ هَذِه الغَزْوَة، وَذَلِكَ مَا أَتَاحَ لِقُرَيْش مُواصَلَة إِرْسَال قَوَافلها الَّتِي كَانَتْ تُمَثل شِرْيَانَ الحَيَاةِ لاقْتِصادِها، وَيُلاحَظ أَنَّ قُرَيْشاً اِسْتَشْعَرتْ الخَطَر فَأَخَذَتْ تُهَيِّيء لِقَوافِلهَا حِراسَات شَدِيدَة وَكَثِيفَة، وَتَنَوع الطُّرُق الَّتِي تَسْلُكهَا. وَكَانَ المُسْلِمونَ يَرْصُدونَ تَحرُك القَوافِل القَرشِيَّة وَتَتجَمعْ لَدَيهِمْ الأَخْبار عَنْ مُحْتَواها وَبِضاعَتَها وَحِراسَاتَها وَالطُّرُق الَّتِي تَسْلُكُهَا.

بَلَغَ المُسْلِمينَ تَحَرُّك قَافِلَة تِجَارِيَّة كَبِيرَة مِنَ الشَامِ وَهِيَ تَحْمِلُ أَمْوَالاً عَظِيمَة [1] لِقُرَيْش يَقُودَها أَبُو سُفْيان وَيَقُوم عَلَى حِراسَتِها بَينَ ثَلَاثِينَ وأَرْبَعِينَ رَجُلًا [2]، فَأَرْسَلَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم بَسْبَسَ بْنَ عَمْرٍو [3] لاسْتِطْلاعِ أَخْبَار القَافِلَة، فَلمَّا عَادَ بَسْبَسَ بِخَبرِهَا نَدبَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَصْحَابَه للخُروجِ مُتَعجلًا بِمنْ كَانُوا عَلَى اِسْتِعْداد دُونَ أَنْ يَنْتَظرْ تَهَيُؤ الآخَرِين مِمَنْ أَبْدَى رَغْبَةً فِي الخُروجِ، حِرْصاً مِنْهُ عَلَى أَلّا تَفوتَهُمْ القَافِلَة [4].

خروج المسلمين من المدينة المنورة:

خَرجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالمُسْلِمينَ مِنَ المَدينَة فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَك مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَة لِلْهِجْرَةِ، وَكَلّفَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ بالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ عِنْد خُرُوجِهِ إِلى بَدْرٍ، ثُمَّ أَعادَ أَبَا لُبَابَةَ مِنَ الرَّوْحَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَيّنَهُ أَمْيراً عَلَيْها [5].

وَقَدْ خَرجَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي جَيْشٍ تِعْدَادهُ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاثَ مِائَةٍ مقاتل [6] مِنْهُمْ الْأَنْصارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمِنْ المُهَاجِرِينَ نَيِّفًا وسِتِّينَ [1]. غَيْرَ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نتذكر بِأَنَّ قُوَاتِ المُسْلِمينَ هَذِه الَّتِي

---

[1] قدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بخمسين ألف دينار، انظر: المباركفوري: الرحيق المختوم ١/١٨٤. الندوي: السيرة النبوية ١/١٤٢. ابن حجر: فتح الباري ٧/٢٨٦.

[2] ابن حزم: جوامع السيرة ١/ ٨١.

[3] ورد الإسم في صحيح مسلم بصيغة التأنيث مصحّفا إلى «بسيسة»، وصححه ابن حجر في الإصابة ١/ ١٥١.

[4] النووي: شرح صحيح مسلم ١٣/ ٤٤. البيهقي: دلائل النبوة ٣/٣٣. العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/٣٥٤.

[5] السهيلي: الروض الآنف ٥/٨٨. ابن كثير، البداية والنهاية ٥/ ٦٤.

[6] هناك حديثان صحيحان في عدد جيش المسلمين والمشركين:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صَاحَبَتْ النَبيَّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَتِه إلى بَدْرٍ لا تُمَثِلُ الطَاقَةَ العَسْكَرِيَّةَ القُصْوَى لِلحُكومَةِ النَبَوِيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّهمْ إنَّما خَرَجُوا لاعْتِراضِ قَافِلَةٍ تِجارِيةٍ وَاحْتِوائِهَا، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوَلَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم لِلمُسْلِمينَ: « هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَاخْرُجُوا إلَيْهَا لَعَلّ اللهَ يُنْفِلُكُمُوهَا » [٢]، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْلَمونَ أَنَّهمْ سَوفَ يُواجِهُونَ قُواتِ قُرَيْشٍ وَأَحْلافَهَا مُجْتَمِعةً لِلحَربِ وَالَّتِي بَلغَ تِعْدادَهَا تِسْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مُقَاتِلًا، وَمَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ يَقُودُونَهَا، وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِالْقِيَانِ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، وَيَتَغَنَّيْنَ بِهِجَاءِ الْمُسْلِمِينَ [٣]، كَمَا أَخَذُوا مَعَهُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعلْ ذَلِكَ لِتَحْفِيزِ جُنودِهَا عَلَى القِتَال، فَإِنَّ الرَّجُلَ إذا مَا خَارَتْ قُوَّتَهُ وَوهَنتْ عَزِيمَتَهُ وَأَرادَ أَنْ يَفِرِّ مِنْ سَاحَةِ المَعْرَكَة تَذَكَرَ مَا خَلْفَهُ مِنْ نِساءٍ وَأَبْناءٍ وَأَمْوالٍ فَكَانَ ذَلِكَ حَافِزًا لَهُ عَلَى القِتَالِ بِقوةٍ وَبَأسٍ وَعَدمِ الفِرارِ مِنْ أَرضِ المَعْرَكَةِ.

لَمْ يَكُنْ معَ القُواتِ الإسْلامِيَّةِ إلاّ فَرسٌ واحِدٌ لِلمُقْدادِ بنْ عَمْرو [٤] وَسَبْعونَ بَعْيرًا [٥] يَعْتَقِب كُلُّ ثَلاثَةٍ بعيرًا [٦] فَكانَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم وَعَلِيٌّ وأبو لُبابَةَ يَعتَقِبونَ بَعيرًا فَلَمَّا كَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه

أما الأوّل: ففي صحيح البخاري (٣٩٥٦، ٣٩٥٩).

٣٩٥٦ – وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَى سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ»

٣٩٥٩ – عَنْ أَبِي عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " كُنَّا نَتَحَدَّثُ: أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلاَثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ...

وأما الثاني: ففي مسند أحمد (٩٤٨) بإسناد صححه الشيخ الألباني في تحقيق فقه السيرة وكذلك صححه الشيخ. أحمد شاكر. (....فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثيرٌ عددُهم شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال له: "كم القوم؟ " قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجَهَد النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يخبره كم هم فأبى، ثم إن النبي – صلى الله عليه وسلم – سأله: "كم ينحرون من الجزر؟ " فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "القوم ألف، كل جزُور لمائة وتَبعها"،...)

[١] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ٧٣/٥، حديث ٣٩٥٦.

[٢] ابن هشام: السيرة ١/ ٦٠٧ بسند صحيح إلى عبد الله بن عباس– رضي الله عنهما–.السهيلي: الروض الآنف ٨٢/٥.

[٣] ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٦٣.

[٤] عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ " وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ صحيح: أخرجه أحمد في مسنده: ٢٩٩/٢،حديث (١٠٢٣). صحيح ابن خزيمة: ٥٢/٢، حديث(٨٩٩). صحيح ابن حبّان: ٣٢/٦، حديث(٢٢٥٧).

وجاءت روايات أخرى ضعيفة بأنهما كانا فرسين أحدهما للزبير والثاني للمقداد، وهو ضعيف.

[٥] المقريزي: امتاع الاسماع ١٠٢/١. ابن القيم: زاد المعاد ١٥٣/٣.

[٦] يعتقبون البعير: أي يتبادلون الركوب عليه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسلم [1] قَالا: نَحنُ نَمْشِي عَنْكَ يا رَسُولَ اللهِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:"ما أَنْتُما بِأَقْوَى مِنِّي وَلا أَنا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُما" [2].

وَقَدْ كَتَمَ النَبِيُّ خبرَ الجِهَةِ الَّتِي يَقْصِدَها عِنْدَمَا أَرادَ الخُرُوج إِلى بَدْرٍ، حَيْثُ قَالَ: « إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا » [3].وَبعْدَ خُروجِ المُسْلِمينَ مِنَ المَدينَة فِي طَريقِهِمْ إِلى مُلاقاةِ عِيرِ قُرَيْشٍ، وَصَلُوا إِلى مِنْطَقَةٍ تُسَمّى " بُيُوتِ السُّقْيَا " خَارِجَ المَدينَة، فَعَسْكَر فِيهَا المُسْلِمونَ، وَاسْتَعْرَضَ رَسُولُ اللهِ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم مَنْ خَرجَ مَعهُ فَرَدَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ قُدْرَة عَلَى المُضْي وَالقِتَال مِنْ جَيْشِ المُسْلِمينَ، وَمِنْهمْ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لِصغَرِهِمَا، وَكَانَا قَدْ خَرجَا معَ النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَاغِبِينَ وَعَازِمِينَ عَلَى الاشْتِرَاكِ فِي الجِهَادِ [4].

ارجع فلن أستعين بمشرك:

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ إِلَى بَدْرٍ، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَحِقَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتْبَعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ: " تُؤْمِنُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " ارْجِعْ فَلَنْ نَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ " قَالَ: ثُمَّ لَحِقَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَفَرِحَ بِذَاكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ لَهُ قُوَّةٌ وَجَلَدٌ، فَقَالَ: جِئْتُ لِأَتْبَعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ. قَالَ: " تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ " قَالَ: ثُمَّ لَحِقَهُ حِينَ ظَهَرَ عَلَى الْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: " تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟ " قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَخَرَجَ بِهِ)[5].

---

[1] أي: نوبته في المشي.

[2] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده: ١٧/٧،حديث (٣٩٠١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[3] السنن الكبرى للبيهقي ١٦٩/٩، حديث ١٨١٩٧. صحيح مسلم ١٥٠٩/٣، حديث ١٩٠١. مسند الامام احمد ٣٨٩/١٩، حديث ١٢٣٩٨.

[4] عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: اسْتُصْغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ. انظر، صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ٧٣/٥، حديث ٣٩٥٥.

استصغرت: عددت صغيرا و لم يسمح لي بالخروج للقتال. أبو شهبة: السيرة النبوية١٢٤/٢.

[5] قال الارناؤوط في تخريجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر، مسند الامام احمد: ٨١/٤٢، حديث ٢٥١٥٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابو سفيان يحول مسار القافلة:

بَلَغَ أَبَا سُفْيَان خبرَ مَسْير النَبيِّ صلى الله عليه وسلم وأَصْحابه مِنَ المَدينَة بقَصْد اِعْتِراض قَافِلَته وَاحْتِوائِها، فَبادَر إلى تَحْويلِ مَسَارِهَا إلى طَرِيقِ السَّاحِلِ، فِي نَفْسِ الوَقْتِ الَّذِي أَرْسَلَ فِيهِ إلى قُرَيْشٍ يَسْتَنْفِرهَا لإنْقَاذِ قَافِلَتَهَا وَأَمْوالَهَا. وَكَانَ وَقْع ذَلِكَ شَدْيداً عَلَى قُرَيْشٍ، الَّتِي اشْتَاط زُعَماؤُهَا غَضَباً لِمَا يَرَونَهُ مِنْ اِمْتِهانٍ لِلكَرامَةِ، وَتَعرِيضٍ لِلمَصَالِحِ الاقْتِصَادِيَة لِلأَخْطَارِ إلى جَانب مَا يَنْجُم عَنْ ذَلِكَ مِنْ اِنْحِطَاطٍ لِمَكَانَةِ قُرَيْشٍ بَينَ القَبائِلَ العَرَبِيَة الأُخْرَى وَلِذَلِكَ فَقَدْ سَعَوا إلى الخُروجِ لِمُجَابَهةِ الأَمْر بِأَقْصَى طَاقَاتِهِمْ القِتَالِيَّة [1].

قريش تصر على التقدم نحو بدر:

أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَان بَعْدَ ذَلِكَ إلى زُعَماءِ قُرَيْش وَهُمْ بالجَحْفَة برسَالَة أَخْبَرهم فِيهَا بنَجاتِه وَالقَافِلَة، وَطَلَبَ مِنْهمْ العَودَة إلى مَكَّةَ، وَذَلِكَ أَدّى إلى حُصُولِ اِنْقِسَامٍ حَادْ فِي آراءِ زُعَماءِ قُرَيْش، فَقَدْ أَصَرَّ أَغْلَبهُمْ عَلَى التَقدم نَحْوَ بَدْرٍ مِنْ أَجْلِ تَأْدِيبِ المُسْلِمينَ وَتَأمِين سَلامَة طَرِيق التِجَارَة القَرشِيَّة وإشْعَار القَبائِل العَرَبِيَة الأُخْرَى بمَدَى قُوَة قُرَيْش وَسُلْطَانِها [2]. وَقَدْ اِنْشَقَّ بَنُو زَهْرَة [3]، وَمَنْ كَانَ معَ قُرَيْش مِنْ بَنْي هَاشِم [4]. وَعَادُوا إلى مَكَّةَ، أَمَّا غَالِبِيَة قُوات قُرَيْش وأَحْلافَهمْ فَقَدْ تَقدَمتْ حَتَّى وَصَلتْ إلى مِنْطَقة بَدْرٍ.

النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه:

بَلغَتْ أَخْبار تَجمُعْ قُرَيْش وَتَقدُمَهم تِجاه مِنْطقَة بَدر إلى الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم وَهوَ فِي طَرْيقِه إلى بَدْرٍ، فَاسْتَشَار أَصْحابَه فِي الأَمْر [5] وَكَانَ بَعْضُهمْ قَدْ كَرِهَ القِتَال، وَفِي ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) [6]

---

[1] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٨٣. ابن هشام: السيرة ١/ ٦٠٩، ٦١٢ بأسانيد حسنة.

[2] الصلابي: السيرة النبوية ٣/٥.

[3] كان عدد بني زهرة في قوات قريش حوالي ثلاثمائة مقاتل، ابن هشام: السيرة ١/ ٦١٨.

[4] كانوا بقيادة طالب بن أبي طالب، وكانت قريش قد اتهمتهم بأن هواهم مع محمد صلّى الله عليه وسلّم، ابن هشام: السيرة ١/ ٦١٩.

[5] ابن كثير: البداية ٣/ ٢٦٢- ٢٦٣. صحيح مسلم:باب غزوة بدر٣/١٤٠٣، حديث ١٧٧٩.

[6] سورة الانفال: الآيتان ٥ــ٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَالحَقُّ الَّذِي تَبَيّن هو أَنَّ اللهُ تَعَالَى قَدْ وَعَدهُم إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا أَخْذ القَافِلَة وَغَنيمَتَها، وَإِمَّا القِتَال، فَلمَّا فَرَّتْ القَافِلَة كَانَ الحَقُّ الَّذِي تَبَيّنَ هو القِتَال فكَرِه بَعْضُ المُسْلِمينَ ذَلِكَ، يَقولُ تَعَالَى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ [1] وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) [2].وَكانَ هَؤلاءِ يَرونَ أَنَّ القِتَال لا فَائِدَة مِنْهُ لأَنَّ القَافِلَة نَجَتْ فَلا غَنيمَة تُفيد المُسْلِمينَ، وَلأَنَ المُسْلِمينَ غَيْرَ مُسْتَعِدينَ لِلحَرْبِ كَمَا اِسْتَعدتْ قُرَيْش، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ بَينَ الحِكْمَة مِنَ القِتَال فِي الآيَتَينِ السَابِقَتَينِ مِنْ سُورَةِ الأَنْفَال.

فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ فَأَحْسَنَ ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) [3] وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ[4]، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ[5] ، لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ، " فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ - وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ[6]، وَكَانُوا حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا بُرَآءُ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا ، فَأَنْتَ فِي ذِمَمِنَا، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّفُ أَنْ لَا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى أَنَّ عَلَيْهَا نُصْرَتَهُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ بِغَيْرِ بِلَادِهِمْ - " ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قال له سَعْدُ بْنُ مَعاذ: وَاللهِ لَكَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ تُرِيدُنَا؟ ، قَالَ: " أَجَلْ " ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ ، فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ ، لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِقَولِ سَعَد، وَنَشطهُ

---

[1] الشوكة: القتال، وغير ذات الشوكة: هي الغنيمة التي لا قتال فيها.

[2] سورة الانفال: الآيتان ٧ــ٨.

[3] سورة المائدة:الآية ٢٤.

[4] صحيح البخاري: كتاب المغازي،بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ٥/٧٣، حديث ٣٩٥٢.

[5] موضع بناحية اليمن.

[6] أي: أكثر الناس، فهم أكثر من المهاجرين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: " سِيرُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللهَ عز وجل قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ مَصَارِعَ الْقَوْمِ " [1].

لَقَدْ كَانَتْ كَلِماتُ سَعْد مُشَجعَةً لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمُلْهِبَةً لِمَشاعِرِ الصَحابَةِ فَقَدْ رَفَعتْ مَعْنَوِيَاتِ الصَحابَة وَشَجَعَتهمْ عَلَى القِتَالِ. إِنَّ حِرْصَ النَبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى اِسْتِشَارَة أَصْحَابه فِي الغَزَواتِ يَدُلُّ عَلَى تَأكِيدِ أَهَمِيةِ الشُّورَى فِي الحُروبِ بِالذاتِ؛ ذَلِكَ لأنَّ الحُروبَ تُقَرِرُ مَصْيرَ الأُمَمِ، فَإِمَا إِلى العَلْيَاءِ، وإِمَّا تَحْتَ الغَبْرَاءِ [2].

النبي صلى الله عليه وسلم يعقد الألوية:

نَظَّمَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم جُنْدَهُ، بَعْدَ أَنْ رَأى طَاعَةَ الصَحَابَة وَشَجاعَتِهِمْ واجْتِماعِهِمْ عَلَى القِتَال، وَعَقدَ اللِّوَاءُ الْأَبْيَضِ وَسَلَّمَهُ إلى مُصْعَب بْنِ عُمَيْرٍ، وأَعْطَى رَايَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَجَعَلَ عَلَى السَّاقَةِ قَيْسُ بْنُ أَبِي صَعْصَعَةَ [3].

النبي صلى الله عليه وسلم يستكشف أحوال جيش المشركين:

وَقَام النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَمَعهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَكشِف أَحَوالِ جَيشِ الْمُشْرِكِينَ، وَبَينَما هُمَا يَتَجَولانِ فِي تِلْكَ الْمَنْطَقَة حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَب، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ. قَالَ: أَذَاكَ بِذَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الشَّيْخُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي، فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا لِلْمَكَانِ الَّذِي

---

[1] رواه ابن هشام في "السيرة" ٦١٥/١بهذا السياق عن ابن إسحاق بدون إسناد، وله شواهد أخرى كثيرة تقويه، انظر: صحيح مسلم ١٤٠٣/٣،حديث(١٧٧٩)، وأخرجه أحمد في مسنده:٢٢٧/٦،حديث (٣٦٩٨)

انظر: وأخرجه البخاري في صحيحه، الحديث رقم ٣٩٥٢والذي نصه: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ» يَعْنِي: قَوْلَهُ.

[2] أبو فارس، محمد: غزوة بدر الكبرى١/٣٧.

[3] ابن القيم: زاد المعاد ١٥٣/٣. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فِيهِ قُرَيْشٌ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: نَحْنُ مِنْ مَاءٍ[1]، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ. قَالَ يَقُولُ الشَّيْخُ: مَا مِنْ مَاءٍ[2]، أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ؟[3].

مشورة الحباب بن المنذر في بدر:

وَصلَ الْمُسْلِمونَ إِلَى بَدْرٍ وَاسِتَطْلَعُوا المَوْضِع قَبْلَ وَصْولِ قُواتِ قُرَيْش، وَقَدْ وَرَدتْ رِواية حَسَنة السَنَد تَذْكُر أَنَّ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَشَارَ عَلَى النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِأَنْ: «نَأتِي أَدْنَى مَاءٍ مِنْ القوم، فَنَنزِله وَنَغوّر مَا وَرَاءَهُ مِنْ القَلب، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلأهُ ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ » [4]، وَأَنَّ النَبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَبِلَ مَشْورَتَه وَفَعَل بِمَا أَشار بِه الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ [5].

الأخـــذ بالقرائـــن والحصول على أهم المعلومات عن جيش المشركين:

وَفِي مَساءِ ذَلِكَ اليَوم الَّذِي خَرجَ فِيه رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ، أَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب، والزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّام، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فِي نَفَر مِنْ أَصْحَابِه إِلَى مَاءِ بَدْرٍ يَتَسَقَطونَ لَهُ الأَخْبَار عَنْ جَيْشِ قُرَيْش، فَاسْتَطَاعُوا إِلقَاء القَبْضْ عَلَى اِثْنَيْنِ مِنْ سُقَاة قُرَيْش جَاؤُوا بِهِمَا إِلى الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم، إِلا أَنَّهمَا أَكَّدا اِنْتِمَاءَهُمَا لِلجَيشِ القَرَشِي الَّذِي يُعَسْكِر الآنْ قَرْيَبًا مِنْ المُسْلِمينَ تَحْجُبُهم التِّلال والكُثْبَانِ عَنْهُمْ، فَقَالَ الرَسُولُ: أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْش. قَالُوا: هُمْ وَاللهِ وَرَاءَ هَذا الكُثَيبْ الَّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى. فَقَالَ لَهمْ: كَمْ القَوم؟ قَالا: لا نَدْرِي. قَالَ: كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟ "، قَالُوا: يَوْمًا عَشْرًا، وَيَوْمًا تِسْعًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " الْقَوْمُ بَيْنَ الأَلْفِ وَالْتِسْعِ مِائَةٍ، ثُمَّ سَأَلَهُمَا: فَمنْ فِيْهَا مِنْ أَشْرافِ قُرَيْش؟ فَطَفِقَا يَسْتَعْرِضَان عَدداً مِنْ قَادَةِ قُرَيْش فِيهِمْ عُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ و

---

[1] هذا من التوريات البديعة، وهو يحتمل معنيين: أحدهما قريب وهو المكان المعروف بهذا الاسم، والثاني بعيد وهو الماء الذي خلق منه كل كائن حي، وهو مراد النبي.

[2] يعني أمن المكان الذي بالعراق أم من غيره؟

[3] السهيلي: الروض الآنف ٥/٩٣. ابن كثير: السيرة النبوية ٢/٣٩٦. ابن هشام: السيرة ١/ ٦١٦. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٧٥. أبو شهبة: السيرة النبوية٢/١٣١. رواه ابن اسحاق باسناد منقطع لانها من رواية محمد بن يحيى ابن حبان، قال عنه في التقريب ص٥١٢: ثقة فقيه من الرابعة. وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية ص٣٤٣،هامش٣٢ .

[4] المباركفوري: الرحيق المختوم ١/١٩١.السهيلي: الروض الآنف ٥/٩٨. ابن كثير: السيرة النبوية ٢/٤٠٢.

[5] ابن هشام: السيرة ١/ ٦٢٠- ٦٢١ وإسناده مرسل موقوف على عروة. والحاكم: المستدرك ٣/ ٤٤٦- ٤٤٧. البداية والنهاية ٥/ ٨٢: إسناده منقطع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ وغيرهم[1]،وَبِذَلِكَ حَصلَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم عَلَى مَعْلومَاتٍ كَثيرَةٍ عَنْ مَوْقِعِ الجَيْشِ المَكّي، وَمِنْ بِه مِنَ الأَشْرَافِ، وَاسْتَنْتَجَ عَدَدَ أَفْرادِه مِنْ مَعْرِفَتِه لِعددِ مَا يُنْحَر لَهمْ يَومِيّا مِنَ الجِمَالِ وَتَوجّه صلى الله عليه وسلم لِقَومِه قَائِلاً: « هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ كَبِدِهَا » [2]. ثُمَّ قَالَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم: "هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ" – وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَا هُنَا هَا هُنَا– فَمَا مَاطَ [3] أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم [4]، فَباتَ المُسْلِمونَ تِلْكَ اللَيْلَةِ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا[5]، وَباتَ المُشْرِكونَ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى[6]، وَقَدْ ذَكرَ القُرآن الكَرْيم هَذا المَوْقِفْ فِي قَولِه تَعَالَى: (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ) أَيْ العِير الَّذِي فِيهِ أَبُو سُفْيَان (أَسْفَلَ مِنْكُمْ) أَيْ مِمَا يَلِي سَاحِلْ البَحْر، (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) [7] لِيَصيرَ الأَمْر ظَاهرًا، والحُجَّة قَاطِعَة، وَالبَراهِينُ سَاطِعَة، وَلا يَبْقَى لأَحَدْ حُجَّة وَلا شُبْهَة، فَحِينَئذٍ يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ أَيْ: يَسْتَمِرْ فِي الكُفْرِ مَنْ اِسْتَمَر فِيهِ عَلَى بَصْيرَةٍ مِنْ أَمْرِه[8]أَنَّهُ مُبْطِلْ، لِقيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ أَيْ: يُؤْمِنْ مَنْ آمَنَ عَنْ بَيِّنَةٍ أَيْ: عَنْ حُجَّةٍ وَبَصيرَةٍ، (وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ

---

[1] محمود شيت خطاب: الرسول القائد ١/ ١٠٦. السهيلي: الروض الآنف ٥/٩٤. ابن كثير: السيرة النبوية ٢/٣٩٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ١/٢٦١. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٧٦.

(...فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَاكَ ضَرَبُوهُ، فَإِذَا ضَرَبُوهُ، قَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ، فَسَأَلُوهُ قَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ فِي النَّاسِ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُونَهُ إِذَا كَذَبَكُمْ "، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا " يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَمَا أَمَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم). قال الارناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم. أنظر، مسند الامام احمد:٢١/٢٦٤،حديث ١٣٧٠٣.

[2]ابن هشام: السيرة ١/ ٦١٧. سبل الهدى والرشاد ٤/٢٨.ابن كثير: السيرة النبوية ٢/٣٩٨. البيهقي: دلائل النبوة ٣/٤٣.

[3] ماط: أي بَعُد.

[4] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر٣/١٤٠٣،حديث١٧٧٩.

[5] أي القريبة من المدينة.

[6] أي البعيدة عن المدينة من ناحية مكة.

[7] سورة الانفال: الآية ٤٢.

[8] وهبة الزحيلي: التفسير المنير ١٠/١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلِيمٌ) أَيْ: لِدُعَائِكُمْ وَتَضَرُّعِكُمْ وَاسْتِغاثَتِكُمْ به عَلِيمٌ بِكُمْ وَأَنَّكُمْ تَسْتَحِقونَ النَصْرَ عَلَى أَعْدائِكُمْ الكَفَرَةَ المُعَانِدينَ [1].

الجيش المكي في عرصة القتال:

وَلَمَّا وَصلَ جَيْشْ مَكَّةَ إلى بَدْرٍ دَبَّ فِيْهِم الخِلافْ وَكَادُوا أَنْ يَرْجِعُوا دُونَ قِتَال حَيْثُ تَذَكَرُوا الَّذِي كَانَ بَيْنَهمْ وَبينَ بَنْي بَكْر مِنْ خُصُومَةٍ وَخَافُوا أَنْ يَأْتُوهمْ مِنْ خَلفِهمْ فَيُعينونَ عَلَيْهِمْ جَيْشَ المُسْلِمينَ، وَبَينَما هُمْ عَلَى ذَلِكَ إذ جَاءَهُم إبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كِنَانَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا لَكُمْ جَارٌ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَخَرَجُوا سِرَاعًا [2].وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [3].حَيثُ فَرَّ الشَيْطانُ مِنْ سَاحَةِ المَعْرَكَةِ عِنْدَمَا رَأى المَلائِكَة تَتَنزَلْ لِنُصْرة المُؤمِنين. وَتَزَعزَعتْ صُفوفَهمْ الدَاخِلِيَة، وَهَذا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ وَهوَ فِي القِيادَة مِنْ قُرَيْش لا يَرَى دَاعِيًا لِقتَال مُحَمَّد، وَقدْ دَعَا قُرَيْش بِتَركِ مُحَمَّد فَإنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا يَدْعُو إلِيهِ فَعِزُهُ عِزُّ قُرَيْش وَمُلْكُه مُلْكَها، وَسَتكونُ أَسعدَ النَاسَ بِه، وإنْ كَانَ كاذبًا فَسَيَذوب فِي العَرب وَتَنْهِيه[4]،وَأشارَ عَلَيْهِمْ بِالرُجوعِ لَئلا تَكْثر التِراتُ بَينَ الطَرَفينِ وَبينَهمْ أَرْحام وَقَرابات[5]، غَيرَ أَنَّ أَبَا جَهْل خَطَّلَ رَأيهُ وَاتَهَمهُ بِالجُبْنِ [6]، وَأَصرَّ أَبُو جَهْلِ عَلَى القِتَال وَغَلَّبَ رَأيَهُ أَخيرًا [7].

من نعم الله على المسلمين قبل القتال:

كَانَ الوَادِي الَّذِي نَزلَ بِه المُسْلِمونَ لَيْنًا سَهْلًا لا تَثبُتْ فِيهِ أَقْدَام الخُيول، وَالوَادِي الَّذِي نَزلَ بِه المُشْرِكُونَ صَلبًا تَتحركُ فِيه الخَيلَ بسُهولَةٍ، فَأَنعَم اللهُ تَعَالَى عَلَى المُسْلِمينَ بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَاءً لِيُثبتَ بِه أَقْدامَهمْ، وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) تَطْهِيرِ الظَاهِرِ مِنَ الحَدثِ الأَصْغَرِ أَو

---

[1] تفسير ابن كثير٤/٦٩.

[2] "سيرة ابن هشام" ١/ ٦١٢ بإسناد مرسل عن عروة بن الزبير، وتشهد له الآية.

[3] سورة الانفال: الآية ٤٨.

[4] باوزير، أحمد: مرويات غزوة بدر ١/١٦٥.

[5] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٥٩.

[6] الهيثمي: مجمع الزوائد ٦/ ٧٦. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٧٢.

[7] تاريخ الطبري ٢/ ٤٢٥، بسند حسن. نقلاً عن "السيرة النبوية الصحيحة" ٢/ ٣٥٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأَكبَرِ، (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) مِنْ وَسْوَسةٍ أَو خَاطِرٍ سَيءٍ وَهوَ تَطْهِير البَاطِنْ (وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ) بالصَبْرِ وَالإِقْدامِ عَلَى مُجَالَدَةِ الأَعْداءِ، (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) [1]، حَيثُ تَصلَبَتْ الأَرضُ وَتَوَطئتْ، فَثبَتتْ به أَقْدَام الْمُسْلِمينَ فِي مُواجَهةِ عَدُوهِمْ[2]. ثُمَّ أَنزلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤمِنينَ النُعاسَ أَمانًا لَهمْ، وَراحَةً مِنْ عَناءِ السَفرِ، حَتَّى إِذا ما بَدأت المَعْرَكة كَانُوا فِي ذَروَةِ النَشاطِ وَالاسْتِعدَاد.

وَقدْ وَصفَ الصَحابِي الجَليل عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه حَال الْمُسْلِمينَ فِي مُعَسْكَر النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَيْلَة السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ وَهيَّ لَيْلةِ مَعْرَكَةِ بَدْر الْكُبْرَى، فَقالَ: «أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنَ الْمَطَرِ، يَعْنِي اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي صَبِيحَتِهَا وَقْعَةُ بَدْرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ، نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ...»[3].

النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويستغيث:

لَمْ يَنَمْ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم فِي تِلْكَ اللَيْلَة، بَلْ ظلَّ فِي عَرْيشِه الَّذِي بَناهُ لَهُ الصَحابَة بِمَشورَةِ سَعْدُ بْنِ مُعَاذ رضي الله عنه، حيث قَالَ: يَا نَبِيّ اللهِ أَلَا نَبْنِي لَك عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ نُعِدّ عِنْدَك رَكَائِبَك، ثُمّ نَلْقَى عَدُوّنَا، فَإِنْ أَعَزّنَا اللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَرِيشٌ، فَكَانَ فِيهِ.[4].

وَظلَّ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم فِي ذَلِكَ العَرْيش يَدْعُو رَبَّهُ، وَيَستَغِيث به، وَيَسْتَنصرَه. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وَهُوَ فِي قُبَّةٍ له: "اللهُمَّ إِنِّي أَنْشدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللهمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعبد بَعْدَ الْيَوْمِ" فَأَخَذَ أبو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ الله فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) [5][1].

---

[1] سورة الانفال: الآية ١١.

[2] تفسير ابن كثير ٢/ ١٤٥ بتصرف.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٨٠.

[4] "سيرة ابن هشام" ١/ ٦٢١ عن ابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أن سعد بن معاذ قال، ثم ذكره، وله شاهد في "صحيح البخاري" عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبَّة، وهو الحديث الآتي.

[5] سورة القمر: الآيتان٤٥ــ٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ إلى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الْقِبلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعبد فِي الْأَرْضِ"[٢] فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أبو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِي اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ – عز وجل – (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)[٣][٤]، « وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْنِي قَائِمًا يُصَلِّي، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ»[٥]. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ[٦]: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ[٧] عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ[٨] لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ[٩]» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ[١٠] يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ [١١]عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ[١٢]، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ[١٣] بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى[١٤] وَأَمَرُّ[١٥]) [١٦][١٧].

---

[١] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب٤/٤١، حديث ٢٩١٥.

[٢]العلي: صحيح السيرة النبوية ١/١٦٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٩٧، حديث ٩٩٥٣.الغضبان: فقه السيرة النبوية ١/٤٢٤.

[٣] سورة الانفال: الآية ٩.

[٤] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم٣/١٣٨٣،حديث١٧٦٣.

[٥] ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٨٠.

[٦] قبة:بيت صغير من الخيام وكل بناء مدور.

[٧] أنشدك: أسألك.

[٨] هلاك المؤمنين.

[٩] لأنه لا يبقى من يدعو إلى الله عز وجل وتقوى شوكة الباطل.

[١٠] حسبك: يكفيك.

[١١] ألححت: بالغت في الدعاء وأطلت فيه وداومت عليه.

[١٢] سيهزم الجمع: سيفرق جمعهم ويتلاشى.

[١٣] يولون الدبر: يديرون ظهورهم أي يفرون منهزمين.

[١٤] أدهى: أشد وأفظع من الداهية وهي الأمر الشديد الذي لا يهتدى له.

[١٥] أمر: أعظم بلية وأشد مرارة عليهم.

[١٦]سورة القمر: الآيتان ٤٥ــ ٤٦.

[١٧] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب ٤/٤١، حديث ٢٩١٥. مسند الامام احمد ٥/١٦٥، حديث ٣٠٤٢. ابن كثير: السيرة النبوية ٢/٤٢٠. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢/١٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في المعركة:

اِبْتَكرَّ الرَسُول صلى الله عليه وسلم فِي قِتالِه معَ المُشْرِكينَ يَوم بَدرٍ أُسلوبًا جَدْيداً فِي مُقَاتَلةِ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَكُنْ مَعْروفاً مِنْ قَبْلُ عِندَ العَرَب، فَقدْ قَاتلَ صلى الله عليه وسلم بِنظَامِ الصُفوفِ[1].

وَهَذا الأُسْلُوب أَشَار إِلَيْهِ القُرآن الكَرِيمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [2].

وَصِفَة هَذَا الأُسْلُوب: أَنْ يَكْون المُقَاتِلونَ عَلَى هَيْئَة صُفُوفِ الصَلاةِ، وَتَكُون الصُفوف الأُوْلَى مِنْ أَصْحَاب الرِمَاحِ لِصَدِّ هَجَماتِ الفُرْسَانِ، وَتَكُون الصُفُوف الَّتِي خَلْفَها مِنْ أَصْحَاب النِبَال، لِتَسْدِيدِهَا مِنَ المُهَاجمينَ عَلَى الأَعْدَاءِ. وَقَدْ اِتَبعَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم أُسْلُوب الدِفَاعِ وَلَمْ يُهَاجِمْ قوةَ قُرَيْش، وَكَانَتْ تَوجيهاتِه التَكْتِيكِيَة الَّتِي نَفذَها جُنودَه بِكُلِ دِقَةٍ سَبَبًا فِي زَعْزَعَة مَرْكَزِ العَدُو، وإِضْعَافِ نَفْسِيتِهِ، وَبِذَلِكَ تَحَقَقُ النَصْرُ عَلَى العَدُوِّ برَغْمِ تَفوقِهِ.

وَبَينمَا كَانَ صلى الله عليه وسلم فِي بَدْرٍ يَعْدِل الصُّفُوف وَيَقوم بتَسْوِيَتها لِكَي تَكُون مُسْتَقِيمَة مُتَراصّة، وَبِيَدِهِ سَهْم لا رِيشَ لَهُ يَعْدِل به الصَفَّ، فَرَأى رَجُلاً اِسْمُه سَوَادَ بْنَ غَزِيَّةَ، وَقدْ خَرجَ مِنْ الصَفِّ فَطَعَنَهُ صلى الله عليه وسلم فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ لَهُ: «اِسْتَوِ يَا سَوَاد» فَقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْجَعْتَنِي، وَقَدْ بَعَثكَ اللهُ بالحَقِّ وَالعَدلِ فَأَقِدنِي، فَكشَفَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ بَطنِه وَقَالَ: «اِسْتَقِدْ» فَاعْتَنقَه فَقَبَّلَ بَطْنَه، فَقَالَ: «مَا حَمَلكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَاد» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حضر مَا تَرى فَأَرَدتُ أَنْ يَكونَ آخِرَ العُهدُ بِكَ أَنْ يَمُسَ جِلْدِي جِلْدَكَ، فَدَعا لَهُ رَسُولُ اللهِ بِخَيرٍ [3].

---

[1] وهو أسلوب جديد لم تعتد عليه العرب قبل ذلك يقلل من خسائر الجيش ويعوض عن قلة العدد أمام العدو ويمكن القيادة من إحكام السيطرة. انظر، محمود شيت خطاب: الرسول القائد ص ١١١.

[2] سورة الصف: الآية ٤.

[3] العلي، إبراهيم: صحيح السيرة النبوية، ص٢٣٦.

أخرجه ابن إسحاق في " السيرة " (٢/٢٦٦ - سيرة ابن هشام) ومن طريقه أبو نعيم في " معرفة الصحابة " (ق٣٠٣ /١) وابن الأثير في " أسد الغابة " (٢/٣٣٢). وهذا إسناد حسن إن شاء الله. نقلا عن الالباني في الصحيحة/٢٨٣٥. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ١/٢٦٤. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٩١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النبي صلى الله عليه وسلم يشارك شخصيّا في القتال:

كَانَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ مَنعَ الجَيْش مِنْ التَقدُم أَو الالْتِحَام معَ المُشْركينَ إلاّ أَنْ يَكُون النَبيُّ صلى الله عليه وسلم هُوَ المُتَقدِم أولًا، فَقَالَ لهم: "لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إلى شَيءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ" [1]. وَقدْ شَارَكَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم شَخْصِيّاً فِي القِتَال وَكَانَ أَقْرَب النَاسِ إلى خُطوطِ العَدُوَّ كما كَانَ أَشَدَّ المُؤمِنينَ بَأْسَاً [2]، فَقدْ نَقلَ الإمامْ أَحْمد بِسَنَدِه عَنْ عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَوْلَه: « لَمَّا حَضَرَ البَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ أَحَدٌ قَالَ: ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى المُشْرِكِينَ مِنْهُ » [3]. ونَصحَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم جُنْدَهُ وَأَمَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: "إِذَا أَكْثَبُوكُمْ [4] فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ[5]" [6]، فَأَمَرَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم أَلاّ يَضْرِبوا إلاّ مِنْ قَرِيبٍ، حَتَّى تُصْيب القَوْم.

صبيحة يوم المعركة:

وَفِي صَبَاحِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ وَبَعْدَّ أَنْ نَظّمَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم جَيْشَهُ،حَرَضَّهُمْ عَلَى القِتَال، فَقَالَ لهم: "قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ"[7]، فقَالَ عُمَيْرُ بن الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بَخٍ، بَخٍ [8]فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ، بَخٍ؟ "، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"

---

[1] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد٣/١٥٠٩،حديث١٩٠١.

[2] مسند الامام احمد ٨١/٢، حديث ٦٥٣. مصنف ابي شيبة ٤٢٦/٦، حديث ٣٢٦١٤.

[3] مسند أبي يعلى ٣٢٩/١، حديث ٤١٢. مسند الامام احمد ٣٠٧/٢، حديث ١٠٤٢. المسند الجامع ٣٩٥/١٣، حديث ٣٩٥/١٣، حديث ١٠٣١٢.

[4] أي: اقتربوا منكم.

[5] أي: ابقوا على نبلكم ولا تستعملوه حتى يقتربوا منكم، حفاظًا على السهام وحتى لا تنفذ من غير فائدة.

[6] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي:باب فضل من شهد بدرا ٧٨/٥، حديث ٣٩٨٤.

[7] صحيح مسلم: كتاب الامارة،باب ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥٠٩،حديث ١٩٠١. البيهقي: دلائل النبوة ٦٩/٣. جامع الاصول في أحاديث الرسول ١٨١/٨، حديث ٦٠١٣. مسند الامام احمد ٣٨٩/١٩، حديث ١٢٣٩٨.العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣٦٢/٢.

[8] بخ، بخ: فيه لغتان أحدهما: إسكان الخاء، أو كسرها منونًا، وهي: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. "شرح مسلم" للنووي ١٣/ ٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَأَخْرَجَ – عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ – تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ [1]فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ[2].

فَلَمَا أَقبلَ الْمُشْرِكُونَ وَدَنوا مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ أَخذَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ رَماهُ فِي وُجُوهِهِمْ فَمَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا أَصَابَ عَيْنَيْهِ وَمِنْخَرَيْهِ وَفَمَهُ تُرَابٌ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوا مُدْبِرِينَ [3]وفي ذلك يقول الله تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)[4].

وَعِنْدَما تَقابَلَ الجَيْشَان وَدَنا بَعْضَهمْ مِنْ بَعْضٍ، كَانَ الْمُسْتَفْتِحَ أَبُو جَهْلٍ وإِنَّهُ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ: " اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَاحْنِهِ الْغَدَاةَ، فَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [5].

ابتداء القتال بالمبارزات الفردية:

وَبَدأَ القِتَال بِمُبارَزاتٍ فَردِيَةٍ، فَقدْ خَرجَ عُتْبَةُ بْنَ رَبيعَةَ وَوَلَداهُ الْوَلِيدِ وشَيْبَةُ طَالِبِينَ الْمُبَارَزَة، وَرَفَضُوا مبارَزة بَعْض شَبَاب الأَنْصَار الَّذِينَ انْتُدِبُوا لِقتَالِهِمْ، فَأَمَرَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب، وعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب، و عُبَيْدَةَ ابْن الْحَارِثِ فَبارَزوهُمْ وَقَتَلوهُمْ. وَفِي هَؤلاءِ السِتَّةِ نَزلَ قَولُهُ تَعَالَى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [6].

---

[1] قرنه: بقاف وراء مفتوحتين، وهي الجُعبة.

[2] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد٣/١٥٠٩،حديث١٩٠١.

[3] تفسير الطبري ١١/ ٨٦.

[4] سورة الانفال: الآية ١٧.

[5]سورة الأنفال: الآية ١٩، الحاكم: المستدرك ٢/ ٣٥٧،حديث ٣٢٦٤ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

[6]سورة الحج: الآيات ١٩- ٢٤. ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٩٧ الحديث ٣٩٦٦. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقتلُ عدو الله أبي جهل:

عَنْ عبد الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَما أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا [1]، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَل تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ [2] حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرتُ إلى أبي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ [3]، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: "أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ " فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيكُمَا؟ " قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ"، وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بن عَمْرِو بن الْجَمُوحِ. وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بن عَمْرِو بن الْجَمُوحِ وَمُعَاذُ بن عَفْرَاءَ [4].وفي لفظ: وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ [5].

الزبير يقتل عُبيدة بن سعيد بن العاص:

عن الزُّبَيْر قال: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ [6] لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أبو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَقَالَ: أَنَا أبو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ [7] فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ [8].

مقتل عدو الله أمية بن خلف:

---

[1] أضلع منهما: أقوى منهما، أي: تمنيت لو كنت بين أقوى منهما.

[2] أي لا يفارق شخصي شخصه.

[3] يزول بين الناس: أي يتحرك بسرعة شديدة بين الناس في ميدان المعركة.

[4] متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي:بَاب فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، ٥/٧٨، حديث ٣٩٨٨. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل٣/١٣٧٢،حديث١٧٥٢.

[5] معاذ بن عمرو بن الجموح أخو معاذ بن عفراء من أمه، وقد ضبط الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "الإصابة" ٦/ ١١٣ اسم معاذ بن عمرو بن الجموح فقال: (معوِّذ).

[6] مدججٌ: أي مغطى بالسلاح ولا يظهر منه شيء.

[7] العنزة: الحربة الصغيرة.

[8] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي:بَاب شُهُودِ الْمَلَائِكَةِ بَدْرًا٥/٨١، حديث ٣٩٩٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بَعْدَ مَا قَتَلَ أَبْطالُ الْمُسْلِمينَ فِي بِدايَةِ الْمَعْرَكَةِ ثَلاثَةً مِنْ أَلَدِّ أَعْداءِ الإِسْلام الَّذِينَ طَالَمَا آذَوا الْمُسْلِمينَ، وَصَدوا عَنْ سَبيلِ اللهِ وَهمْ شَيْبَةُ وعُتْبَةُ إِبْنَا رَبيعَةَ، والْوَلِيدِ بْنَ عُتْبَةَ، وَتَمَكنُوا أَيْضًا فِي وَسَطِ الْمَعْرَكَةِ مِنْ قَتْلِ صِنْديدٍ آخر مِنْ صَناديدِ قُرَيْش وَهوَ أَبُو جَهْلٍ، أَعَانَهُم اللهُ فِي آخِرِ الْمعركة عَلَى قَتْلِ وَاحدٍ مِنْ أَلَدِّ أَعْداءِ الإِسْلام فِي مَكَّةَ، وَأَشَدَّهَا ظُلماً لِضُعَفاءِ الْمُسْلِمينَ، وَهوَ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ.

عن عبد الرحمن بن عوف قال: كَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ لِي صَدِيقًا بِمَكَّةَ، وَكَانَ اسْمِي عَبْدَ عَمْرٍو، فَتَسَمَّيْتُ، حِينَ أَسْلَمْتُ، عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَنَحْنُ بِمَكَّةَ، فَكَانَ يَلْقَانِي إِذْ نَحْنُ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، أَرَغِبْتَ عَنْ اسْمٍ سَمَّاكَهُ أَبَوَاكَ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَيْئًا أَدْعُوكَ بِهِ، أَمَّا أَنْتَ فَلَا تُجِيبُنِي بِاسْمِكَ الْأَوَّلِ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدْعُوكَ بِمَا لَا أَعْرِفُ، قَالَ: فَكَانَ إِذَا دَعَانِي: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، لَمْ أُجِبْهُ.قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، اجْعَلْ مَا شِئْتَ، قَالَ: فَأَنْتَ عَبْدُ الْإِلَهِ، قَالَ:فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ بِهِ قَالَ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ فَأُجِيبُهُ، فَأَتَحَدَّثُ مَعَهُ. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ ابْنِهِ، عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ، آخُذُ بِيَدِهِ، وَمَعِي أَدْرَاعٌ، قَدْ اسْتَلَبْتُهَا، فَأَنَا أَحْمِلُهَا. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي:يَا عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ لَكَ فِيَّ، فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاعِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، هَا اللَّهِ ذَا [1] إِذًا، قال: فَطَرَحْتُ الْأَدْرَاعَ مِنْ يَدِي، وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَيَدِ ابْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، أَمَا لَكُمْ حَاجَةٌ فِي اللَّبَنِ -أي من أَسَرَنِي افْتَدَيْتُ مِنْهُ بِإِبِلٍ كَثِيرَةِ اللَّبَنِ - ثُمَّ خَرَجْتُ أَمْشِي بِهِمَا، فقال أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ، مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الْمُعْلَمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ، قَالَ عبد الرَّحْمَنِ: فو الله إِنِّي لَأَقُودُهُمَا إِذْ رَآهُ بِلَالٌ مِعَى- وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُعَذِّبُ بِلَالًا بِمَكَّةَ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ، فَيُخْرِجُهُ إِلَى رَمْضَاءَ [2] مَكَّةَ إِذَا حَمِيَتْ، فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تُفَارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَيَقُولُ بِلَالٌ: أَحَدٌ أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ، قَالَ: رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا . قَالَ: قُلْتُ: أَيْ بِلَالُ، أَبِأَسِيرَيَّ. قَالَ: لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: قُلْتُ: أَتَسْمَعُ يَا بن السَّوْدَاءِ، قَالَ: لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمُسْكَةِ[3] وَأَنَا أَذُبُّ عَنْهُ.قَالَ: فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السَّيْفَ[4]، فَضَرَبَ رِجْلَ ابْنِهِ فَوَقَعَ، وَصَاحَ أُمَيَّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ. قَالَ: فَقُلْتُ: انْجُ بِنَفْسِكَ، وَلَا نجاء بك فو الله مَا أُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. قَالَ: فَهَبَرُوهُمَا[5]

---

[1] مما يستعملونه في القسم أن يحذفوا حرف القسم ويذكروا في مكانه (ها) فكأنه قال: نعم والله إذًا.

[2] الرمضاء: الرمل الشديد الحرارة من الشمس.

[3] المَسَكَةُ: السوار، أو الأسورة.

[4] أي أخرجه من غمده.

[5] هبروهما: أي قطعوا لحمهما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِأَسْيَافِهِمْ، حَتَّى فَرَغُوا مِنْهُمَا. قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: يَرْحَمُ اللَّهُ بِلَالًا، ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرَيَّ[1].

الملائكة تقاتل مع الفئة المؤمنة:

وَقَدْ ثَبتَ مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَمدَّ الفِئَةَ المُؤمِنَة بالنَصْرِ، وَبِأَنَّهُ أَمَدهُمْ بِالمَلائِكَةِ الَّذِينَ ثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا فَقاتَلوا مَعَهُم، وَأنه تَعَالَى أَلْقَى فِي قُلوبِ الَّذِينَ كَفَروا الرُعْبَ، وَكما وَرَدَ عَدداً مِنَ الأحادِيثِ الصَحِيحَةِ الَّتِي تُشيرُ إِلى مُشَارَكَةِ المَلائِكَةِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَقِيامِهِمْ بِضَرْبِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتْلِهِمْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: خَفَقَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَفْقَةً فِي العَرْيشِ ثُمَّ انْتَبَه فَقالَ: " أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَتَاكَ نَصْرُ اللَّه هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ " [2]

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: "هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ" [3] وعن ابْن عَبَّاس رضي الله عنه أيضًا قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ" [4] وأسر رجل من المسلمين الْعَبَّاسَ بن عبد الْمُطَّلِب، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ [5] مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: "اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ" [6] وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

---

[1] حسن: أخرجه ابن هشام في "السيرة" ١/ ٦٣١، ٦٣٢، بأسانيد حسنة إلى عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - وأخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوكالة، باب إذا وكّل المسلم حربيًا في دار الحرب أو في دار الإسلام جاز ٣ /٩٨، حديث ٢٣٠١.

[2] النقع: الغبار. الغزالي: فقه السيرة ١/٢٣٤. ابن هشام: السيرة ١/ ٦٢٧، بدون سند، لكن وصله الأموي من طريق ابن إسحاق، حدثني الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير، وهذا سند حسن، وسكت عنه ابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ٤٢٠.

[3] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا٥/٨١، حديث ٣٩٩٥.

[4] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم٣/١٣٨٣،حديث١٧٦٣.

[5] الأجلح: الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه.

[6] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده:٢/ ٢٦١،حديث(٩٤٨) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [1]أي: مُتَتابِعِيْنَ (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2][3].

انتهاء المعركة وهزيمة المشركين:

اِنتَهت المَعْرَكَة بِهَزِيمَة الْمُشْرِكِينَ هَزِيمَة نَكْرَاء، وَنَصرٍ كَبِيرٍ للمُسْلِمِينَ. عَنِ الْبَرَاء بن عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: وَكانَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا[4]، وَفَرَّ بَاقِي مُقَاتِلَةُ الْمُشْرِكِينَ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَتَرَكُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ. أما شُهَدَاءُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ دُفِنُوا فِي أَرْضِ المَعْرَكَةِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَهِيدًا [5].

بعد انتهاء المعركة:

عن أَنَس بن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَنْظرُ لَنَا مَا صَنَعَ أبو جَهْلٍ؟"، فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَكَ، قَال: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: آنْتَ أبو جَهْلٍ؟ فَقَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ [6]أَوْ قَالَ: قَتَلَهُ قَوْمُهُ، ثم قَالَ أبو جَهْلٍ: فَلَوْ غَيْرُ أَكَّارٍ قَتَلَنِي [7] ومما حدث أيضًا بعد إنتهاء المعركة أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي

---

[1] سورة الانفال: الآية ٩.

[2] سورة الانفال: الآية ١٠.

[3] وأما عن حكمة اشتراك الملائكة بهذه الطريقة مع أن جبريل وحده قادر على إهلاكهم بأمر الله، فيوضح السبكي ذلك بقوله: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي – صلي الله عليه وسلم – وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع. والله أعلم. فتح الباري" ٧/ ٣١٣، في التعليق على الحديث رقم (٣٩٩٥).

[4] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه:كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، ٧٨/٥، حديث ٣٩٨٦.

[5] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣٦٦/٢. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري١١١/١٤. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ٢٨٦/١.

[6] أي: لا عار عليَّ في قتلكم إياي."النووي ": شرح صحيح مسلم ١٦٠/١٢.

[7] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازى، باب قتل أبي جهل٧٤/٥، حديث ٣٩٦٢.

صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب قتل أبي جهل١٤٢٤/٣،حديث١٨٠٠.

قَوْله: (فلَوْ غَيْر أَكَّار قَتَلَنِي؟!!) الْأَكَّار: الزَّرَّاع وَالْفلاَّح، وَهُوَ عِنْد الْعَرَب نَاقِص، وَأَشَارَ أبو جَهْل إِلَى اِبْنَي عَفْرَاء اللَّذَيْن قَتَلَاه، وَهُمَا مِنْ الْأَنْصَار، وَهُمْ أَصْحَاب زَرْع وَنَخِيل، وَمَعْنَاهُ: لَوْ كَانَ الَّذِى قَتَلَنِي غَيْر أَكَّار لَكَانَ أَحَبّ إِلَيَّ وَأَعْظَم لِشَأْنِي، وَلَم يَكُنْ عَلَيَّ نَقْص فِي ذَلِكَ. "النووي ": شرح صحيح مسلم ١٦٠/١٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخبِثٍ – وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ [1] ثَلَاثَ لَيَالٍ –، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ [2] فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: "يَا فُلَانُ بن فُلَانٍ، وَيا فُلَانُ بن فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنكُمْ أَطَعْتُمْ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا" فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا رُوحَ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ"، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمْ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا [3]

ثُمَّ تَحَرَكَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ بَدرٍ رَاجِعًا إِلى المَدْينَة، حَتّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالصّفْرَاءِ قُتِلَ النّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ قَتَلَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمّ خَرَجَ حَتّى إِذَا كَانَ بِعِرْقِ الظّبْيَةِ قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ [4].

وعَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أنها قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَاءِ أبي الْعَاصِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أبي الْعَاصِ قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: "إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا"، قَالُوا: نَعَمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ عَلَيْهِ، أَوْ وَعَدَهُ، أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ [5].

وَكَانَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا فَرِغَ مِنْ بَدْرٍ– قَدْ أَرْسلَ بَشِيرَين إِلى أَهْلِ المَدينَة، بَعثَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلى أَهْلِ السَّافِلَة، وَبعثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى أَهلِ العَالِيةِ يُبَشِروَنَهُم بِفَتحِ اللهِ عَلَى نَبِيهِ صلى الله عليه وسلم، فَوَافقَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ابنه أُسَامَةَ حِينَ سَوَّى التُّرَابَ عَلَى رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقِيلَ لَهُ: ذَاكَ أَبُوكَ حِينَ قَدِمَ، قَالَ أُسَامَةُ: فَجِئْتُ وَهُوَ وَاقِفٌ لِلنَّاسِ، يَقُولُ: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَنَبِيُّهُ وَمُنَبِّهٌ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، أَحَقٌّ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ[6].وقسَّم النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم الغَنائِم عَلَى الصحابة رَضِوَان اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

---

[1] العرصة: أي الساحة، أي أقام بساحة المعركة.

[2] أي: البئر.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل٥/٧٦، حديث ٣٩٧٦.صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه٤/٢٢٠٣،حديث٢٨٧٤.

[4] "سيرة ابن هشام" ١/ ٦٤٤.

[5] حسن: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب فداء الأسير بالمال،٤/٣٢٨،حديث(٢٦٩٢) وحسنه الألباني.

[6] حسن: أخرجه الحاكم في مستدركه:٣/٢٤٠،حديث (٤٩٥٩)، وقال الحاكم: على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَنْ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم، فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ في آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، فَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيلُ وَفاءَ النَّاسُ بَعْضهُمْ إلى بَعْضٍ، قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ، وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا في طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، وَاشْتَغَلْنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) [1] فَقَسَمَهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى فَوَاقٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ [2].

وَحدث أَيضًا كَما يَقُولُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: جِئْتُ إلى النَّبِي صلى الله عليه وسلم يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ الله قَدْ شَفَى صَدْرِي الْيَوْمَ مِنْ الْعَدُوِّ، فَهَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ، قَالَ: "إِنَّ هَذَا السَّيفَ لَيسَ لِي وَلَا لَكَ"، فَذَهَبْتُ وَأَنَا أَقُولُ: يُعْطَاهُ الْيَوْمَ مَنْ لَم يُبْلِ بَلَائِي! فَبَيْنَا أَنَا إِذْ جَاءَنِي الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "أَجِبْ"، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ نَزَلَ فِيَّ شَيءٌ بِكَلَامِي، فَجِئْتُ فَقَالَ لِي النَّبِي صلى الله عليه وسلم:"انَّكَ سَأَلْتَنِي هذَا السَّيفَ، وَلَيْسَ هُوَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّ الله قَدْ جَعَلَهُ لِي، فَهُوَ لَكَ" ثُمَّ قَرَأَ: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) [3][4].

اسرى قريش:

فَعنْ عُمَرَ رضي الله عنه قال: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لِأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ: "ما تَرَوْنَ في هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ " فَقَالَ أبو بَكْرٍ: يَا نَبِي الله هُمْ بنو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:"مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ "، قُلْتُ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أبو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ -نَسِيبًا لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم مَا قَالَ أبو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأبو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيءٍ

---

[1] سورة الانفال: الآية ١.

[2] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده: ٤٢٢/٣٧، حديث(٢٢٧٦٢) بإسناد صحيح.

[3] سورة الانفال: الآية ١.

[4] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الأنفال١٣٦٧/٣،حديث١٧٤٨. وأبو داود (٢٧٤٠)، كتاب: الجهاد، باب: في النفل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاء بَكَيتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخذِهِمْ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ" – شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِي اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) إلى قَوْلِهِ: (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا) [1]فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ [2]. فَفدَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الأُسَارَى بِمَالٍ.

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرِوَايَاتْ أَنَّ قَدرْ الفِديَة كَانَ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ [3].

وعن أَنَس بن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، قَالَ: وَاللهِ لَا تَذَرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا [4].وقال النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي أُسَارَى بَدْرٍ: "لَوْ كَانَ الْمُطعِمُ بن عَدِيٍّ حَيا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ " [5].

---

[1] سورة الانفال: الآيتان ٦٧ــ٦٩.

[2] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم٣/١٣٨٣،حديث١٧٦٣.

[3] كَانَ فِي الْأَسْرَى: أَبُو وَدَاعَةَ بْنُ صُبَيْرَةَ السَّهْمِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " إِنَّ لَهُ بِمَكَّةَ ابْنًا تَاجِرًا كَيِّسًا ذَا مَالٍ، كَأَنَّكُمْ قَدْ جَاءَكُمْ فِي فِدَاءِ أَبِيهِ ". فَلَمَّا قَالَتْ قُرَيْشٌ فِي الْفِدَاءِ مَا قَالَتْ، قَالَ الْمُطَّلِبُ: صَدَقْتُمْ، وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ لَيَتَأَرَّبَنَّ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ انْسَلَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَفَدَى أَبَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ».رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.أنظر، الهيثمي: "مجمع الزوائد" ٦/ ٩٠،حديث ١٠٠٢١. عماد الدين خليل:دراسة في السيرة، ص١٥٢.

[4] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا٥/٨٥، حديث ٤٠١٨.

[5] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا ٥/٨٦، حديث ٤٠٢٤.

قال النبي – صلي الله عليه وسلم – ذلك وفاءً للمطعم، فالمطعم كان ممن مزقوا صحيفة قريش الجائرة وأخرجوا النبي – صلي الله عليه وسلم – من شعب أبي طالب، وأيضًا هو الذي أدخل النبي – صلي الله عليه وسلم – مكة في جواره بعد عودته من الطائف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة بدر

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة بدر:

١- إصلاح ذات البين وتوحيد الصف، ورفع النزاع والخصومة بين المؤمنين من أولى مقومات النصر ولوازمه، والتفرق والتنازع من أعظم مسببات الضعف والفشل، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [١].

٢- لا بد من الإعداد المادي والمعنوي لمواجهة العدو [٢]،قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [٣].

٣- عوامل النصر على الكفار، وهي: أ-الثبات.ب- دوام الأتصال بالله بدوام ذكره. ت- عدم التنازع والاختلاف. ث- الصبر.ج- اخلاص العمل لله، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

٤- النصر ابتداء وانتهاء، بيد الله عز وجل، وليس ملكًا لأحد من الخلق، يهبه الله لمن يشاء ويصرفه عمن يشاء، مثله مثل الرزق، والأجل والعمل.قال تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [٤].

٥- من أعظم أسرار النصر أن تأتي قوة الترابط بين المؤمنين والمحبة فيما بينهم والتآلف بين قلوبهم بعد قوة الإيمان، وهذه منَّةٌ من الله،قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [٥].

---

[١] سورة الانفال: الآية ١.

[٢] الغضبان، منير محمد: فقه السيرة النبوية، ص٤٦١، ٤٦٢.

[٣] سورة الأنفال: الآية ٦٠.

[٤] سورة الأنفال: الآية ١٠.

[٥] سورة الانفال: الآية ٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦- سلاح الرعب من أقوى الأسلحة التي يتحقق بها الغلبة على الأعداء، وهذا السلاح إذا سرى في أقوى الجيوش وأعتاها، فإنه ينهار ولا يغني عنه لا عدد ولا عتاد، وهذا السلاح لا يملك خزائنه إلا من يقدر على الوصول إلى القلب الذي هو محلّ التثبيت والخوف والهلع. فسلاح الرعب سلاح ينفذ إلى أعماق القلوب، فيسلب من أصحابها العقلَ والحسَّ، ويجعلها في حالة من الذهول واللا وعي، قال تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [١]

٧- يجب على المسلمين أن يأخذوا بالأسباب، لكن يجب أن لا يغتروا بها، وأن يكون اعتمادهم على خالق الأسباب حتى يمدهم الله بنصره وتوفيقه، وأن النصر الذي كان في بدر، إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولاً وبفضله ومعونته، قال تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [٢].

٨- وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. لقد كان الذين خرجوا للمعركة من المسلمين إنما خرجوا يريدون عير قريش يريدون قافلة وغنيمة ورحلة مريحة، فأراد الله لهم غير ما أرادوا، أرادها أن تكون معركة وقتالاً وقتلاً وأسرًا، وقد قال الله سبحانه: إنه صنع هذا (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ) وإن الحق لا يحق وإن الباطل لا يبطل -في المجتمع الإنساني- إلا بأن يتحطم سلطان الباطل ويعلو سلطان الحق، وذلك لا يتم إلا بأن يغلب جند الحق ويظهروا ويهزم جند الباطل ويندحروا، قال تعالى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} [٣].

٩- نقص العدد والعدة ليس هو سبب الهزيمة، قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [٤].

---

[١] سورة الانفال: الآية ١٢.

[٢] سورة الانفال: الآية ١٧.

[٣] سورة الانفال: الآيتان ٧ــــ ٨.

[٤] سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه متاعبهم يوم بدر:

عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين للتصدي إلى عير قريش، وكان مع المسلمين (٧٠) بعيراً مما اضطرهم على أن يتعاقب على ركوب البعير كل ثلاثة أو أربعة، وقد سرى هذا الترتيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يختص ببعير لنفسه بل كان ثالث ثلاثة يتعاقبون على بعير واحد، ولما عرض عليه اللذان كانا معه أن يبقى راكباً ويكفياه مؤنة المشي رفض ذلك،

إن مثل هذه المشاركة تقوي الصلة بين القائد واتباعه وتجد الناس فيه الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة والتطبيق العملي لمعاني الدعوة، فعلى ولي الأمر أو القائد أو المسؤول أن يشارك أصحابه في متاعبهم، لأن هذه المشاركة تقوي الصلة بهم، ويكون هذا الصنيع من المسؤول دعوة صامتة، يجد الناس فيه الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فكم من صامت أبلغ من متكلم أو خطيب[1].

المستفاد من استكشاف النبي صلى الله عليه وسلم لأحوال العدو:

الدعوة الإسلامية لها خصومها وأعداؤها في كل زمان ومكان، فعلى العاملين في الحقل الإسلامي استكشاف أحوال هؤلاء الخصوم والأعداء لأخذ الوقاية من شرورهم، وقد رأينا كيف أن النبيصلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه قاما باستكشاف أحوال المشركين، ويقوم بهذا الاستكشاف جميع الأفراد العاملين في الحقل الإسلامي ويستفاد من ذلك أيضاً:ـــ

١- أهمية معرفة أحوال العدو والتجسس عليه وتتبع أخباره واستنتاج أحواله واستعداده، فقد سأل عن منزل قريش وعددها وزعمائها وأبطالها، وأرسل العيون لذلك وسأل من لم يكن على علم بما يدور ليكون أقرب إلى الصواب وأبعد عن الشبهة، وقام بنفسه ومعه صاحبه أبو بكر ببعض هذه المهام ليكون ذلك درساً لكل قائد عسكري، كي لا يكون اعتماده كله على عيونه وجواسيسه.. ولأن نظر القائد أبعد من نظر من دونه، وحرصه أشد من حرص غيره، وليكون كل جندي عيناً على عدوه يعرف كل ما يستطيع معرفته عنه، ويواصل أخباره ويكشف تحركاته ومؤامراته.

٢- جواز إرسال الجواسيس وبث العيون والتعمية على العدو بكل وسيلة ممكنة فقد قطع أجراس الإبل ليبقي تحرك الجيش سرا عسكريا، وجواز استعمال المعاريض وخصوصاً في وقت الحرب خروجا من الكذب كقوله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء جوابا لمن سأله ممن أنتما؟

---

[1] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/١٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من مشورة الحباب بن المنذر:

إن الحرية التي ربَّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحًا باهرًا، وإن كان حديث السن؛ لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد، أو آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد؛ لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه[1].

ونلحظ عظمة التربية النبوية التي سرت في شخص الحباب بن المنذر، فجعلته يتأدب أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم دون أن يُطلب رأيه، ليعرض الخطة التي لديه، لكن هذا تم بعد السؤال العظيم الذي قدمه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم. يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ إن هذا السؤال ليشي بعظمة هذا الجوهر القيادي الفذ الذي يعرف أين يتكلم ومتى يتكلم بين يدي قائده، فإن كان الوحي هو الذي اختار هذا المنزل، فلأن يقدم فتقطع عنقه أحب إليه من أن يلفظ بكلمة واحدة، وإن كان الرأي البشري فلديه خطة جديدة كاملة باستراتيجية جديدة.

وتبدو عظمة القيادة النبوية في استماعها للخطة الجديدة، وتبني الخطة الجديدة المطروحة من جندي من جنودها أو قائد من قوادها[2].

إن هذه النفسية الرفيعة، عرفت أصول المشورة، وأصول إبداء الرأي، وأدركت مفهوم السمع والطاعة، ومفهوم المناقشة، ومفهوم عرض الرأي المعارض لرأي سيد ولد آدم، عليه الصلاة والسلام.

المستفاد من خطة الرسول صلى الله عليه وسلمبجعل القتال بنظام الصفوف:

١- لإرهاب الأعداء ودلالة على حسن وترتيب النظام عند المسلمين.

٢- جعل القوة الاحتياطية بيد القائد الأعلى صلى الله عليه وسلم يعالج بها المواقف المفاجئة في صد هجوم معاكس، أو ضرب كمينٍ غير متوقع، ويستفاد منه في حماية الأجنحة من خطر المشاة والفرسان، ويعد تطبيق هذا الأسلوب لأول مرة في غزوة بدر سبقًا عسكريًا تميزت به المدرسة العسكرية الإسلامية على غيرها منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان[3].

---

[1] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٤/١١٠.

[2] الغضبان: التربية القيادية ٣/٢١.

[3] محمود شيت خطاب: الرسول القائد، ص١١١، ١١٦، ١١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من قصة سواد بن غَزِيّة رضي الله عنه:

يستفاد من قصة سواد بن غزية:

١- حرص الإسلام على النظام.

٢- العدل المطلق: فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القود من نفسه.

٣- حب الجندي لقائده.

٤- تذكر الموت والشهادة.

٥- جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبارك، ومسه فيه بركة، ولهذا حرص عليها سواد.

٦- بطن الرجل ليس بعورة بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عنه ولو كان عورة لما كشف عنه[١].

المستفاد من قتال الابن لأبيه والأخ لأخيه في غزوة بدر:

رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صورًا مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطًا فاصلاً بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعًا ماديًّا وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت القيم الجاهلية، فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه:

١- كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبة في صف المشركين، وقد قتلوا جميعًا في المبارزة الأولى.

٢- كان أبو بكر الصديق في صف المسلمين.. وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

٣- كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيرًا في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات: إنه أخي دونك[٢]، إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي آصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي[٣].

٤- كان شعار المسلمين في بدر (أَحَدٌ، أَحَدٌ) وهذا يعني أن القتال في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله

---

[١] محمد أبو فارس، غزوة بدر الكبرى، ص٥٢.

[٢] ابن كثير: البداية والنهاية ١٩١/٥.

[٣] الشامي: معين السيرة، ص٢١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الواحد، فلا العصبية ولا القبلية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا الثأر هو الباعث والمحرك، ولكنه الإيمان بالله وحده.

المستفاد من رفض النبي صلى الله عليه وسلم الموافقة على قبول طلب المشرك:

في غزوة بدر - في الأحداث التي سبقتها- أراد مشرك أن يلحق بجيش المسلمين، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الموافقة على قبوله معهم، والاشتراك فيما هم ذاهبون إليه فقال صلى الله عليه وسلم: «ارجع فلن أستعين بمشرك»[1] فالحديث يبين أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء، وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة وهي:

١ــ تحقق المصلحة، أو رجحانها بهذه الاستعانة.

٢ــ ألا يكون ذلك على حساب الدعوة ومعانيها.

٣ــ أن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به.

٤ــ أن يكون تابعًا للقيادة الإسلامية، لا متبوعًا، ومقودًا فيها لا قائدًا لها.

٥ــ ألا تكون هذه الاستعانة، مثار شبهة لأفراد المسلمين.

٦ــ أن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة وبمن يستعان به. فإذا تحققت هذه الشروط جازت الاستعانة على وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تجز الاستعانة. وفي ضوء هذا الأصل رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراك المشرك مع المسلمين في مسيرهم إلى عير قريش إذ لا حاجة به أصلاً، وفي ضوء الاستثناء وتحقق شروطه استعان النبي صلى الله عليه وسلم بالمشرك عبد الله بن أريقط الذي استأجره النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في هجرتهما إلى المدينة؛ ليدلهما على الطريق إليها.. وضبط هذه القاعدة مع فهم شروط الاستثناء في واقع الحياة يحتاج إلى فقه دقيق وإيمان عميق[2].

المستفاد من بناء عريش للرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر:

١- يحتاج قائد الجيش إلى وضع الخطط النافعة للمعركة في ضوء المعلومات التي ترد إليه عن أحوال العدو وأحوال جنده؛ ولذلك فهو يحتاج إلى محل آمن وراحة بال، وصفاء فكر، وهدوء، وطول تأمل، واستشارة من

---

[1] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/٣٥٥.

[2] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/١٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هم عنده من أهل الشورى، ولا يمكنه ذلك إذا زج نفسه في المعركة وشارك جنوده مشاركة فعلية ودائمة في جهادهم القتالي، لذلك لا بد أن يكون مكان القيادة مشرفًا على أرض المعركة، يتمكن القائد فيه من متابعة المعركة وإدارتها.

٢- ينبغي أن يكون مقر القيادة آمنًا بتوافر الحراسة الكافية له.

٣- ينبغي الاهتمام بحياة القائد، وصونها من التعرض لأي خطر.

٤- ينبغي أن يكون للقائد قوة احتياطية أخرى تعوض الخسائر التي قد تحدث في المعركة[١].

المستفاد من مشاورة الرسول صلى الله عيله وسلم لأصحابه:

مبدأ الشورى من أهم مقومات نظام الحكم في الإسلام، به نطق القرآن، وجاءت به السنة، وأجمع عليه الفقهاء، وهو حق للأمة وواجب على الخليفة، جاء في تفسير القرطبي «قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب»[٢] فلا بقاء لحاكم مستبد في دولة الإسلام.

إن المشاورة سبيل معرفة الرأي الصواب لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهة هذا الرأي ومدى فائدته، وبعرض هذه الآراء ومناقشتها يظهر الصواب غالباً، كما أن بالمشاورة استفادة بلا جهد من خبرات الآخرين وتجارهم التي اكتسبوها في سنين طوال وبجهود وتضحيات، كما أن المشاورة عصمة لولي الأمر من الإقدام على أمور تضر بالأمة ولا يشعر هو بضررها، ولا سبيل إلى إصلاح الضرر بعد وقوعه، ولا يرفعه كونه حسن النية.

والمشاورة مع الأمة تجري في شؤون الدولة المختلفة وفي الأمور الشرعية الاجتهادية التي لا نص فيها، أي أن رئيس الدولة يستشير في أمور الدين والدنيا كما يقول الفقهاء، فقد جاء في تفسير الجصاص «الاستشارة تكون في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها...» [٣]، والمشاورة في أمور الدنيا أي في شؤون الدولة المهمة منها مثل تسيير الجيوش وإعلان الحرب وعقد المعاهدات وإسناد المناصب المهمة في الدولة إلى مستحقيها ونحو ذلك، فلا تكون المشاورة في كل شيء من شؤون الدولة حتى في صغائرها وجزئياتها، فإن هذا غير ممكن ولا مطلوب ولا حاجة إليه ولا منفعة فيه ولا دليل عليه.

---

[١] محمد أبو فارس: غزوة بدر الكبرى، ص٦٦.

[٢] تفسير القرطبي: ٤/٢٤٩.

[٣] احكام القرآن للجصاص: ٢/٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفاد من إرجاع النبي صلى الله عيله وسلم البراء بن عازب وعبد الله بن عمر:

١- ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صغار السن خشية ألا يكون لهم صبر على ضرب السيوف، ورمي السهام، وطعن الرماح، فيفروا من المعركة إذا حمي الوطيس، فيحدث فرارهم خلخلة في صفوف المسلمين[١].

٢- عدم الاستعجال في إناطة الأعمال الإسلامية وخصوصاً الجهادية إلى من لا تتحقق فيهم القدرة الحقيقية على القيام بهذه الأعمال، وهذه القدرة ترتكز على الإيمان الصافي العميق، وعلى القدرة الخاصة بالعمل المرغوب فيه والمراد تكليف الراغب فيه به [٢].

---

[١] عرجون، محمد الصادق: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣/٥٧١.

[٢] عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن ٢/١٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

غــزوة أحــد

تمهيد

وَقَعتْ غَزْوَةِ أُحُدٍ فِي الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ من السّنة الثَّالِثَة مِنَ الْهِجْرَة بَينَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، كَانَ النَصْرُ فِيْهَا أَولاً، وَكَانتْ الهَزيمَة ثَانيَاً، وَكَانَ اِلانْتِصَار الكَبْير بَعدَ النَصْرِ وَالهَزيمَةِ. كَانتْ تَمْحِيصَاً لِلنُفوسِ وَتَمْيِيزَاً لِلصُفوفِ وَانْطَلقَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ وَقدْ تَحَرروا مِنْ كَثْيرٍ مِنْ ضَبابِيَةِ التَصَورِ وَتَأججِ المَشاعِرْ، وَذَلِكَ بانْخِذَالِ الْمُنَافِقِينَ، وَوضْوح سِمَات الصِدْقِ فِي القَولِ وَالعَملِ، وَفِي الشُعْورِ وَالسُلوكِ، وَلِغَرَضْ التَعَرُف عَلَى أَهَمِ أَحْداثِ غَزْوَةِ أُحُدٍ وَالأُمُورِ المُسْتَفَادَةِ مِنْهَا فَقدْ رَأَيْت تَقْسِيْم هَذَا الفَصْلِ إِلَى مَبْحَثَينِ وَعَلَى النَحْوِ التَالِي:

المَبْحَث الأَوْلَ: أَحْدَاث غَزْوَةِ أُحُدٍ.

المَبْحَثْ الثَانِيْ: المُسْتَفَاد مِنْ أَحْداثِ غَزْوَةِ أُحُدٍ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

أحداث غزوة أحـــد

أسباب قيام غزوة أحد:

تَعودْ أَسْبَاب هَذِه المَعْرَكَة إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ الأسْبَاب المُتَدَاخِلَة، أَبْرَزُهَا رَغْبَةَ قُرَيْش فِي الانْتِقَام مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِقَتْلاهَا يَوْمَ بَدْرٍ حَيْثُ كَانَتْ قَدْ فَقَدتْ صَنَادِيد رِجَالَهَا وَلَحِقَ بِهَا عَارُ الهَزِيمَةِ المُنْكَرةِ إِضَافَةً إِلى مَا فَقَدَتْهُ مِنْ أَمْوَالَهَا الَّتِي غَنمَتْ، وَمَكَانَتَهَا الَّتِي تَهَاوَتْ وَسَمْعَتَها الَّتِي مُرِغَتْ فِي الوَحْلِ[1]. يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مَا كَانَ يَشْعُر بِه زُعَمَاء قُرَيْش مِنْ أَخْطَار تُهَدِدَهُمْ وَتِجَارَتِهِمْ الَّتِي كَادَتْ أَنْ تَتوَقَفَ مَعَ بِلادِ الشّام بَعدَ أَنْ تَحَكمَ المُسْلِمونَ فِي كَافَةِ طُرُق التِجَارَةِ الدَاخِلِيَة وَالسَاحِلِيَةِ، وَخَاصَةً بَعدَ أَنْ فَقَدُوا أَمَلَهِمْ الأَخْير فِي سُلوكِ طَرِيق العِرَاق، وَمَا جَرَى فِي سَرِيَّةِ الْقَرَدَةِ حِينَ غَنمَ المُسْلِمُونَ تِجَارَتَهمْ وَعِيرَهُمْ وَقَطَعُوا عَلَيْهِمْ آخِرَ طَرِيقٍ كَانُوا يُؤَمِّلُونَهُ لاسْتِمْرارِ سَيْر تِجَارَتِهِمْ [2]. هَذَا إِلى جَانِب تَعَنُتْ قُرَيْش وإِصْرارِهَا عَلَى دِينِ الآبَاءِ وَالأَجْدادِ وَمُقَاوَمَتِهَا التَوْحِيد، وَحِقْدَهَا التَارِيخِي عَلَى الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَفْلَتُوا مِنْ قَبْضَتِهَا، فَأَصْبَحُوا لَهَا نِدًّا يُنَاصِبُونَهَا العَدَاءَ وَيَقْطَعُونَ عَلَيْهَا سُبُلَ حَيَاتِهَا.

إكمال إعداد جيش قريش:

كَانَتْ اِسْتِعْدَادَات قُرَيْش لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ بَدأَتْ مُبكِرَة فِي أَعْقَابِ هَزِيْمَتِها فِي بَدْرٍ، فَقَدْ رَصَدُوا أَمْوَال تِجارَتِهِمْ الَّتِي تُمكِن أَبُو سُفْيَانَ مِنَ الإفْلاتِ بِهَا قُبَيْلَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ مع أَرْبَاحَهَا لِتَجْهِيزِ جَيْشِ الثَأرِ [3]، وَجَمعَتْ ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ مِنْ أَبْنَائِهَا وَحُلَفائِهَا مِنْ كِنَانَة وَأَهْلِ تِهامَة [4]، بَيْنَهُمْ مِائَتَا فَارِسٍ و سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ [5]،

---

[1] ابن إسحاق: السيرة والمغازي ص٣٢٢. ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٠. الواقدي: المغازي ١/ ١٩٩. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٧.

[2] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ٣٣٩. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٦.

[3] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦١.الواقدي: المغازي ١/ ٢٠٠. ابن إسحاق: السيرة والمغازي ص ٣٢٢،

[4] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٢. الواقدي: المغازي ١/ ١٠١.

[5] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٦. الطبري:تاريخ ٢/ ٦١.من رواية الواقدي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَجعلَتْ عَلَى قِيادَةِ الْمَيْمنَة خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَعلَى الْمَيْسرَة عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ [1]، وَصَاحَبَ الجَيْشَ عَدَدٌ مِنْ نِساءِ قُرَيْش لِغَرضْ إِثَارَةِ الحَمَاسِ وَمَنع المُقَاتِلينَ مِنَ التَفْكِيرِ بالفِرارِ خَشْيَةَ العَارِ [2].

النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه:

رَأى النَّبِيُ صلى الله عليه وسلم رُؤْيَا مَنامِيَة قَبْلَ عِلْمِهِ بِقُدومِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَصَّهَا عَلَى أَصْحَابِه- رضوان الله عليهم- فقَالَ صلى الله عليه وسلم:« رَأَيْتُ في رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُه فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مِمَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ اللهُ مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا وَاللهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ» [3].وَفِي رِوَايَة: « وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ» [4].ثُمَّ أُخْبِرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِقُدومِ الْمُشْرِكِينَ فَجمَعَ أَصْحَابَه وَشَاوَرهُم فِي المَوْضِعِ الَّذِي يَرَونَه لِمُواجَهَةِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ، وَحيْثُ أَنَّ الْمَدِينَة كَانَتْ قَدْ شَبَكتْ بِالبُنْيَان فَهِي كَالحِصْنِ [5]، فَقَد كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَرَى البَقَاء وَالتَحَصُّن فِيهَا، وَقَالَ: «إِنّا فِي جنّة حَصْينَة» [6]، وَكَانَتْ وَجْهَة نَظَر مَنْ وَافَقَ عَلَى هَذَا الرَأي مِنَ الصَحابَةِ مَبْنِيَة عَلَى عِدَةِ أُمُورٍ مِنْهَا:

١ - إِنَّ جَيْش مَكَّة لَمْ يَكُنْ مُوَّحَدْ العَناصِرْ، وَبذَلِك يَسْتَحيْل عَلَى هَذَا الجَيْش البَقَاء زَمَنًا طَوْيلاً إِذ لا بُدَّ مِنْ ظُهورِ الخِلاف بَيْنَهم إِنْ عَاجِلاً أَو آجِلاً.

٢ - إِنَّ مُهَاجَمَةِ المُدنْ المُصَممَة عَلَى الدِفَاعِ عَنْ حِيَاضِهَا وَقِلاعِهَا وَبَيضَتهَا أَمرٌ بَعْيدُ المَنالِ، وَخُصوصاً إِذا تَشَابَه السِلاح عِنْدَ كِلا الجَيْشَين، وَقَدْ كَانَ يَوم أُحُدٍ مُتَشابِهاً.

٣ - إِنَّ المُدَافِعينَ إِذا كَانُوا بَينَ أَهْلِيهمْ فَإِنَهمْ يَسْتَبْسِلونَ فِي الدِفَاعِ عَنْ أَبْنَائِهمْ وَحِمايَةِ نِسَائِهمْ وَبَناتِهمْ وَأَعْراضِهِمْ.

---

[1] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٦. الطبري: تاريخ ٢/ ٦١.

[2] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٢ برواية ابن إسحاق دون إسناد. الطبري: تاريخ ٢/ ٥٩. الواقدي: المغازي ١/ ٢٠١. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٧.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد٥/١٠٢، حديث ٤٠٨١. صحيح مسلم: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم ٤/١٧٧٩، حديث٢٢٧٢.

[4] صحيح: مسند الامام احمد ٤/٢٥٩، حديث ٢٤٤٥. سنن الدارمي ٢/ ١٣٨٧،حديث ٢٢٠٥. الحاكم: المستدرك ٢ / ١٤١، حديث ٢٥٨٨وصححه ووافقه الذهبي. أي: هم المؤمنون الذين قتلوا يوم أُحُد.

[5] الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٦٣.

[6] الطبري: تفسير ٦/ ٢١٥ بإسناد حسن إلى قتادة، وقد جاء بطرق عديدة وبمجموع الطرق يصح الحديث، وانظر: البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ٢٠٤، ٢٠٨. الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٦٤- ٣٦٥. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤ – مُشَارَكةِ النِسَاءِ وَالأَبْناءِ فِي القِتَال وَبِذَلكَ يَتضَاعَفْ عَدد المُقَاتِلينَ.

٥ – اِسْتِخْدَام المُدافِعينَ أَسْلِحَةً لَهَا أَثَر فِي صُفوفِ الأَعْداءِ مِثْلَ الأَحْجَار، وَغيرَهَا، وَتَكون إِصْابَةَ المُهَاجِمينَ فِي مُتَناوِلهِمْ [١].

وَقدْ أَبْدَى بَعْض أَصْحابه مِنَ الأَنْصَار كَراهَة القِتَال فِي طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَقَالُوا: «وَقدْ كُنَّا نَمْتَنِع مِنْ الغَزو فِي الجَاهِلِيَّة، فَبالإِسْلام أَحَق أَنْ نَمْتَنِعَ مِنْهُ، فَابْرَزَ إِلى القَوْم» [٢]، وَكَانُوا قَدْ آثَرُوا الخُروج مِنَ الْمَدِينَةِ لِلقَاءِ العَدُوِّ، وَكَانَ رَأَيهُم مَبْنِيَاً عَلَى أُمُورٍ مِنْهَا:

١ – إِنَّ الأَنْصَار قَدْ تَعاهَدُوا فِي بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَة عَلَى نُصْرة الرَسُول صلى الله عليه وسلم، فَكَانَ أَغْلَبهُمْ يَرى أَنَّ المُكُوث دَاخِل الْمَدِينَةِ تَقاعِس عَنِ الوَفَاء بِهَذا العَهْد.

٢ – إِنَّ الأَقَلِيَّة مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كَانَتْ تَرَى أَنَّها أَحَقْ مِنَ الأَنْصَار فِي الدِفَاعِ عَنِ المَدينَة وَمُهَاجَمَةِ قُرَيْش وَصَدَّهَا عَنْ زُرُوعِ الأَنْصَار.

٣ – إِنَّ الَّذِينَ فَاتَتهُمْ غَزْوَة بَدْرٍ كَانُوا يَتحرَّقُونَ شَوْقاً مِنْ أَجْلِ مُلاقَاةِ الأَعْدَاءِ طَمَعاً فِي حُصولِ الشَهادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٤ – إِنَّ الأَكْثَرِينَ كَانُوا يَرونَ أَنَّ فِي مُحَاصَرةِ قُرَيْش لِلمَدينَة ظَفرًا يَجبْ ألا تَحْلَمَ به، كَمَا تَوقَعُوا أَنَّ وَقتَ الحِصَارِ سَيَطول أَمَدهُ، فَيصْبَح المُسْلِمونَ مُهَددينَ بِقَطعِ المُؤنْ عَنْهُم [٣]. وَقدْ شَكَلُوا الأَكْثَرِيةَ العَدديَّة.

وَنزلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى رَأي الأَكْثَرِيةَ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَتَلاومَ القَومُ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ» [٤].

---

[١] القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٣٧٤/١.

[٢] الطبري: تفسير ٦/ ٢١٥.

[٣] احمد عزالدين: غزوة احد ص٥٢.

[٤] قال الارناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد على شرط مسلم،اخرجه احمد في مسند ه: ١٠٠/٢٣، حديث (١٤٧٨٧).الهيثمي: مجمع الزوائد ١٥٢/٦،حديث (١٠٠٥٧) وقال رواه احمد ورجاله رجال الصحيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النبي صلى الله عليه وسلم يستعد للخروج للقتال:

خرج النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بجيش تعداده أَلْفَ مُقَاتِلٍ، معهم فرسان فقط، و مِائَةَ دَارِعٍ [1].ولَبِسَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دِرْعَيْنِ [2] رغم علمه بأن الله تعالى يعصمه من القتل تعويدا للأمة على الأخذ بالْأَسْبَابِ المادية ثم التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، واستعمل على الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ للصَّلَاةِ بالنَّاسِ [3].وعقد صلى الله عليه وسلم رَايَةً سَوْدَاءَ وقام بتقسيم الجيش إلى ثَلاثِ كتائب، وَأَعْطَى اللواء لأحد أفراد الكتيبة، وهذه الكتائب هي:

١- كَتِيبَةِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْطَى لواءها مُصْعَبَ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه.

٢- كَتِيبَةِ الأوس مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَعْطَى لواءها أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه.

٣- كَتِيبَةِ الخزرج مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَعْطَى لواءها الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ رضي الله عنه [4] .

تمرد المنافق عبد الله ابن ابي واصحابه:

ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بالجَيْشِ مُتَوَجِهًا إِلى أُحُدٍ [5] حَتَّى إِذَا كَانُوا بالشَّوْط بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ اِنْسَحَبَ مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ الْمُنَافِقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ وثَلَاثَمِائَةٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْمُنَافِقِينَ، بدَعْوَى أَنَّهُ لَنْ يَقَعْ قِتَال مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَمُعْتَرِضًا عَلَى قَرَارِ الرَسُولِ صلى الله عليه وسلم بالخُروجِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِمُلاقَاةِ الْمُشْرِكِينَ بقَوْلِهِ «أَطَاعَ الْوِلْدَانِ وَمَنْ لَا رَأْيَ لَهُ، أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي [6]،عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا» [7].

وَقَدْ حَاوَلَ الصَحابِيْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ تَدارُكْ الأَمْرِ فَلَحِقَ بالْمُنَافِقِينَ الْمُنْسَحِبِينَ، وَحَاوَلَ إِقْناعِهِمْ بضُرورَةِ نُصْرَةِ نَبيهِمْ وَقَومِهِمْ، قَائِلاً: تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا، غَيرَ أَنَهمْ أَصَرُوا عَلَى مَوقِفِهِمْ، وَقَالُوا لَهُ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ، وَبَعدَ أَنْ يَئِسَ عَبْدُ اللهِ مِنْهمْ سَأَلَ اللهُ أَنْ يُبْعِدَهُمْ، وَأَنْ يُغْنِي اللهُ نَبيَهُ عَنْهُمْ [8]،وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ

---

[1]"تاريخ الطبري" ٢/ ٦٠. "عمدة القارئ شرح صحيح البخاري" ١٤/ ٢٨٢.

[2]صحيح: أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع٤/٢٣٣، حديث ٢٥٩٠. وصححه الألباني.

[3]ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٤.

[4] محمد عيظة: غزوة أحد دراسة دعوية ١/٨٩.

[5] يقع جبل أحد في شمال المدينة، وكان يرتفع ١٢٨ مترًا أما الآن فيرتفع ١٢١ مترًا فقط بسب عوامل التعرية، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي ٥,٥ كيلو مترًا، بدءًا من باب المجيد أحد أبواب المسجد النبوي. "السيرة النبوية الصحيحة" ٢/ ٣٧٨.

[6]أي: أطاعهم في الخروج والقتال خارج المدينة، وعصاه حيث كان يرى القتال بداخل المدينة.

[7]ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٤. الواقدي: المغازي ١/ ٢١٩. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٩. البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ٢٠٨.

[8]ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [1] [2].وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) [3]. وَمَا جعلَ اللهُ ذَلِكَ إلاَّ لِيَمِيزِ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) [4]. وَكَادَ بَنُو سَلِمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ أَنْ يَفْشَلا وَيَتَّبِعَا الْمُنَافِقِينَ لَوْلا أَنْ ثَبَتَهمْ اللهُ. فَأَنْزلَ اللهُ عز وجل: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا[5]) [6] وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ[7] كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ» [8].

رد النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة لصغر سنهم:

عَسْكَرَ الجَيْش الإِسْلامِي فِي مِنْطَقَة الشَيْخَين حَيْثُ اِسْتَعْرضَ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم الْمُتَطَوعينَ مِنْ صِغَارِ السِّنِ فَرَدَّ مِنْهمْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ صَبِيًّا، مِنْهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، وَكَانَ عُمرَهُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ سَنَة [9]، وزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، والْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ [10] ، وَأَجَازَ مِنْهُمْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ لَمَّا قِيْلَ لَهُ: إِنَّهُ رامٍ، فَبَلغَ ذَلِكَ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ فَذهَبَ إِلى زَوْجِ أُمِّهِ مِرْي بْنِ سِنَانٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَهوَ يَبْكِي، وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ أَجَازَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَافِعًا وَرَدَّنِي، وَأَنا أَصْرَع رافعًا، فَرجَع زَوْج أُمِّهِ هَذَا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَالتَفَتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى رَافِع وَ سَمُرَةَ فَقَالَ لَهُمَا: «تَصَارَعَا» فصرع

---

[1] سورة آل عمران: الآية١٢٢.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٦/٣٨، حديث ٤٥٥٨. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الأنصار - رضي الله عنهم٤/١٩٤٨، حديث٢٥٠٥.

[3] سورة آل عمران: الآيتان ١٦٦- ١٦٧.

[4] سورة آل عمران:الآية١٧٩.

[5] أركسهم بما كسبوا: أوقعهم في الخطأ وأهلكهم بسبب عصيانهم ومخالفتهم وأركسه قلبه ونسكه أي جعل أعلاه أسفله.

[6] سورة النساء: الآية ٨٨.

[7] تنفي الذنوب: تظهر من يرتكب فيها الذنوب وتميزهم.

[8] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب: غزوة أحد ٥ /٩٦، حديث ٤٠٥٠. صحيح مسلم: كتاب: صفات المنافقين وأحوالهم ٤/٢١٤٢، حديث٢٧٧٦.

[9] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ٥ /١٠٧، حديث ٤٠٩٧. صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ ٣/١٤٩٠، حديث١٨٦٨.

[10] ابن سيد الناس: عيون الاثر في فنون المغازي ٢/١٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سَمُرَةَ رافعًا فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَمَا أَجَازَ رَافِعًا، وَجَعَلَهُمَا مِنْ جُنْدِهِ وَعَسْكَرِ كَتَائِبَه، وَلِكُلٍ مِنْهُمَا مَجَالَهُ وَاخْتِصاصَهُ[1].

دفاع المسلمين:

وَتَقدَم الجَيْش الإِسْلامِي إِلَى مَيْدَانِ أُحُدٍ وَأَخَذَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُنَظِمُ مَواقِعَ الجَيْشِ وَيُمْلِي عَلَى الجُنْدِ خُطَتَهُ، فَجعلَ النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَجْهَ جَيْشِه إِلَى المَدينَة وَظَهْرِه إِلَى جَبَلِ أُحُدٍ لِحِمايَة ظَهْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يُداهِمَهُمْ أَحدٌ مِنْ خَلْفِهِمْ، ثُمَّ عَزَّز ذَلِكَ بِخَمْسِينَ رَامِيًا بِقيادَة عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه أَوقَفَهُمْ عَلَى جَبَلِ عَيْنَيْن [2]– الَّذِي يَقَع خَلْفَ جَبَلِ أُحُدٍ – حَتَّى إِذَا فَكَّر أَحدٌ فِي مُبَاغَتَة الْمُسْلِمِينَ مِنَ الخَلفِ أَمْطَرُوه بِوابِلٍ مِنَ النبَالِ فَمَنَعوهُ مِنْ ذَلِكَ، وَشَدد عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِلُزومِ أَمَاكِنِهِمْ، وَعَدمْ مُغَادَرة الجَبَل تَحْتَ أَي ظَرْفٍ مِنَ الظُروفِ، فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ ، فلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ »[3].وَهَكَذا فَقدْ سَيْطَرَ الْمُسْلِمونَ عَلَى الْمُرْتَفعَاتِ تَارِكِينَ الوَادِي لِجَيْشِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي تَقدمَ لِيُوَاجِهَ الْمُسْلِمِينَ [4]. وَأَصْبحَ الْمُسْلِمونَ لا يُفكِرُونَ إِلاَّ فِي جَبْهَةٍ وَاحِدَةٍ، بِخلافِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَسْكَرُوا فِي وَادِي أُحُدٍ الْمَكْشُوف مِنْ كُلِ جَوانبه، فَتَمَيَّزَ عَنْهُمْ الْمُسْلِمونَ بِالمَوْقِعِ رَغْمَ وَصْولِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى المَكَانِ قَبْلَهم، وَلَكِنَها عَبْقَرِيَة النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم القَائِدْ.

مناورات سياسية من قبل قريش:

وَقُبيلِ نُشوبِ المَعْرَكَةِ حَاوَلَ أَبُو سُفْيَانَ أَنْ يُوجِدْ شَرْخًا وَتَصَدُعًا فِي جَبْهَةِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَمَاسِكَة، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ يَقُولُ: « خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَينَ ابْنُ عَمِّنَا، فَنَنْصَرِف عَنْكُمْ، فَلا حَاجَة بِنَا إِلَى قِتَال» فَرَدُّوا عَلَيْهِ بِمَا يَكْرَهُ [5].

---

[1] عرجون، محمد الصادق: محمد رسول الله٣/٥٧١. أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة٢/٣٨٣.

[2] الذي سُمِّي بعد أحُدٍ بجبل الرماة.

[3] صحيح: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد ٥/٩٤، حديث٤٠٤٣.سنن ابي داؤد: كتاب الجهاد، باب في الكُمناء٤/٢٩٧، حديث ٢٦٦٢.

[4] نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم ١/٣٠٣.

[5] السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني١/٣٢٧، الرحيق المختوم ١/٢٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَلَمَّا فَشَلَتْ الْمُحَاوَلَة الأوْلَى لَجَأَتْ قُرَيْش إِلَى مُحَاوَلَةٍ أُخْرَى عَنْ طَرِيقِ عَمِيلٍ خَائِنْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ، حَيْثُ حَاولَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ أَنْ يَسْتَزِلَ بَعْضُ الأَنْصَارِ فَنَادَى: يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ، أَنَا أَبُو عَامِرَةَ قَالُوا: فَلَا أَنْعَمَ اللهُ بِك عَيْنًا يَا فَاسِقُ فَلَمّا سَمِعَ رَدّهُمْ عَلَيْهِ قَالَ: لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرّ، ثُمّ قَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمّ رَاضَخَهُمْ بِالْحِجَارَةِ [1].

الرسول صلى الله عليه وسلم يُسلم السيف إلى أبي دجانة:

شَرعَ رَسُولُ اللهِ يَشْحذُ فِي هِمَمِ أَصْحَابه وَيَعْمل عَلَى رَفْعِ مَعْنَوِيَاتِهِمْ فَأَخَذَ صلى الله عليه وسلم سَيْفًا وَقَالَ: « مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ » فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ كلٌ يقول: أَنَا، أَنَا، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ وَقَالَ: « مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ » فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ وَقَالَ: ومَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ صلى الله عليه وسلم ؟ قَالَ: « أَنْ تَضْرِب بِهِ الْعَدُوّ حَتّى يَنْحَنِي » فقال: أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بِحَقّهِ فَأَعْطَاهُ إيّاهُ، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا كَانَتْ وَكَانَ إِذَا أُعْلِمَ بِعِصَابَةٍ لَهُ حَمْرَاءَ، فَاعْتَصَبَ بِهَا عَلَى النّاسِ أَنّهُ سَيُقَاتِلُ فَلَمّا أَخَذَ السّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصّفّيْنِ. فقَالَ رَسُولُ اللهِ حِينَ رَأَى أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ: « إِنّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغُضُهَا اللهُ إِلّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ » [2].

بدء المعركة:

التَقَى الجَمْعَانِ يَوْمَ السَّبْتِ (١٥شوال ٣هـ /٣١آذار٦٢٥م) على أَرْجَحِ الرِّوَايَاتِ، فقامت هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ، زَوْجِ أَبِي سُفْيَانَ، فِي النِّسْوَةِ اللَّاتِي كُنَّ مَعهَا، فَأَخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبْنَ ويُحَرّضْنَ الرِّجَالِ، فكانت هِنْدٌ تُحَرِّضُ الرِّجَالَ بِقَولِهَا:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ وَنَبْسُطُ النَّمَارِقْ

---

[1] أبو شهبة: السيرة النبوية،١٩٢/٢. ابن هشام: السيرة ٦٧/٢. وسنده حسن ورجاله ثقات، وصرح ابن إسحاق بالتحديث والحديث مرسل.

[2] عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة - رضي الله عنه ١٩١٧/٤، حديث ٢٤٧٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِنْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ[1]

واقْتَرَبَ الْمُتَقاتِلُونَ بَعْضَهمْ مِنْ بَعضٍ، وَتَقارَبَ الجَمْعَانِ وَتدانَتْ الفِئتانِ، وَكَانَ أَول وَقودِ المَعْرَكةِ حَامِل لِواءِ الْمُشْرِكِينَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ [2]، وَكَانَ مِنْ أَشْجَعِ فُرْسَانِ قُرَيْش، يُسَمِّيهِ الْمُسْلِمونَ كَبْشُ الْكَتِيبَةِ [3]، وَقدْ خرجَ وَهوَ رَاكب عَلَى جَمَلٍ يَدْعُو إِلَى الْمُبارَزَةِ، فَأحْجَمَ عَنْهُ النَّاس لِفَرْطِ شَجَاعَته، وَلَكِن تقدم إليه الزبير و لم يمهله، بَلْ وَثبَ إِلَيْهِ وَثْبَةَ اللَّيْثِ حَتَّى صَارَ مَعَهُ عَلَى جَمَلِه، ثُمَّ اقْتَحَمَ به الأَرْضَ فَأَلْقَاهُ عَنْهُ وَذَبَحهُ بِسَيْفِهِ. وَرَأى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم هَذَا الصِرَاع الرَائِع فَكَبَّرَ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمونَ وَأَثْنَى عَلَى الزُبَيرِ، وَقَالَ فِي حَقِهِ: « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ »[4].

وَجَرتْ مُبارَزَةً بَيْنَ حَمْزَةَ رضي الله عنه وَبَينَ رَجُل مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَال لَهُ سِبَاعٌ، حَيْثُ خَرَجَ سِبَاعٌ هَذَا مِنْ بَينِ الصُفُوفِ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ فخرج إليه حمزة رضي الله عنه فَقَالَ يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ [5]أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ حَمْزَة رضي الله عنه فَقَتَلَهُ [6]، وَالتَحَم الجَيْشَان، وَاشْتَدَّ النزَال بَيْنَ جَيْشِ ألْمُسْلِمِينَ الْمُكَونِ مِنْ سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ بَعْدَ انْسِحَابِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ ومن معه من الْمُنَافِقِينَ، فَكَانتِ الغَلَبَةُ أَولاً لِلْمُسْلِمِينَ، حَيثُ أَلحَقُوا بِالْمُشْرِكِينَ هَزِيمَةً نَكْرَاء وَرَدوهُمْ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ، وَقَاتلَ أَبُو دُجَانَةَ بِسَيفِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى فَلقَ به هَام الْمُشْرِكِينَ [7] حَتَّى قُتِلَ فِي أَولِ النَهَارِ مِنْ أَصْحَابِ لِواءِ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةٍ أو تِسْعَةٍ [8]، وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ)

---

[1] البيهقي: دلائل النبوة، ٣/٢٣٣. ابن اسحاق: السير والمغازي ١/٣٢٧.

[2] ابن كثير: السيرة النبوية ٣/٤٠.

[3] المقريزي: امتاع الاسماع ١/١٣٩.ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٦/٢٩٢.

[4] صحيح: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة ٤/٢٧،حديث٢٨٤٦.

[5] مُقطِّعة البظور: أي التي تختن النساء، فهي تقطع بظر المرأة عند ختنها.

[6] صحيح: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه ٥/١٠٠،حديث٤٠٧٢.

[7] هام المشركين: أي رؤوس المشركين.

[8] صحيح: أخرجه الامام أحمد ٤/٣٦٩، حديث٢٦٠٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[1][2].وَفِي وَسَطِ المَعْرَكَةِ جَاء رَجُل إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: "فِي الْجَنَّةِ»، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ [3].

غلطة الرماة الفظيعة:

وَبَينَمّا كَانَ الجَيْش الاسْلامِي الصَغْير يُسَجِلُ مَرَةً أُخْرَى نَصْراً سَاحِقَاً عَلَى أَهْلِ مَكَّة لَمْ يَكُنْ أَقَلُ رَوعَةً مِنَ النَصْرِ الَّذِي إِكْتَسبَه يَومَ بَدْرٍ وَكَانَ قَدْ تَسبَّبَ بِهَزِيمَة الْمُشْرِكِينَ وفرُّارهم مِنَ المَيْدانِ وَتَرْكِهِمْ أَمْوالَهمْ وَأَمْتِعَتهُمْ فِي سَاحَةِ المَعْرَكَةِ، غَلَط الرُمَاة غَلْطَةً فَظِيعَةً بِتَرْكِهِمْ أَمَاكِنهمْ عَلَى الجَبَلِ وَنَزلُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، فَقَالَ لهم عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرِ رضي الله عنه: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا [4].فَلَمَّا تَرَكُوا الجَبَل وَنَزَلُوا اِنْكَشَفَ ظَهْر الْمُسْلِمِينَ، فَرَأى الْمُشْرِكُونَ الفُرصَة سَانِحَةً لِلالتِفَاتِ حَوْلِهِمْ وَمُحَاصَرَتَهمْ، فَفعَلُوا ذَلِكَ، وَأَحَاطُوا بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ وَالأَمَامِ، فَارْتَبكَتْ صُفوفُ الْمُسْلِمِينَ اِرْتِبَاكًا شَدْيدًا وَأَصْبَحُوا يُقَاتِلونَ دُونَ تَخْطِيط، وَاسْتَغَلَّ إِبْلِيسُ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ الفُرْصَةَ فَصَرخَ فِي الْمُسْلِمِينَ: أَيْ عِبَادَ اللهِ أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ مع أُخْرَاهُمْ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمونَ يَضْرِب بَعْضُهمْ بَعْضًا، حَتَّى إِنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنه رَأى أَبَاه الْيَمَانِ رضي الله عنه يضربه المسلمون، فَقَالَ: أَيْ عِبَادَ اللهِ أَبِي، أَبِي، فمَا احْتَجَزُوا عنه حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ[5].

---

[1]سورة آل عمران: الآية١٥٢.

[2]الحسُّ: القتل، أي: إذ تقتلونهم بإذنه. أي: ولقد صدقكم الله وعده أيها المؤمنون الذي وعدكم إياه إن أطعتم الله ورسوله، أن لكم النصر على الأعداء.

[3]متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد ٥/٩٥، حديث٤٠٤٦. صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد٣/١٥٠٩، حديث١٨٩٩.وهذا الرجل غير عُمير بن الحُمام الذي استشهد يوم بدر، حيث جاء في رواية: (قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد...).

[4]صحيح: أخرجه البخاري:كتاب المغازي، باب غزوة أُحُد ٥/٩٥، حديث ٤٠٤٣.

[5]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٨، حديث ٤٠٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه:

وَفِي وَسَطِ المَعْرَكةِ قُتل مُصْعَب بْنِ عُمَيْر رضي الله عنه،وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ اللَّيْثِيُّ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اللِّوَاءَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه [1].

إشاعة خبر مقتل النبي صلى الله عليه وسلم:

صَاحَ الشَّيْطَانُ وسط الميدان: قُتِلَ مُحَمَّدٌ، فَلَمْ يُشَكَّ أحد أَنَّهُ حَقٌّ [2].فَلَمَّا انْتَشَرَ الخَبرْ وَشَاعَ بَينَ صَفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، خَارَتْ قِوَى بَعْض الْمُسْلِمِينَ، وَلانَتْ عَزِيْمَتهمْ، حَتَّى إِنَّهُمْ جَلَسُوا عَنِ القِتَال، فَرآهم أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ رضي الله عنه عم أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ [3]. وَكَانَ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ رضي الله عنه لَمْ يَشْهَدْ مَعَ النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بَدْر، فقَالَ: غِبْتُ عَنْ أول قِتَال النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ معَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ليرينَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا رَأى ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ» فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَمَضَى فَقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ فَنَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِه: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [4][5].

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم الباسل إزاء عمل التطويق:

فِي الوَقْتِ الَّذِي جَلَسَ فِيهِ بَعْض القَوم عَنِ القِتَال وَفرَّ آخَرَونَ بَينَ الشِعَاب بَعْدَما شَاعَ بَينَهمْ خبر مَقْتَل النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَالليْثِ يُقاتِلُ بَينَ الصُفوفِ، وَكَانَ أولُ مَنْ عَرِفَ بِأَنَّ

---

[1] ابن هشام: السيرة ٢/ ٧٣.

[2] صحيح: أخرجه أحمد (٢٦٠٩)، والحاكم في "المستدرك" ٢/ ٣٢٤،حديث ٣١٦٣ وصححه وأقره الذهبي، وصححه أحمد شاكر.

[3] ابن هشام: السيرة ٢/ ٨٣، والحديث في "الصحيحين" بلفظ مختلف، انظر الذي بعده.

[4] سورة الاحزاب: الآية٢٣.

[5] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد ٥/٩٥، حديث ٤٠٤٩. صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ٣/١٥١٢، حديث ١٩٠٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرَسُولَ صلى الله عليه وسلم حيٌّ هُوَ كَعْبُ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه فَنَادى فِي الْمُسْلِمِينَ يُبَشِرُهمْ فَأَمَرهُ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم بِالسْكوتِ لِئَلا يَفْطَن لَهُ الْمُشْرِكُون [1].وظلّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُقَاتِل وَحَولَهُ فِئَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الصَحابَةِ رضوان الله عليهم صَمَدوا مَعهُ يُدَافِعونَ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم.

وَقدْ تَفَطنَ الْمُشْرِكُونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حيٌّ لَمْ يُقتلْ فَتَكَاثَروا عَلَيْهِ يُرْيدونَ قَتْلَهُ. وَكَانَ حَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تسعة من الصحابة سَبْعَةٌ مِنْ الْأَنصَارِ، واثنان من الْمُهَاجِرِينَ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ [2] قَالَ: « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ- أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ-»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ- أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ-»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ من الأنصار، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لِصاحِبَيْهِ: « مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا» [3].

وأَخذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوا أَصْحَابَه لِلعَودَةِ إِلى القِتَالِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: (إِذْ تُصْعِدُونَ [4] وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ [5] وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ)[6].

وكان طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ مِمَنْ ثَبتَ معَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَدَافَع عَنهُ حَتَّى شُلَّتْ يَدهُ رضي الله عنه كَانَ يَقِي بِهَا النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم [1]. وَكَانَ مِمَنْ ثَبتَ أَيضًا معَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَعْدِ بْنِ أَبِي

---

[1] حديث كعب بن مالك:"لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.فأشار إلى بيده أن اسكت، ثم ألبسني لامته، ولبس لأمتي، فلقد ضربت حتى جرحت عشرين جراحة أو قال بضعة وعشرين جرحًا كل من يضربني يحسبني رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحيح: رواه الطبراني في الكبير ١٠٠/١٩، حديث ٢٠٠،رواه الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٦١،حديث ١٠٠٧٧، ورواه الطبراني في الأوسط ورجال الأوسط ثقات.

[2] أي: قربوا منه – صلى الله عليه وسلم –.

[3] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أُحُد ١٤١٥/٣، حديث ١٧٨٩. وكان هذا الدفاع من هؤلاء الأنصاريين السبعة عن النبي صلى الله عليه وسلم لحبهم الشديد له – صلى الله عليه وسلم – أولاً وايثاره على أنفسهم، ثم لما عاهدوه عليه الصلاة والسلام عند بيعة العقبة وأنهم يمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم "مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا" قال النووي رحمه الله: الرواية المشهورة فيه (ما أنصفنا) بإسكان الفاء، و (أصحابنا) منصوب مفعول به، هكذا ضبطه جماهير العلماء من المتقدمين والمتأخرين، ومعناه: ما أنصفت قريش الأنصار، لكون القريشيين لم يخرجا للقتال، بل خرجت الأنصار واحدًا بعد واحد، وذكر القاضي وغيره أن بعضهم رواه (ما أنصفَنا) بفتح الفاء، والمراد على هذا: الذين فرُّوا من القتال، فإنهم لم ينصفوا لفرارهم. النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٨.

[4] تصعدون: تهربون في بطون الأوديه والشعاب.

[5] تلون: ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هربًا من عدوكم.

[6] سورة آل عمران: الآية١٥٣.

يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ: أي والرسول يناديكم من خلفكم، إليّ عباد الله، إليّ عباد الله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَقَّاصٍ رضي الله عنه، وَكَانَ رَامياً مَاهراً لا تَكادُ رَمْيَتهُ تُخطئ، فنَثَلَ له النَّبيّ صلى الله عليه وسلم كِنَانَتَهُ [٢] وَجَعلَ يَقولُ لَهُ: « ارْمِ فِدَاكَ أبي وَأُمِّي» [٣].وفي ذلك يقول عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: ما سمعت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَجْمَعُ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرَ سَعْدٍ [٤]. وقال سعد رضي الله عنه: جَمَعَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُد[٥].

أبو طَلْحَةَ الأنصاري رضي الله عنه يدافع عن النَّبِي صلى الله عليه وسلم:

كان أبو طَلْحَةَ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه ممن ثبت مع النَّبِي صلى الله عليه وسلم يدافع عنه،كان مُجَوِّبٌ على النبي صلى الله عليه وسلم بِحَجَفَةٍ لَهُ [٦]،وَكَانَ أبو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ [٧]

كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ جَعْبَةٌ مِنْ النَّبْلِ فَيَقُولُ له النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: انْثُرهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، وكان النَّبِي صلى الله عليه وسلم يشرف برأسه لِيَنْظُرَ إلى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ له أبو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ [٨].

وكان يَتَتَرَّسُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِتُرْسٍ وَاحِدٍ،[١] فكان كلما رَمَى رَمْيَةً رَفعَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم بصره ينظر إلى أين وقع السهم، فيَدْفَعُ أَبُو طَلْحَةَ صَدْرَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَكَذَا لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ[٢].

---

[١]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٧، حديث ٤٠٦٣.

[٢]نثل كنانته: أي نثر كنانته واستخرج ما بها من السهام، والكنانة: جُعبة السهام.

[٣]متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٧، حديث ٤٠٥٥.صحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه ٤/١٨٧٦، حديث ٢٤١١.

[٤] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٧، حديث ٤٠٥٨.

[٥]متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص ٥/٢٢، حديث ٣٧٢٥.صحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه ٤/١٨٧٦، حديث ٢٤١٢.

[٦]مُجوِّبٌ عليه بِحَجَفَة: أي مُتترس عليه بترس، ليقيه من ضربات المشركين، فالحجفة: الترس.

[٧]شديد النزع: أي شديد رمي السهم.

[٨]متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، ٥/٩٧، حديث ٤٠٦٤.صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال ٣/١٤٤٣، حديث ١٨١١.ومعنى نحري دون نحرك: أي: أفديك بنفسي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحرج ساعة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم:

وَعَلَى الرَغْم مِنْ اسْتِبْسَال الصَحَابَة فِي الدِفَاعِ عَنِ الرَسُول صلى الله عليه وسلم، فَقدْ شُجَّ وَجْه رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ [٣] وهشمت الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ [٤].وبينما ظَنَّ بَعْض الصَحابَة أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَدْ قُتل، إِذْ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَطْلَع عَلَيْهِمْ بَينَ السَّعْدَين [٥]عَرِفَهُ الصَحابَة – رضوان الله عليهم– بِتَكَفُّئِهِ إِذَا مَشَى [٦]يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: فَفَرِحَ به الصحابة حَتَّى كَأَنَّهُم لَمْ يُصِبْهم شيء فَرَقِيَ النبي صلى الله عليه وسلم نَحْوَهم وَهُوَ يَقُولُ: « اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ رَسُولِهِ»، وَيقُولُ مَرَّةً أُخْرَى: « اللهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا» [٧].

وَجَعلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقولُ: « اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هذا بنبيِّهِ»، وهو حينئذ يُشِيرُ إلى رَبَاعِيَتِهِ ويقول: « اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ الله فِي سَبِيلِ الله » [٨]. كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَسْلُتُ عَنْ نَفْسِهِ الدَّمَ وَيَقُولُ: « كَيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى الله»، فَأَنْزَلَ الله – عَزَّ وَجَلَّ–: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) [٩][١٠].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النَّبِي صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: « اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [١١]. ثُمَّ أَرَادَ النَّبِيُّ صلى الله

---

[١]إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، اخرجه احمد في مسنده:٣١٢/٢١، حديث ١٣٨٠٠.

[٢]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب المجنِّ ومن يتَّرس بترس واحد ٣٨/٤، حديث ٢٩٠٢.

[٣]هي السنُّ التي تلي الثنية من كل جانب وللإنسان أربع رباعيات. النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٨.

[٤]متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد، ١٠١/٥، حديث ٤٠٧٥.صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ١٤١٦/٣، حديث ١٧٩٠. والبيضة: واقي الرأس الذي يلبسه المحارب.

[٥]اسم مكان. والله أعلم.

[٦]التكفؤ: التمايل إلى قدام.

[٧]صحيح: أخرجه الامام أحمد في مسنده ٣٦٩/٤، حديث ٢٦٠٩. الحاكم: المستدرك ٢/ ٣٢٤، حديث ٣١٦٣وصححه وأقره الذهبي، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

[٨]متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد، ١٠١/٥، حديث ٤٠٧٣. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب اشتداد غضب الله علي من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤١٧/٣، حديث ١٧٩٣.

[٩]سورة آل عمران: الآية١٢٨.

[١٠]صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ١٤١٧/٣، حديث ١٧٩١.

[١١]متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الانبياء: باب { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم }

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسلم أَنْ يَصْعَد عَلَى صَخْرَةٍ [1] فَلَمْ يَسْتَطِعْ [2]فَأَقْعَدَ تَحْتَهُ طَلْحَةَ فَصَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»[3].ثم أخذت فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَغْسِلُ الدَّمَ[4] وَعَلِيٌّ بن أبي طَالِب يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ [5].

جبريل وميكائيل ينزلان للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم:

لَمَّا حَدثَ هَذَا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَكَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقْتُلوهُ، وَقدْ تَكَفلَ اللهُ تَعَالَى بعصْمَتِه مِنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)[6] أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى جبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُدَافِعَانِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَيَمْنَعَانِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قال: لقد رَأَيْتُ يوم أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلانِ عَنْهُ كَأَشَدِ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ -يعني جبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ – [7].

١٧٥/٤، حديث ٣٤٧٧.

صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ١٤١٧/٣، حديث ١٧٩٢.

قال الدكتور أكرم العمري: لقد استبعد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوفق الله من آذوه بهذه الصورة – فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ... "– فأخبره الله سبحانه بأن ذلك ليس ببعيد إن أراد الله هدايتهم –فأنزل عليه: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} – فقال عليه الصلاة والسلام لما طمع بإسلامهم "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون". العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٨٨.

[1]لِيَجْلِسَ عَلَيْهَا.

[2]من شدة ما فيه من إصابات وإرهاق شديد.

[3]حسن: أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله – رضي الله ٦٤٣/٥، حديث ٣٧٣٨. حسنه الألباني في "صحيح الجامع". ومعنى قوله: "أَوْجَبَ طَلْحَةُ" أي: أوجب لنفسه الجنة. والله أعلم.

[4]عن وجه أبيها صلى الله عليه وسلم.

[5]متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب: المغازي، باب: ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد، ١٠١/٥، حديث ٤٠٧٥.صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد١٤١٦/٣، حديث ١٧٩٠.

[6]سورة المائدة: الآية٦٧.

[7]متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب الثياب البيض ١٤٩/٧، حديث ٥٨٢٦. صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب في في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ١٨٠٢/٤، حديث ٢٣٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقتل أسد الله حمزة رضي الله عنه:

وَفِي تِلْكَ المَعْمَعة كَانَ هُنَاكَ رَجلٌ لَهُ هَدفٌ آخرْ غَيرَ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ الطَرفَان، فَهوَ لا يشغله مَنْ يَنْتَصرْ، المُسْلِمونَ أَمِ الْمُشْرِكُونَ، ولا يهمه ذلك الأمر كثيرًا، إِنَّمَّا كُلُّ الَّذِي يشغله هَو التَحرر مِنَ الرِقِّ وَأَنْ يَنْفكَ مِنْ قُيودِ العُبودِيةِ. وَهَذا الرَجُلُ هُوَ وَحشيٌ رضي الله عنه الَّذِي أَسْلَم بَعدَ ذَلِكَ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ.

وَلِنَترُكهُ يَقُصُّ عَلَيْنَا تَفاصِيلَ مَا حَدثَ بِنَفْسِهِ رضي الله عنه:

يقول وحشيٌ رضي الله عنه: إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ ابْنَ عَدِيّ بن الْخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بن مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ - وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ - خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلى الْقِتَالِ فَلَمَّا أَنْ اصطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بن عبد الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ [1] قَالَ: وَمَكَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيهِ [2] قال النبي صلى الله عليه وسلم: « رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُ حُمْزَةَ بن عَبْدِ الْمُطَّلِب » [3].

---

[1] كأمس الذاهب: كناية عن قتله، أي: صيَّره عدمًا.

[2] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ٥/١٠٠، حديث٤٠٧٢.

يقول وحشيٌ - رضي الله عنه -: فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشا فِيهَا الْإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلى الطَّائِفِ فَأَرْسَلُوا إِلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَسُولاً، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ - أي: لا ينالهم منه إزعاج - قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: "آنتَ وَحْشِي؟ "، قُلْتُ: نَعَم، قَالَ: "أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟ "، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَن تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟ "، قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، قُلْتُ: لأَخْرُجَنَّ إِلى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.

يقول عبد الله بن عُمَرَ -رضي الله عنهما-: فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ الْعبد الْأَسْوَدُ.

قوله: (في ثلمة جدار) أي: في خلل جدار.

قوله: (كأنه جمل أورق) الجمل الأورق الذي لونه رمادي وكان لون مسيلمة كذلك من غبار الحرب.

قوله: (ثائر الرأس) أي: شعره مُنتفش.

[3] حسنه الالباني في صحيح الجامع الصغير١/٦٥٢، حديث ٣٤٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دور النساء في المعركة:

عن أنس رضي الله عنه قال: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بنتَ أبي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا [١] تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ [٢]عَلَى مُتُونِهِمَا [٣] تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ [٤].

وقَالَ عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه: أن أُمُّ سَلِيطٍ كَانَتْ تُزْفِرُ لَهم الْقِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ [٥].

عدد من قتل من المسلمين في هذه المعركة:

عَنْ الْبَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه أنه أُصِيبَ من المسلمين في هذه المعركة سَبْعُونَ قَتِيلًا [٦].وعن أبي بن كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنْ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلاً، وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ منهمْ حَمْزَةُ، فَمَثَّلُوا بِهِمْ [٧].وقيل: قتل من الْمُشْرِكِينَ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رجلاً [٨].

بعد انتهاء المعركة:

وَبَعدَ انْتِهَاءِ القِتَالِ وَانْصِرَافِ كُلِ فَرْيقٍ إِلَى مُعَسْكَرِهِ،أَنْزلَ اللهُ عز وجل النُعاسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَهْدِئَةً لِرَوعِهِمْ، وَرَاحةً لأجْسَادِهِمْ مِنْ عَناءِ القِتَالِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً

---

[١]خدم سوقهما: أي الخلاخيل.

[٢]تُنقزان: النقز: الوثب والقفز، كناية عن سرعة السير.

[٣]متن الشيء: أعلاه، يقال: متن الجبل أي أعلاه.

[٤]متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٧، حديث٤٠٦٤. صحيح مسلم: كتاب: الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال ٣/١٤٤٣، حديث ١٨١١.

[٥]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب ذكر أم سليط ٥/١٠٠، حديث ٤٠٧١. وتُزفر: أي تحمل.

[٦]«...أَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا،...»صحيح البخاري: كتاب المغازي باب غزوة احد ٥/٩٤، حديث ٤٠٤٣.

[٧]صحيح: الجامع الصحيح سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب سورة النحل٥/٢٩٩،حديث٣١٢٩،وقال: هذا حديث حسن غريب. الحاكم: المستدرك ٢/٤٨٤، حديث ٣٦٦٧. وقال هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي".

[٨]ابن هشام: السيرة ٢/ ١٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) [1].

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ [2].

وبعد ذلك أشرف أَبُو سُفْيَانَ بن حرب ونادى على الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « لا تجِيبُوهُ»، فقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أبي قُحَافَةَ؟ -يعني أبا بكر- قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « لا تجِيبُوهُ»، فقال: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ لو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ الله أَبْقَى الله عليك ما يخزيك، قال أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: « أجيبُوهُ»، قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: « قُولُوا الله أَعْلَى وَأَجَلُّ»، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لنا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: « أجيبُوهُ»، قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: « قُولُوا الله مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»، قَالَ أبو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ [3]، فَقَالَ عُمَرُ: لَا سَوَاءً، قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّكُمْ لَتَزْعُمُونَ ذَلِكَ، لَقَدْ خِبْنَا إِذَنْ وَخَسِرْنَا، ثُمَّ قَالَ أبو سُفْيَانَ: أَمَا إِنَّكُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ مُثْلًا [4]،وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ رَأْيِ سَرَاتِنَا [5]،ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَانَ ذَاكَ وَلَمْ نَكْرَهْهُ [6].

النبي صلى الله عليه وسلم يتفقد الشهداء، ثم يأمر بدفنهم:

عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى حَمْزَةَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: « لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ [7] حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِهَا» ثم دعا بنمرة فكفنه فيها فكانت إذا مُدَّت على رأسه بدت رجلاه وإذا مدت على رجله بدا رأسه، وَقَلَّتْ الثِّيَابُ وَكَثُرَتْ الْقَتْلَى فَكَانَ

---

[1] سورة آل عمران: الآية١٥٤.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا}،٥/٩٩، حديث ٤٠٦٨. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال ٣/١٤٤٣، حديث ١٨١١.

[3] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد٥/٩٤، حديث ٤٠٤٣.

[4] مثلاً: أي تمثيلاً بالقتلى.

[5] السراة: الأشراف والكبراء، أي لم يكن ذلك التمثيل بالقتلى عن رأي ورضيً من كبرائنا.

[6] صحيح: أخرجه الامام أحمد ٤/٣٧٠، حديث٢٦٠٩. أي: قد كان ذلك التمثيل بالجثث ليس عن أمرنا ولكنا لم نكرهه.

[7] العافية: قال الخطابي: هي السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها. "عون المعبود" ٨/ ٢٨٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ يُكَفَّنُونَ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ يُدْفَنُونَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُ عنهم: « أَيُّهُمْ أَكْثَرُ قُرْآنًا» فَيُقَدِّمُهُ إلى الْقِبْلَةِ [1].

وعَنْ أَنَسٍ أيضًا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِحَمْزَةَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ الشُّهَدَاءِ غَيْرِهِ[2].

وعَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: « أَيُّهُمْ أَكثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟ » فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ: « أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ[3].

وعَن خَبَّابٍ بن الأرت رضي الله عنه قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ فَمِنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمِرَةً [4] كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيهِ الْإِذْخِرَ»، أَوْ قَالَ: « أَلْقُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ الْإِذْخِرِ» [5].

وقَالَ جابر رضي الله عنه: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي لِتَدْفِنَهُ فِي مَقَابِرِنَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رُدُّوا الْقَتْلَى إلى مَضَاجِعِهِمْ [6].

---

[1] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في الشهيد يُغسل٥/٥٦، حديث (٣١٣٦). والترمذي في سننه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في قتلى أحد وذكره حمزة ٣/٣٣٥، حديث(١٠١٦). وصححه الألباني "صحيح سنن الترمذي".

[2] حسن: أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب في الشهيد يغسل٥/٥٧، حديث ٣١٣٧ وصححه الألباني "صحيح سنن أبي داود".

[3] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد ٢/٩١، حديث ١٣٤٣. وفي
رواية للبخاري أيضًا قال جابر: فكفن أبي وعمي في نمرة واحدة.
وقد تقدم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – صلى على حمزة – رضي الله عنه – والظاهر –والله أعلم– كما قال بعض العلماء منهم ابن القيم – رحمه الله – أن النبي صلى الله عليه وسلم مخير بين الصلاة على الشهداء وعدم الصلاة.

[4] النَّمِرة: نوع من الكساء.

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد ٥/١٠٣، حديث ٤٠٨٢. صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب في كفن الميت ٢/٦٤٩، حديث ٩٤٠. والإذخر: حشيش معروف طيب الرائحة.

[6] صحيح: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الجهاد، باب في دفن القتيل في مقتله ٤/٢١٥، حديث١٧١٧. صححه الألباني "صحيح سنن الترمذي".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حُزْن النبي صلى الله عليه وسلم على الشهداء:

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ أُحُدٍ: « أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ مَعَ أَصْحَابِ نُحْضِ الْجَبَلِ» [1].

النبي صلى الله عليه وسلم يثني علي ربه:

وَلَمَّا انْصَرَفَ العَدُو مِنَ المَيْدَانِ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي -عَزَّ وَجَلَّ-» فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: « اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ اللهمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللهمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللهمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللهمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ إِلَهَ الْحَقِّ آمين» [2].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: « اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعبد فِي الْأَرْضِ» [3].

وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « اللهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللهمَّ الْعَنْ الْحَارِثَ بن هِشَامٍ، اللهمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ» فَنَزَلَتْ: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ)[4]. فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ [5]. وَلَقَدْ عَفَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ الْمُؤمِنِينَ الَّذِينَ فَرّوا يومَ أُحُدٍ فَأَنْزَلَ: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[6].وَرَبَطَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ

---

[1] صحيح: أخرجه الامام أحمد ٢٣/٢٧٠، حديث ١٥٠٢٥.

نحض الجبل: سفح الجبل، والمعنى: لوددت أني قتلت معهم، وهذا من شدة حزنه عليهم صلى الله عليه وسلم -.

[2] صحيح: أخرجه أحمد ٢٤/٢٤٦،حديث ١٥٤٩٢. الحاكم: المستدرك ٣/٢٦،حديث ٤٣٠٨. وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تخريج "فقه السيرة" (٢٦٩).

[3] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ٣/١٣٦٣، حديث ١٧٤٣.

[4] سورة آل عمران: الآية١٢٨.

[5] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي،باب ليس لك من الأمر شيء،٥/٩٩، حديث ٤٠٦٩.اخرجه الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران،٥/٢٢٧،حديث(٣٠٠٤).

[6] سورة آل عمران: الآية١٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جَأشِ الْمُسْلِمِينَ فَقالَ: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) [١].

وَبعدَ أَنْ رَجعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى المَدِينَةِ مَرَّ بامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِأُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالُوا:خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ، قَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ! تُرِيدُ صَغِيرَةً[٢].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قال: مر رَسُولُ اللهِ بنسَاءِ عبد الْأَشْهَلِ يَبْكِينَ هَلْكَاهُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ"، فَجَاءَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ حَمْزَةَ، فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "وَيحَهُنَّ مَا انْقَلَبْنَ [٣]بَعْدُ؟ مُرُوهُنَّ فَلْيَنْقَلِبْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ" [٤].

الآيات التي نزلت بشأن غزوة أحد:

وَلقدْ نَزَلتْ فِي مَوضوعِ غَزْوةِ أُحُدٍ وَمعْرَكَتِهَا ثَمَانٍ وَخَمْسُونَ آيَةً مِنْ سُورَةِ آل عِمْران تَبْدَأ بِذِكْرِ المَراحِلِ الأولَى لِلمَعْرَكةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ [٥].

وَنزَلَتْ آيَاتِ القُرآنِ تَمْسَحُ جِرَاحَاتِ الْمُسْلِمِينَ وآلامِهِمْ وَتُعْطِيهِمْ جُرْعَات كَبِيرَة مِنَ التَرْبِيَةِ الإِيْمَانِيَةِ، وَهِيَ تُسَجِل مَشَاهِد مُتَعَدِدَة مِنْ هَذِه الغَزْوَة وَالدرْس، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى

: {وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [٦]. وَمِنْهَا: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ} [٧].

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [١].

---

[١] سورة آل عمران: الآيتان١٣٩ــــ ١٤٠.

[٢] حسن: أخرجه ابن هشام في "السيرة" ٢/ ٩٩، عن ابن إسحاق بسند حسن إلى سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –.

[٣] أي: ما رجعن إلى بيوتهن.

[٤] صحيح: أخرجه أحمد ٩/ ٤٧٧،حديث ٥٦٦٦. سنن ابن ماجه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت ١/٥٠٧، حديث ١٥٩١ وصححه الألباني.

[٥] سورة آل عمران: الآية١٢١.

[٦] سورة آل عمران: الآية١٣٩.

[٧] سورة آل عمران: الآية١٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَقَوْلُهُ: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [٢].

وَقَوْلُهُ: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} [٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [٤].

وَقَوْلُهُ: {وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلًا} [٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ} [٦].

وَتقدمْ فِي النهايَةِ تَعْليقاً جَامِعاً عَلَى نَتَائِجِ المَعْرَكَةِ وَالحِكْمَةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللهُ مِنْ جَرّائِها، فِي قَولِه تَعَالَى: {ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ }[٧].

وَاجهَ المُسْلِمونَ عِندَ عَودَتِهمْ إِلَى الْمَدِينَةِ اليَهودَ الشَامِتِينَ، وَالْمُنَافِقِينَ المُرجِفينَ، وَكَانُوا يُواجِهونَ فِي أَطْرافِهَا الأَعْرَاب الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ تَطَلعُوا بِشَراهَةٍ إِلَى ثِمَارِ الْمَدِينَةِ وَخَيرَاتِهَا.

لَقدْ كَانَ التَحَرك السَرِيْع وَالدَقِيق مِنْ أَجلِ اسْتِعَادَةِ مَواقِعَ المُسْلِمينَ وَمَكَانَتِهمْ ضُرورِيّاً لِلرَدِّ عَلَى كُلِّ الأَخْطارِ وَالاحْتِمالاتِ السلْبِيَةِ. وَمِنْ هَذَا المَنْطَلقِ كَانَ أَمْرُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَصْحابَه أَنْ يَخْرُجوا- رَغْمَ كُلْ مَا أَصَابَهمْ- لِمُطَارَدَةِ جَيْشِ قُرَيْشٍ إلى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ فِي غَزْوَةٍ اقْتَصَرَتْ عَلَى مَنْ شَهِدَ أُحُداً دُونَ غَيرِهمْ [٨].

---

[١] سورة آل عمران: الآية١٤٢.

[٢] سورة آل عمران:الآية١٤٠.

[٣] سورة آل عمران: الآية١٤٣.

[٤] سورة آل عمران: الآية١٤٤.

[٥] سورة آل عمران: الآية١٤٥.

[٦] سورة آل عمران: الآية١٠٤.

[٧] سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

[٨] صحيح البخاري: كتاب المغازي:بَاب { الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ }١٠٢/٥،حديث (٤٠٧٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بمناورة عسكرية في حمراء الأسد:

لَمْ يَلْبَثْ الرَسُولُ صلى الله عليه وسلم فِي اليَومِ التَالِي أَنْ قَامَ بِمُنَاوَرَةٍ عَسْكَرِيةٍ لِمُلاحَقَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ وَكَانَ يَهْدِفْ لِتَحقيقِ مَجْموعَةٍ مِنَ المَقَاصِد المُهِمَةِ مِنْهَا:

١- ألاَّ يَكُون آخِرَ مَا تَنْطَوي عَلَيْهِ نُفوس الَّذِينَ خَرَجُوا يَومَ أُحُدٍ هَوَ الشُعور بالهَزِيمَة.

٢- إعْلامهُمْ أَنَّ لَهُمْ الكَرَّة عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَتَى نَفَضُوا عَنْهُمْ الضُعْف وَالفَشَل وَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ اللهِ وَرسولِهِ.

٣- تَجْرِئَة الصَحَابَة عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِمْ.

٣- إعْلاَمِهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ فِي ذَلِكَ اليوم إِنَّما هُوَ مِحْنَةً وَابْتِلاءً اقْتَضَتهَا إِرَادَةُ اللهِ وَحِكْمَتَه وَأَنَّهُم أَقْوِياء، وَأَنَّ خُصومَهُمْ الغَالِبِينَ فِي الظَاهِرِ ضُعَفَاء [١].

كَمَا أَنَّ فِي خُروجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ إِشَارَةً نَبوِيَة إِلَى أَهَمِيَة اسْتِعْمَالِ الحَرب النَفْسِيَة للتأثير عَلَى مَعْنَوِيَاتِ الخُصوم، حَيْثُ خَرجَ صلى الله عليه وسلم بِجُنودِهِ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَمَكثَ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَمرَ بِإِيقَادِ النِّيرَانِ فَكَانَتْ تُشَاهَد مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَمَلأَتْ الأَرْجَاءَ بِأَنْوَارِهَا، حَتَّى خُيِّلَ لِقُرَيْشٍ أَنَّ جَيْش الْمُسْلِمِينَ ذُو عَدَدٍ كَبِيرٍ لا طَاقَةَ لَهُمْ به فَانْصَرَفُوا، وَقَدْ مَلَأَ الرُعْبُ أَفْئِدَتَهُمْ [٢]. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: (وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِأَصْحَابِهِ حَتَّى عَسْكَرُوا بِحَمْرَاءَ الْأَسَدِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُوقِدُونَ تِلْكَ اللَّيَالِي خَمْسَمِائَةِ نَارٍ حَتَّى تُرَى مِنَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ، وَذَهَبَ صَوْتُ مُعَسْكَرِهِمْ وَنِيرَانِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ فَكَبَتَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ) [٣].

مواقف بطولية شامخة:

بَعْدَ هَذَا المُلَخصْ لأحْدَاثِ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، نَذْكُرُ بَعْض النَمَاذِجْ الفَرِيْدَة مِنَ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي هَذِه المَعْرَكَةِ وَسَجَلُوا بُطولاتٍ فِي تَارِيخِ الإِيمَانِ تَجَاوزَ فِيهَا النَصْر وَالهَزِيمَة لا تُفرق بَيْنَهُمَا إِلاَّ لَحْظَةً مِنَ الزَمَانِ، مِنْهُمْ:

---

[١] قطب، سيد: في ظلال القرآن ١/٥١٩.

[٢] أبو فارس، محمد عبد القادر: غزوة أحد، ص٥١.

[٣] ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ٢/٥٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عمرو بن أُقَيش يدخل الجنة وما صلى لله صلاة:

عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ عَمْرَو بن أُقَيْشٍ كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بنو عَمِّي؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بن مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ، أَمْ غَضَبًا لِلَّهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى لله صَلَاةً [1].

عبد الله بن حرام رضي الله عنه تظله الملائكة بأجنحتها، ويكلمه الله من غير حجاب:

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أبي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ [2].

وعن جَابِرٍ أيضًا قَالَ: لما كان يوم أحد جِيءَ بِأَبِي مُسجىً وقَدْ مُثِّلَ بِهِ، قال: فأردتُ أن أرفع الثوب فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أردت أن أرفع الثوب فَنَهَانِي قَوْمِي، فرفعه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صوْتَ باكية أو صَائِحَةٍ فَقَالَ: « مَنْ هَذِهِ؟ "، فَقَالُوا: بنت عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو فقَالَ: « ولِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ"[3].

وعنه أيضًا قال: لَقِيَنِي رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لِي: « يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله اسْتُشْهِدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا قَالَ: "أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ؟ " قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: "مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عزوجل: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُم إِلَيهَا لَا

---

[1] حسن: أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب فيمن يسلم ويقتل في مكانه في سبيل الله ١٩٠/٤، حديث٢٥٣٧ وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود".

[2] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب هل يُخرج الميت من القبر أو اللحد لعلة؟٩٣/٢، حديث ١٣٥١.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت ٨١/٢، حديث ١٢٩٣. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله تعالى عنهما ١٩١٧/٤، حديث ٢٤٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُرجَعُونَ، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[1][2].

حنظلةُ تُغسله الملائكة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ عِنْدَ قَتْلِ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بَعْدَ أَنْ الْتَقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ حِينَ عَلَاهُ شَدَّادُ بْنُ الأَسْوَدِ، بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ [3] عنه"، فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ [4] وَهُوَ جُنُبٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ " [5].وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُ حُمْزَةَ بن عَبْدِ الْمُطَّلِب وَحَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ " [6].

عمرو بن الجموح يطأُ برجله في الجنة:

كَانَ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ رضي الله عنه رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ عَذَرَكَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالْخُرُوجِ مَعَك فِيهِ، فو اللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ، وَقَالَ لِبَنِيهِ: مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ[7].

---

[1] سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

[2] حسن: الجامع الصحيح سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب سورة آل عمران ٥/٢٣٠، حديث ٣٠١٠. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه. إلا من حديث موسى بن إبراهيم وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذي".

[3] صَاحِبَتَهُ: زوجته.

[4] الْهَائِعَةَ: هِيَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ.

[5] حسن: الحاكم: المستدرك ٣/ ٢٢٥،حديث٤٩١٧. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، وأخرجه البيهقي في "السنن" ٤/ ٢٢،حديث ٦٨١٤.

[6] حسن: أخرجه الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس – رضي الله عنه – ، وحسنه الالباني في صحيح الجامع الصغير١/٦٥٢، حديث ٣٤٦٣.

[7] صحيح: أخرجه ابن هشام في "السيرة" عن ابن إسحاق ٢/ ٩١، وصححه الألباني في تخريج "فقه السيرة" للغزالي ١/٢٦٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي قتادة قال: جاء عَمْرُو بن الْجَمُوحِ رضي الله عنه إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ في سَبِيلِ الله حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً في الْجَنَّةِ؟ فقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « نَعَم"، فَقُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً في الْجَنَّةِ"، فَأَمَرَ رَسُولُ الله بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا في قَبْرٍ وَاحِدٍ [1].

عبد الله بن جحش رضي الله عنه يتمنى الشهادة في سبيل الله فينالها:

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ، قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: أَلَا تَأْتِي نَدْعُو اللَّهَ، فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ، فَأُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ، وَآخُذَ سَلَبَهُ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ثُمَّ، قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ، شَدِيدًا بَأْسُهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجْدَعُ [2] أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ. قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا بُنَيَّ كَانَتْ «دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ لَمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ»[3].

---

[1] صحيح: أخرجه الامام احمد في مسنده ٢٤٧/٣٧، حديث (٢٢٥٥٣)، وصححه أحمد شاكر.

[2] يجدع: أي يقطع.

[3] صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ / ٨٦،حديث ٢٤٠٩. وقال: صحيح على شرطهما لولا إرساله، ووافقه الذهبي، وصححه موصولاً من حديث إسحاق بن سعد، والبيهقي في "السنن" ٦/ ٥٠١، حديث ١٢٧٦٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة أحد

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة أحد:

١- إحساس المؤمن بأنه هو الأعلى:

يجب على المؤمنين أن يحسوا الإحساس الكامل بأنهم الأعلون على غيرهم من الكافرين مهما بلغت قوة أعدائهم، ومهما بلغ عليهم التضييق والحبس، فإن الأسد يبقى أسداً في شكله وإحساسه وإن كان مقيداً حبيساً. قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [١].

٢- التمييز بين المؤمنين والمنافقين:

إن ما أصاب المسلمين في أحد من جرح وقتل فبأذن الله تعالى وقضاءه وقدره، قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} [٢]، وبموجب سنته في الأسباب والمسببات، وله الحكمة في ذلك كله. ان من حكمة ما أصاب المسلمين في أحد إظهار التمايز بين المؤمنين والمنافقين، لأن مداولة الأيام وتعاقب الشدة والرخاء محك لا يخطئ.قال تعالى: {وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}[٣].

٣- الذنوب سبب المصائب:

بعض المؤمنين فروا وانهزموا يوم أحد وقد حملهم على الزلل بالتولي عن القتال بسبب ما اكتسبوه من الذنوب والتي منها مخالفة الرماة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ }[٤] . فالمعاصي سبب كل عناء وطريق كل شقاء وما حلت في ديار إلا أهلكتها ولا فشت في مجتمعات إلا دمرتها وأزالتها وما أهلك الله تعالى أمه إلا بذنب وما نجى وما فاز من فاز إلا بتوبة وطاعة.

---

[١] سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

[٢] سورة آل عمران، الآية ١٦٦.

[٣] سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

[٤] سورة آل عمران، الآية ١٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- موت القائد لا يوقف الجهاد في سبيل الله:

فلا بد من الثبات وإن قُتِلَ القائد. قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ} [١].

٥- الآجال مفروغ منها:

فلا يزيد في عمر الإنسان جبنٌ ولا فرار من مواجهة الأعداء، ولا ينقص من عمر الإنسان إقدامه ومجاهدته للأعداء. قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [٢].

٦- تحميل النفس وليس الغير سوء ما وقع ويقع:

حددّ الله الجهة التي تُلام عند حلول النكبة والمصيبة وهي أنفسنا؛ فلا يجوز شرعاً أن نبرىء أنفسنا مما يقع علينا من النكبات والمصائب ونلقي اللوم والمسؤولية على غيرها، قال تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [٣].

٧- يجب النظر إلى الماضي للعبرة والاتعاظ لا للحزن والبكاء:

عندما يصدر منا خطأ أو غفلة أو تقصير، يجب أن لا نقول:لو فعلنا كذا لكان كذا على وجه التفجع والحزن ورد المُقّدر، فإن لو تفتح عمل الشيطان، وإنما علينا التأمل بالمصيبة والاتعاظ من دروسها ومعرفة إسباب ما وقع لنتقي ذلك في المستقبل، فإن وقائع الحياة والتجارب تعلم الإنسان ما لا يعلمه الكتاب، وإن كان التعليم باهظاً. قال تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [٤].

---

[١] سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

[٢] سورة آل عمران، الآية ١٤٥.

[٣] سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

[٤] سورة آل عمران، الآية ١٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨- الدعاء بالاستغفار من الذنوب:

يجب أن يقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام أمام العدو. قال تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }[1].

٩- خطورة إيثار الدنيا على الآخرة:

أن مما يُفقد الأمة عون الله ونصره وتأييده، هو إيثارها الدنيا على الآخرة قال ابن مسعود رضي الله عنه: " ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ }. وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: " أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم "، وقال بعضهم: " لا نبرح حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم "، فنزلت: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}. وفي ذلك درس عظيم يبين خطورة حب الدنيا، وأن التعلق بها قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان والصلاح، وربما خفي عليهم ذلك، فآثروها على ما عند الله، مما يوجب على المرء أن يتفقد نفسه ويحاسبها، وأن يزيل كل ما من شأنه أن يحول بينه وبين الاستجابة لأوامر الله ونواهيه.

المستفاد من طلب بعض الفتيان المشاركة في الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم:

نلحظ أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة، ويسعى للشهادة شيبًا، وشبابًا، وحتى الفتيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا.

المستفاد من خبر حنظلة بن عامر وقتاله في أحد:

١- حرص حنظلة القوي على مقارعة أعداء الله الذي يتمثل في سرعة خروجه إلى الميدان، الأمر الذي لم يتمكن معه من غسل الجنابة.

٢- شجاعته الفائقة تظهر في تصديه لقائد المشركين أبي سفيان بن حرب والقائد غالبًا يكون حوله من يحميه،

---

[1] سورة آل عمران، الآية ١٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو فارس وحنظلة راجل.

٣- تشريف رباني كريم في نزول الملائكة لتغسيل حنظلة بمياه المزن في صحاف الفضة.

٤- معجزة نبوية في إخبار الصحابة عما قامت به الملائكة من تغسيل، حيث رأى صلى الله عليه وسلم الملائكة وهي تغسل و لم ير الصحابة ذلك[١].

٥- إذا كان الشهيد جنبًا، غسل، كما غسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر[٢].

المستفاد من إشاعة مقتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد:

من الحِكم الباهرة من هذه الغزوة إشاعة قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيها، كي يتنبه المسلمون إلى الحقيقة التي ينبغي أن يوطنوا أنفسهم عليها، وهي قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [٣]، فلا يرتدوا على أعقابهم أو يضعفوا ويتراجعوا، إذا وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختفى من بينهم، أو تُوفي أو قتِل، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [٤]. ولقد بان أثر هذه الحكمة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفعل، فكانت هذه الشائعة في يوم أحد وما نزل بسببها من القرآن، هي التي أيقظت المسلمين ونبهتهم، فودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلوبهم الحزينة، ثم رجعوا إلى الأمانة التي تركها لهم فقاموا بها أقوياء أشداء..

المستفاد من رحمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد:

ومن العِبر الهامة من غزوة أحد: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان صلى الله عليه وسلم رحيما بأصحابه، فلو كان فظا غليظا ما التفت حوله القلوب والمشاعر، فالناس في حاجة إلى رفق ورحمة، وقلب يشعر بهمومهم وآلامهم، ويشفق عليهم، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يعنف الرماة الذين خالفوا أمره، و لم يخرجهم من الصف، بل قابل ضعفهم وخطأهم برفق وحكمة وعفو، قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

---

[١] الحميدي: التاريخ الإسلامي ١٢٩/٥، ١٣٠.

[٢] ابن القيم: زاد المعاد ١٧٩/٣.

[٣] سورة الزمر، الآية ٣٠.

[٤] سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [1]، بل إن رحمته صلى الله عليه وسلم شملت في هذه المعركة الكافرين والذين آذوه وأرادوا قتله، فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه بعد إصابته يوم أحد: (كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).. فكان من نتيجة ذلك أن أبا سفيان في أُحُد يقود المشركين، وشعاره: " اعلُ هُبل"، وفي فتح مكة يقول:"لا إله إلا الله"، ووحشي يقتل حمزة في أحد، ثم يُسلم ويقتل مُدعي النبوة مسيلمة الكذاب بعد ذلك..

الأحكام الفقهية المستفادة من غزوة أحد:

١- أن الجهادَ يلزمُ الشُّروع فيه، حتى إن مَنْ لَبِسَ لأْمَتَه وَشَرَعَ في أسْبَابِهِ، وتأَهَّبَ لِلخُروج، ليس له أن يَرْجِعَ عن الخروج حتى يُقاتِلَ عدوَّه.

٢- لا يَجِبُ علي المسلمين إذا طَرَقَهُمْ عدوُّهم في ديارهم الخروجُ إليه، بل يجوزُ لهم أن يلزمُوا دِيارهم، ويُقاتلوهم فيها إذا كانَ ذلك أنصرَ لهم علي عدوِّهم، كما أشار به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليهم يومَ أُحُد.

٣- جوازُ الغزوِ بالنساء، والاستعانةُ بِهِنَّ في الجهاد.

٤- جوازُ الانغماس في العدو، كما انغمسَ أنسُ بنُ النضر وغيرُه.

٥- أن الإمَامَ إذا أصابته جِراحة صلى بهم قاعداً، وصلُّوا وراءه قعوداً، كما فَعَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في هذِهِ الغزوة، واستمرت علي ذلك سُنَّته إلى حين وفاته.

٦- جوازُ دعاءِ الرجل أن يُقتَلَ في سَبيل الله، وتمنيه ذلك، وليس هذا من تمنى الموت عنه، كما قال عبد الله بن جحش: اللهُم لقِّنى من المشركين رجلاً عظيماً كفره، شديداً حَردُه، فأقاتله، فيقتلنى فيك،. ويسلبني، ثم يجدَع أنفي وأُذني، فإذا لقيتُكَ، فقلتَ: يا عبدَ اللهِ بن جحش، فيم جُدِعْتَ؟ قلت: فيك يا رَبِّ.

٧- أن المسلِمَ إذا قتل نفسه، فهو من أهل النار، لقوله صلى الله عليه وسلم في قُزْمَانَ الذي أبلي يومَ أُحُدٍ بلاءً شديداً، فلما اشتدَّت بِهِ الجِراحُ، نَحَرَ نفسه، فقال صلى الله عليه وسلم: "هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ".

٨- أن السُّنَّةَ في الشهيدِ أنه لا يُغَسَّل، ولا يُصلى عليه، ولا يُكَفَّن في غير ثيابه، بل يُدفَن فيها بدمه وكُلومه، إلا أن يُسْلَبَهَا، فيكفَّنَ في غيرها.

---

[1] سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٩- السُّنَّة في الشهداء أن يُدفنوا في مصَارِعهم، ولا يُنقلوا إلى مكان آخر، فإن قوماً من الصحابة نقلوا قتلاهم إلى المدينة، فنادى منادى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم بالأمرِ بَردِّ القتلى إلى مصارعهم، قال جابر: بينا أنا في النَّظَّارَةِ، إذ جاءت عمَّتي بأبي وخالي عَادَلَتْهُمَا علي ناضِح، فدخَلَتْ بهما المدينة، لنَدْفِنَهُمَا في مقابرنا، وجاء رجل يُنادى: ألا إنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُكُم أن تَرْجِعُوا بالقَتْلى، فَتَدْفِنُوهَا في مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ. قال: فرجعنَا بهِمَا، فدفنَّاهما في القتلي حيثُ قُتِلا، فبينا أنا في خلافةِ معاويةَ بنِ أبي سُفيان، إذ جاءني رجلٌ، فقال: يا جابرُ؛ واللهِ لقد أثار أَبَاكَ عُمَّالُ معاويَة فبدا، فخَرجَ طائفة منه، قال: فأتيتُه، فوجدتُه علي النحو الذي تركتُه لم يَتَغَيَّرْ منهُ شيء. قال: فواريتُه، فصارت سُنَّة في الشهداء أن يُدْفَنُوا في مصارِعهم.

١٠- ومنها: جوازُ دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد، فإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كانَ يَدْفِنُ الرجلين والثلاثة في القبر، ويقول: "أيُّهم أكْثَرُ أخذاً لِلقُرآنِ، فإذا أشارُوا إلى رَجُلٍ، قَدَّمه في اللحد".

١١- أن شهيدَ المعركة لا يُصلى عليه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ علي شُهدَاء أُحُد، و لم يُعرف عنه أنه صلى علي أحد ممن استشهد معه في مغازيه، وكذلك خلفاؤُه الراشِدُون، ونوابُهم مِن بعدهم.أن مَن عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج، يجوز له الخروجُ إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرُو بن الجموح، وهو أعرج.

١٢- أن المسلمين إذا قَتَلُوا واحداً منهم في الجهاد يظنُّونه كافراً، فعلى الإمام ديتُه مِن بيتِ المالِ، لأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يَدِيَ اليمانَ أبا حُذيفة، فامتنع حُذيفَةُ من أخذ الدية، وتصدَّقَ بها على المسلمين)) [1].

[1] ابن قيم الجوزية: زاد المعاد ٣/١٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تم بحمد الله تعالى

القسم الأول

ويليه القسم الثاني

بإذن الله تعالى

وأوله غزوة الخندق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

المقدمـــة ٣

الفصل التمهيدي ٧

احوال العرب الاجتماعية والدينية في شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة ٧

الباب الأول النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ١٤

الفصل الأول استعراض حياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ الولادة حتى البعثة ١٤

المبحث الثاني المستفاد من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من الميلاد إلى البعثة ٢٥

الفصل الثاني الدعـــوة الاسلامية في مكـــة ٣٣

المبحث الأول أحداث العهد المكي ٣٤

المبحث الثاني المستفاد من أحداث العهد المكي ١٠٠

الباب الثاني النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة ١١٧

الفصل الأول دعائم دولة الاسلام في المدينة ١١٧

المبحث الاول بناء المسجد النبوي بالمدينة ١١٨

المبحث الثاني نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ١٢١

المبحث الثالث وثيقـــة المدينـــة ١٢٧

الفصل الثاني غـــزوة بـــدر ١٣٥

المبحث الأول أحداث غـــزوة بـــدر ١٣٦

المبحث الثاني المستفاد من أحداث غزوة بدر ١٥٧

الفصل الثالث غـــزوة أحـــد ١٦٥

المبحث الأول أحداث غزوة أحـــد ١٦٦

المبحث الثاني المستفاد من أحداث غزوة أحد ١٩١